المؤامرة الغربية

على

اللغة العربية

تأليف

أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام



صنعاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المؤامرة الغربية

على

اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٤٣١٥ / ٢٠٠٩



صنعاء

اليمن - صنعاء - شارع الرباط - جولة القادسية - هاتف: (٠١/٢١٢٢٨١)
فرع شميلة - حي شميلة - أمام جامع الخير - ص.ب: (١٣٠٠١) - هاتف: (٠١/٨٢٧٩٨٦)
فرع المكلا - حي السلام - مقابل مسجد بازرعة - هاتف: (٠٥/٣١٦٤٣٧)
جوال: (٧٧٧٢٣٧٤٣٨) - (٧١١١٣٧٤٣٨)

المقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعـد:

فإن الله عز وجل جعل اختلاف الألسن واللغات آية من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم حكمته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

ومن حكمته سبحانه: أن أرسل الرسل بلغات أقوامهم؛ ليفهموا عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

ومن هذه اللغات: اللغة العربية، وهي من اللغات العريقة والأصيلة والواسعة، وقد اصطفى الله هذه اللغة واختارها لكلامه سبحانه، فأضحت اللغة العربية لغة القرآن والإسلام، لا لغة العرب فحسب، وكتب الله لها الحفظ والخلود إلى قيام الساعة، وجعل الله لها خصائص عظيمة، ومميزات كريمة، وشمائل عميمة، فبذلك عظم حب الناس لها، وإقبالهم على تعلمها، وتفانيهم بالتخاطب بها، وتعاقبهم في خدمتها، وتفضيلهم إياها على سائر اللغات.

ولقد بهرت أعداء الإسلام فأدى ذلك بالحاقدين منهم أن يسروا في أنفسهم أنه لا بد من كيد ومكر ينال من هذه اللغة، يحطم من قوتها، ويوهن من عزتها، ويضعف التأثر بها، ويحول بينها وبين أهلها.

وعلى إثر هذا التبييت توصل الماكرون والمعادون لها إلى إغراء دول أوروبا بالقيام بإعداد المكيدة، ووضع المؤامرة، وإحكام الخطة، وكانت الخطة والمؤامرة مصاحبة لعزم الدول الغربية على محاربة المسلمين، والاستيلاء عليهم، فسخرت الدول الغربية أقوى جنودها لتنفيذ هذه المخططات والمؤامرات، وهم المستشرقون الكفرة، والحاقدون الفجرة، والمتآمرون الخسرة، وراء هؤلاء المنصرين، فقد جعلتهم الدول الغربية في المرتبة الثانية، فتوجه الفريقان يجوبون بلاد المسلمين، وأنفقوا الأموال، واشتروا ذمم الرجال، الذين مرضت قلوبهم وهان عليهم دين الإسلام، وواصلوا الأعمال في هذا المجال في الليالي والأيام، ومما سهل لهم التمكن من أحوال المسلمين وأغراهم بهم: جهل كثير من المسلمين بمكايد أعداء الإسلام، بل وبدين الإسلام، ولما كان كثير من المسلمين على الحال المذكور قوي طمع الأعداء في تحقيق المطالب ونيل المآرب بالقضاء على اللغة العربية.

وقدر الله أن يتحقق للأعداء من اليهود والنصارى شيء من التفريط في اللغة العربية، خصوصًا من بعض أبناء المسلمين الذين درسوا على أيدي مستشرقين، أو الذين أصغوا إلى المنصرين، أو الذين انقادوا وخضعوا لزعماء الكفار من يهود ونصارى، ومع هذا فعناية الله باللغة العربية عظيمة؛ فقد بقيت محفوظة، بالرغم من كثرة توجيه الضربات عليها، فقد قيض الله مدافعين عنها، وكانت لهم صولات وجولات فضح الله بها العدو، وكشف مؤامراته، وأظهر دسائسه، وأزهق تلبيساته،

فصارت عداوة المتآمرين على العربية نافعة للمسلمين بعد أن كانت ضارة، إذ أيقضت نائمهم، ونبهت غافلهم، وعلمت جاهلهم، وعرفتهم بعدوهم الحقيقي.

وقد رأيت أن أسير مع قافلة الدفاع والمدد والإمداد، وأشارك في نصرة اللغة بما في الوسع والسعة، وقد يسر الله لي كتابة هذا السفر الذي سميته: "المؤامرة الغربية على اللغة العربية" فأرجو من الله أن ينفع به عباده، وييسر نشره وقبوله، وأن يجعله ذخرًا لي عنده.

الفصل الأول
تعريف المؤامرة

التآمر هو التفاعل، كمثل التقاتل، والتخاصم، قال أهل اللغة في قوله تعالى مخبرًا عن القبطي في مصر: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:٢٠].

قال أبو عبيدة: أي يتشاورون عليك ليقتلوك. وقال الزجاج: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك.

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٩٥): (ومعنى يأتمرون بك: أي يؤامر بعضهم بعضًا فيك، أي في قتلك). وأكثر اللغويين والمفسرين على هذا.

فالتآمر هو التشاور المصحوب بالكيد والحيلة؛ لإلحاق الضرر بالمتآمَر عليه.

بداية التوجه الأوروبي إلى محاربة اللغة العربية

قال المؤرخ النصراني اللبناني فليب دي طرازي صاحب كتاب "خزائن الكتب العربية": (راح البابوات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر يغرون قصادهم ورسلهم ورهبانهم بتعلم العربية؛ ترويجًا لخطتهم الكاثوليكية، وقرر مجمع (فينا) المنعقد سنة ١٣١١م برئاسة البابا إقليميس الخامس أن تؤسس دروس عربية في روما على نفقة الحبر الأعظم، وفي باريس على نفقة الملك، وفي أكسفورد وبولونيا على نفقة الرهبان؛ وذلك

لكي يكون منهم المبشرون والوعاظ الذين يطوفون بالبلاد الشرقية، وكان سفهاء الفاتيكان مكلفين من قبل البابا لمراقبة الدروس العربية). وقال أيضًا: (إن الاستشراق كان في بداية أمره لغاية دينية محضة، ثم توسع علماء الاستشراق في أهدافهم، فجعلوه سياسيًا ولغويًا معًا) نقلًا من كتاب مجلة كلية الشريعة...(١٥٢).

وقال ألبرت ديتريش: (وعندما توغل الأتراك حاملو لواء الإسلام وقت ذاك في قلب أوروبا، شعرت أوروبا بضرورة دراسة لغات العالم الإسلامي لتلك الأسباب السياسية). نقلًا من كتاب "بحوث في الاستشراق واللغة" ص(٣٧٩-٣٨٠).

وقال صاحب كتاب "الشعر النبطي" (٥٤): (إنه منذ مطلع القرن السادس عشر، نشر (بدر ودي الكالا الإسباني) معجمًا للهجة العربية في غرناطة، ثم اندفع المستشرقون يتنافسون في دراسة اللهجات العامية في الوطن العربي كله).

وقال صاحب كتاب "بحوث في الاستشراق واللغة" (٣٧٤-٣٧٥): (وقد دعا إلى هذا الاتجاه وفي فترة مبكرة رئيس دير كلوني المعروف باسم بطرس المبجل الذي تبنى فكرة ترجمة القرآن للمرة الأولى، فترجمه الإنجليزي (روبرت كتوت) إلى اللاتينية سنة ١١٤٣م، وكانت هذه الخطوة أول استثمار للغة العربية، وقد كان ذلك جزءًا من مخطط عام يدعو إلى تنصير المسلمين من خلال تشكيكهم في معتقداتهم، أي بالوسائل الثقافية، بدلًا من قوة السلاح، وقد كشف عن هذا المخطط الراهب بطرس المبجل، حيث وجه خطابًا إلى المسلمين قال فيه: [إنني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح، إنني أوجه إليكم كلمات فقط بغير عنف، وبتعقل، وهدوء من غير كراهية،

وبحب كبير]. وقال في تسويغ إقدامه على ترجمة القرآن الكريم: [وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من علمنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج، الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم]).

وقال أيضًا (٣٧٧-٣٧٨): (ولما جاء القرن الثالث عشر أدرك (روجر باكون) ضرورة الاتصال ثقافيًّا بالحضارة الإسلامية، وضرورة تعلم اللغة العربية، بل التسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم، وفي المحاججة للرد عليهم، وقد ظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عُقِد مجمع (فينا ١٣١٢م) الذي أوصى أن تدرس العربية في كبرى المراكز العلمية الأوروبية: باريس وأكسفورد وبولونيا، وأفينون وسلامنكا، وتعد هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبية رسميًّا للاهتمام بالعربية، وفضلًا عن ذلك فيمكن أن يُعدَّ هذا المجمع نقطة تحول أو انتصارًا للاتجاه الأوربي الداعي إلى حرب المسلمين ثقافيًّا).

أفادت هذه النقول أن بداية التوجه الأوربي إلى محاربة اللغة القرآنية حصلت في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، واستمرت تتَتَابع شيئًا فشيئًا، حتى جاءت عصور الإلحاد المعروفة بالنهضة الأوربية، فأخذ الأمر في اتجاه لتنفيذ المؤامرة ضد العربية والعزم على إحلال المكيدة وإلحاق المفسدة بالمسلمين.

في القرن السابع عشر وما بعده قويت إرادة الدول الأوروبية في محاربة اللغة العربية وغيرها

لقد اضطرب كلام الباحثين في تحديد بداية الاتجاه الدولي الأوربي إلى محاربة اللسان العربي، إلا أنه من المعلوم الواضح والمتحقق واقعيًّا أن القرون المتأخرة: السابع عشر وما بعده، ظهرت الاتجاهات الغربية في محاربة الإسلام، ولغته العربية ظهورًا واضحًا.

قال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق» (٣٨٠-٣٨١): (وقد ازدادت حاجة أوربا في القرن السابع عشر إلى أن تعرف العربية معرفة أوثق تتناسب ومصالحها في الشرق، فقد آن الأوان للاتجاهين السابقين أن يمارسا نشاطهما بطلاقة: الاتجاه الذي كان يدعو إلى استخدام القوة العسكرية في التعامل مع الشرق، وقد تمثل هذا في الاستعمار، والاتجاه الذي يدعو إلى الحرب الثقافية، ويتمثل هذا في التنصير، وقد واكب الاتجاهين رغبات في تحقيق المكاسب التجارية التي تصارع عليها في هذا القرن كل من البرتغال، والروس، ثم الإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الدول الأوروبية).

وقال محمد بن إبراهيم الشيباني في رسالته «مبادئ لفهم التراث» (٩٤): (...القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ الغرب في استعمار العالم الإسلامي، والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية

فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم، ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدًا، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس ١٨٧٣م، وتتالى عقد المؤتمرات، التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه، وحضاراته، وما تزال تعقد حتى هذه الأيام).اهـ.

أسباب مؤامرة الدول الكافرة على اللغة العربية

إن الأسباب التي دفعت بالدول الغربية إلى محاربة اللغة العربية كثيرة، منها:

١- احتلال اللغة العربية أعلى منزلة، مقارنة باللغات الأخرى، فهذا مما جعلهم يقفون منها موقفًا عدائيًا، ويدل على هذا ما قاله الدكتور إدريس الكناني في كتابه "ثمانون عامًا من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة" ص(١١) وهو يتحدث عن اللغة العربية: (هي باعتراف كُتَّابِ ومؤرخي الحضارة الغربية جوهرة لغات العالم، وهي الأم الضاربة في أعماق التاريخ، والمصدر الغني والفياض بالمفردات والمصطلحات، والرموز والإيحاءات، الذي مد جميع اللغات القديمة والحية الجديدة بعشرات الآلاف من الكلمات والمصطلحات، وخاصة في مختلف العلوم والفنون، كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة، والبحرية والجيش وغيرها، وأصبحت

العنصر الجوهري في اللغة الأوردية والبنغالية، ولغة الدراسات العلمية في فارس، واللغة العالمية في جميع الأقطار التي فتحها المسلمون، حيث خلفت تمامًا السريانية واليونانية والقبطية والبربرية، وحتى الفارسية لمدة طويلة، وفي القرن التاسع الميلادي كانت العربية قد اكتسحت اللاتينية، وأصبح الشباب الإسباني المسيحي مفتونين بروائح الشعر والخيال في الأدب العربي، بل اضطر رجال الكنيسة لتعريب مجاميعهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية، وقد اهتم عدد من الباحثين بوضع معاجم خاصة بالكلمات العربية في اللغات الغربية، كالإيطالية والإسبانية والفرنسية، والبرتغالية، وتعد بالآلاف، وفي سنة ١٩٧٣م قام أستاذان لبنانيان مقيمان بكندا بدراسة معمقة أبجدية لقاموس اللغة الإنجليزية؛ بحثًا عن الكلمات العربية، ووضعا معجمًا اشتمل على نحو ٣٠٠٠ كلمة أكثرها في مختلف العلوم، ووضعا رسمًا بيانيًا للغات العربية والشرقية التي كانت معبرًا لانتقال المصطلحات العلمية إلى اللغة الإنجليزية، دون أن يكشف الناطقون بها من العرب أنفسهم أصلها العربي).

٢- أنها لغة القرآن الكريم، والسنة المطهرة والأمة المحمدية:

قال المارشال اليوطي: إن العربية هي عامل من عوامل نشر الإسلام؛ لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن، بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج الإسلام، ومن الناحية اللغوية علينا أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربر إلى العربية. نقلا من كتاب "ثمانون عاما من الحرب الفرانكفونية"

فيا ليت قومنا يعلمون أن اللغة العربية من عوامل نشر الإسلام وبقائه وصفائه، فيهتموا بها تعلمًا وتعليمًا ودفاعًا ومحافظة ورعاية.

٣- أنها اللغـة العـالميـة:

فقد أدرك المستشرقون أن اللغة العربية لغة عالمية ؛ لأنها لغة الإسلام الذي هو دين الله، ورسالة رسول الله محمد بن عبد الله إلى الناس كافة عربهم وعجمهم وأسودهم وأحمرهم.

ذكر صاحب كتاب "بحوث في الاستشراق واللغة" ص(٣٨٠) مقالة للمستشرق الإنجليزي (وليام بِدْوِل) هذا نصها: (إنها لغة الدين الوحيدة، وأهم لغة للسياسة والعلم، من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين).

وقال المستشرق الألماني (يوهان فك) في كتابه "العربية" ص(٢٩٢): (عندما رتل محمد ﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة، ولا ينحصر هذا في الدور الذي لعبته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافة ؛ حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق).

نقلًا من كتاب "البعد الديني للغة العربية" (٢٦).

قلت: مما يدل على أن اللغة العربية لغة عالمية ما قاله صاحب كتاب "العرب والإسلام" ص(٧٠): قال (ظلت - اللغة - تسيطر على أكبر رقعة من العالم الإسلامي، وعلى أعظم مجموعة من العقول البشرية، بالرغم من ضعف العرب،

فكانت لغة التأليف، ولغة الحكمة والفلسفة، ولغة البحث العلمي، ولغة الفقه والكلام، ولغة التاريخ والأدب، ولغة التفسير في الهند والباكستان وتركستان، ولا تزال مراكز ثقافية كبيرة، ويبلغ عدد من يحسنها قراءة وفهمًا في هذه البلاد الأعجمية مئات الألوف، ولا يزال يتعصب لها، وإذا خير بين لغته الوطنية التي نشأ عليها، وبين اللغة العربية التي نزل بها القرآن آثر اللغة العربية على لغة بلاده، وحرص على تعليمها لأولاده، ولا سبب لذلك إلا لأنها لغة العقيدة والشريعة، ولغة الإسلام الرسمية) نقلا من كتاب "البعد الديني للغة العربية" ص(٤٤)

وقال أيضًا في المصدر الأول (٢٦): (وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيًا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزًا لغويًّا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقالها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضًا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية). نقلًا من كتاب "البعد الديني للغة العربية " (٢٦).

٤- سعة اللغة العربية وشمولها لما يحتاج إليه من مخاطبات واصطلاحات:

قال ابن فارس في "فقه اللغة": «لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها» .

قلت: فهذه السعة جلبت الضيق على أعداء اللسان العربي، وقالوا: كيف نترك المجال لهذه اللغة تفضح لغتنا، وتظهر افتقارنا إليها؟!

٥- أنها من أسباب وحدة المسلمين وقوتهم، ومن أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المتخاطبين بها:

ومما أغرى أعدائنا بمحاربة اللغة العربية: أنها من دواعي التآلف والتحاب بين المتكلمين بها.

قال صاحب كتاب "البعد الديني للغة العربية " (١٠٨): (ويرى أكثر الهاجمين على استعمار الشرق أن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم، ما دام هنالك لغة واحدة يتكلمها أكثر العرب، ويعبر بها العرب والمسلمون عن آرائهم، وما دام هنالك حرف عربي يربط حاضر المسلمين بتراثهم الماضي).

وقال المستشرق (زويمر): (إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقية الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر -وهذا تعداد أقل من الحقيقة يومئذ بكثير، كما تعلم- عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية).

وقال صاحب كتاب "الشعر النبطي" (٥٦): (فحين أدرك أعداء الإسلام أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن تتم ما دامت أن هناك لغة واحدة يتكلمها المسلمون، ويربطون بها حاضرهم بماضيهم، ذلك أن اللغة هي تراث الأمة الإسلامية، وحين تترك أمةٌ لغتها، فإنها في الوقت ذاته تتنازل عن تراثها ضرورةً، ويصبح من السهل عليها أن تندمج في أية حضارة، وتتأثر بأي ثقافة).

تأسيس دول الغرب الجامعات والمعاهد لإعداد الدعاة لمحاربة اللغة العربية

لما عزمت دول أوروبا على الحرب الجديدة ضد الإسلام ولغته، قامت بالإعداد لذلك، ومن أعظم ما قامت بتأسيسه هو: إنشاء الجامعات والمعاهد والكليات، وغيره، قال صاحب كتاب «الشعر النبطي» ص(٤٩-٥١): (فكان من البلاهة أن يتصور الواحد منا حركة الاستشراق أعمالًا فردية، نهض بها عشاق الشرق من الأوربيين، فالحق أنه حركة منظمة وأنه بدا أكثر ما يكون تنظيمًا، واستمرارًا بالفاتيكان وبمباركة البابا قمة السلطة الدينية المسيحية، أنشئت المؤسسات القادرة على العمل الدءوب، وأهم هذه المؤسسات كراسي تدريس العربية في الجامعات والمكتبات، والمطابع والمجلات الشرقية.

فقد أقيم في كل جامعة كرسي دائم أو أكثر لتدريس الفصحى حينًا، واللهجات العامية حينًا آخر، وربما كانت فرنسا أسرع الدول إلى الصدع بأمر البابوية (القاضي بإنشاء مدارس لدراسة الثقافة العربية، إذ أنشأت منذ القرن الثاني عشر مدرسة (ريمس) بأمر البابا سِلفَستر الثاني، وأمر البابا إكليمنتس الخامس في مجمع فينا). ٧١٠- ٧١١هـ بإنشاء كراسي للعربية والعبرية والكلدانية في عواصم العلم من أوروبا.

ففي ألمانيا وحدها أقيمت للعربية كراس رسمية في أكثر من عشرين جامعة، وفي الولايات المتحدة أصبحت الجامعات المشتغلة بتدريسها ست عشرة جامعة، وأنشئت مثل هذه الكراسي في جامعات كامبردج وخاركوف وموسكو، وبطرسبرج وغيرها.

وقد أقيمت في أوربا وأمريكا مكتبات عربية ضمت الكثير من ذخائر العرب، وحسبنا أن نشير إلى بعضها.

ذكر ما قامت به فرنسا من القضاء على اللغة العربية في الجزائر وتونس والمغرب وغيرها

لقد سعت فرنسا إلى القضاء على اللغة العربية في الشعوب التي استعبدتها ؛ كالجزائر وتونس والمغرب ولبنان وسورية وغيرها، فها هو أحد كبارهم يفصح عن الحقيقة قال كامبغماير عن الفرنسسين: (إنهم لا يحبون نهضة اللغة العربية في مراكش، ولا سيما بين البربر، بل يحبون ويحب معهم صنعائهم أن تنهض البربرية والقبطية والسريانية والآرامية والآشورية من بين القبور والكهوف، والحجارة المنقوشة على جدران المعابد الوثنية ؛ لتطرد الفصحى إلى نجد والحجاز). كتاب "الشعر النبطي" ص(٥٥-٥٦) .

وقال صاحب كتاب "الفرانكفونية" وهو يتحدث عن حال الجزائر إبان ألاستعباد الفرنسي: (تهميش اللغة العربية في التمدرس بكل الوسائل الإدارية والقمعية كما يدل على ذلك قرار ٢٨ آذار مارس ١٨٤٣ بإلغاء أملاك الأحباس ومن ضمنها (الزوايا) التي كانت آخر معقل للتعليم الأصلي، بعد هدم الكتاتيب والخزانات والمدارس التقليدية، وكذلك مرسوم ٨ آذار مارس الصادر عن وزارة الداخلية الفرنسية ؛ والقاضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية ؛ كما كانت اعتبار الصحافة المكتوبة بهذه اللغة

صحافة تخضع للرقابة نفسها التي تخضع لها الصحافة الأجنبية). المصدر السابق (١٩٩-٢٠٠).

ويقول بيير بورني: (لقد تحدثنا سابقًا عن وجودنا القوي في الجزائر وتونس والمغرب، وقد أصبحت الفرنسية أيضًا اللغة الرسمية للدول الجديدة الإفريقية المشتركة... إن إمكانيات الفرنسية في إفريقية عظيمة؛ فالفرنسية هي أو تحاول أن تصبح شيئًا فشيئًا اللغة المشتركة لستين مليونًا من الأفارقة، وهذا يلبي حاجة أكثر من أنه اختيار أن الاستعمار الفرنسي غرس لغتنا في إفريقيا). المصدر المذكور (١٠٧).

وقال المارشال البوطي: (إن العربية هي عامل من عوامل نشر الإسلام؛ لأن هذه اللغة يتم تعلمها بواسطة القرآن، بينما تقتضي مصلحتنا أن نطور البربر خارج إطار الإسلام، ومن الناحية اللغوية علينا أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربر إلى الفرنسية). المصدر المذكور.

وقال بول مارتن: (....إن كل تعليم للعربية، وكل وجود إسلام سوف يتم إبعاده بكل قوة، وبذلك نجذب إلينا الأطفال...عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد متعمدين كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام). المصدر المذكور.

وقد بلغت الإحصائيات للمتكلمين باللغة الفرنسية في الدول المذكورة إلى حد كبير جدًّا، قال صاحب كتاب «ثمانون عاما من الحرب الفرانكفونية» (١٨١-١٨٢): (إن وزير التربية الفرنسية السيد (سافري) تحدث في ندوة صحيفة بباريز في منتصف شهر

أكتوبر ١٩٨٢م عن ثمرات هذه السياسة ومكاسبها بالنسبة لفرنسا ولغتها، وقدم الإحصاءات التالية:-

في سنة ١٩٥٦ عند إعلان استقلال المغرب كان عدد المتكلمين باللغة الفرنسية يبلغ (٣٥٠.٠٠٠) شخص هي حصيلة أربعين سنة من عهد الحماية.

وفي سنة ١٩٨١ ارتفع هذا العدد إلى ثلاثة ملايين ونصف، أي: أنه تضاعف عشر مرات خلال ربع قرن من عهد الاستقلال، وأكد الوزير الفرنسي أن هذا العدد سيبلغ في نهاية هذا القرن ١٣ مليونًا ونصف مليون، فإذا كانت نسبة المتكلمين بالفرنسية اليوم ٢٠٪ من عدد السكان فإنها ستصل في نهاية القرن إلى ٤٠٪ في المائة (٩)، وبالطبع لا أحد في المغرب ينكر أن هذا كله تم على حساب اللغة العربية الفصحى التي لا يبلغ عدد كتابها وقرائها عدد نظرائهم بالفرنسية، والإحصائيات المتعلقة بعدد المبيعات من الصحف والمجلات باللغتين أكبر شاهد على ذلك، إن سياسة فرنسية الشعب المغربي تتسابق مع الزمن في محاولة جاهدة لإدماج المغرب في الدول الناطقة بالفرنسية إدماجًا كاملًا لا رجعة فيه).

وأيضًا قامت فرنسا -دمرها الله- في الجزائر بمنع توظيف أي مسلم إلا أن يكون متقنًا للغة الفرنسية، وسواءٌ كان التوظيف في الأعمال الحكومية، أو في المصالح العامة.

وأيضًا قامت بمنع إعطاء الشهادات العالمية كالبكالوريا وغيرها إلا لمن يتقن اللغة الفرنسية، بل منعت من الدراسات العليا بالكلية؛ اختزانًا للوظائف لها. انظر الكتاب المذكور (١٠٨) وما بعدها.

وقال أيضًا: (وكما حارب الاستعمار العربية حارب أساتذتها وعلماءها وكتابها وصحفها أدبيًّا وماديًّا ؛ في الوقت الذي كان فيه حامل الشهادة الابتدائية الفرنسية يجد جميع التسهيلات ليدخل في خدمة سادة اللغة الرسمية الجديدة). المصدر (١٩١).

ومن تقريرات صاحب الكتاب عمّا توصلت إليه فرنسا قال: (وليس هذا الغزو الثقافي للمدن والأحياء المغربية إلا جانبًا من الحملة التي نظمها الاستعمار لفرنسة المغرب ظاهرًا وباطنًا، وطمس معالم اللغة العربية، وخنق أنفاسها ؛ في وطنها فقد عانت هذه اللغة خلال الأربعين عامًا من عهد الحماية ألوانًا من الذل والهوان والضيق، فطردت من المدارس والمحاكم والإدارات شر طرد، وتنكرت لها الدولة المحتلة في كل مكان ؛ تريد القضاء عليها بل لم تترك لها وللدين الإسلامي في برامج المدارس الرسمية إلا حصة لا تتجاوز عشرين دقيقة في اليوم، بينما أصبحت جميع العلوم تلقى باللغة الفرنسية). المصدر (١٩١).

ولما رأى بعض الحذاق في الشام ما فعلته هذا المدارس قال: (إن المدارس الأجنبية في الشام جنت عليها أعظم جناية، فهي أشبه بالسارق ؛ لأنها سرقت الأرواح والنفوس والأفراد، وهي أسوأ أنواع السرقات). المصدر السابق (٥٩-٦٠).

فرنسا تفرض تعلم لغتها على دولة المغرب بعد استقلالها

لقد سبق أن ذكرنا ما قامت به فرنسا دمرها الله من محاربة اللغة العربية؛ في دولة الجزائر وتونس والمغرب حال تسلطها على هذه الدول، وها نحن ننقل بلاء متجددًا أنزلته فرنسا بالشعب المغربي بعد استقلاله من الحكم والاستعباد الفرنسي، وهو فرض لغتها، وهذا إيضاح لمطالب فرنسا في فرضها لهذه اللغة، فقد سمي هذا: مشروع ميثاق التربية والتكوين، وأيضًا إصلاح التعليم.

قال صاحب كتاب «كتاب الفرانكفونية» (٧): (وجاء مشروع ميثاق التربية والتكوين ليبدأ في تكوين الأجيال المغربية من نقطة الصفر، ضاربًا عرض الحائط بكل قيمها الدينية والثقافية وأمجادها التاريخية والحضارية، وكأنه يتعامل مع جزيرة الوقواق بلهجتهم البدائية).

وقد أرادت بالتربية والتكوين أن يكون التدريس لهذه اللغة من أول الدراسة الابتدائية، قال الناقدون على هذا الالتزام: (وإدراج اللغة الأجنبية الأولى ابتداء من السنة الثانية من السلك الأول للمدرسة الابتدائية، وإدراج تعليم اللغة الأجنبية الثانية ابتداء من السنة الخامسة من المدرسة الابتدائية، ولا يخفى ما في هذا من مزاحمة لتعليم اللغة العربية التي هي اللغة الأم، وإرهاق الطفل في فترة جد مبكرة). المصدر السابق (٨١).

وأيضًا اللغة المذكورة المفروضة تتكون من أربعٍ وستين صفحة، كما في المصدر المذكور (٤٤).

وكانت بدائية بعد استقلال المغرب، فقد استقلت دولة المغرب عام ١٩٥٦م كما في المصدر السابق (١١٣) وقد استمر هذا التعليم الفرانكفوني من عام ١٩٦٢م إلى ١٩٩٩م كما في المصدر السابق (٨٥) وفي ص(٥) أنه استمر أربعين عامًا.

قلت: من خلال هذا النقل يتضح للقارئ أنه فرض تعليم اللغة الفرانكفونية من أول الابتدائية والفرنسية من خامس ابتدائي، وهذا خروج عن السائد المعروف في الدراسات الحكومية: أن اللغة الإنجليزية تقرر على الطلاب من الثانوية، وهذه البداية ليست مستقرة، بل الحاصل ما بين الحين والآخر تقديم اللغات اليهودية والنصرانية على تعلم اللغة العربية، فقد صارت هذه اللغات في الإعدادية، ثم في بعض فصول الابتدائية بعد أن كانت في الثانوية.

وقد واجه أهل المغرب هذا التسلط الخارجي النصراني بأنواع من المواجهات ؛ فقد رفض المجلس الأعلى للتعليم هذا التعدي، ورفضه أيضًا المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب المتكون من أكثر من خمسين شخصًا. انظر المصدر المذكور (٨٨-٨٩).

ورفضه أحزاب وحركات إسلامية، وأصدر الرأي العام بيانًا، وبلغ عدد الموقعين عليه أربعمائة وتسعون شخصًا. انظر المصدر المذكور ص(٢١-٣٧).

وقال صاحب الكتاب المذكور: (هذه الحقائق التي انكشفت بكامل الوضوح للنخبة المغربية، هي التي دفعت جماعة من الشخصيات الوطنية في طليعتهم كبار

العلماء، وقادة الأحزاب الوطنية، وممثلو نقابات العمال، واتحاد الطلاب، والأساتذة، والمثقفون الأحرار من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار؛ ليوقعوا على هذا البيان التاريخي، الذي أوقفت نسختاه الأصليتان على الجرائد العامة بالرباط؛ ليظل خير شاهد للتاريخ على موقفهم الصريح ضد سياسة تعليم خطير كل الخطورة على حاضر ومستقبل الشعب المغربي؛ يراد فرضها على هذه البلاد). المرجع المذكور (١١٠-١٣٣) وحصول الإضراب عن الدراسة، وبالرغم من هذه المواجهة الشديدة لم يحصل الشعب المغربي على الاستجابة لندائه من قبل حكومته، ولهذا قال صاحب كتاب «الفرانكفونية» (١٨٢): (هذه المعركة لن تتوقف أبدًا طالما أن السياسة الفرنسية، وازدواجية اللغة تقوم بدعم الوجود الاستعماري الصليبي الفرنسي).

وقال صاحب الكتاب المذكور (١٩٣): (إذا كان الاستعمار هو المسئول عن جهل جيلنا الحاضر بلغته، فإننا سنكون مسئولين عن استمرار هذه المأساة بالنسبة لأجيالنا المقبلة، لقد مرت ثلاثة أعوام على استقلالنا لم يتغير فيها وضع اللغة العربية الذليل إلا قليلًا ؛ بينما تحصنت اللغة الفرنسية في مراكزها أشد من تحصن الجيوش الفرنسية في ثكناتها ؛ فلم تتخل عن شبر واحد من امتيازاتها ونفوذها لا في المدارس الابتدائية والثانوية الإسلامية، ولا في المدارس الإسرائيلية والمسيحية، ولا في إدارات الدولة ومصالحها، ولا في الشركات والمؤسسات العمومية، ولا في أسماء الشوارع والأحياء المغربية).

وما يدرينا أن فرنسا فرضت اللغة الفرانكفونية على المغرب بعد استقلال المغرب ولها في ذلك أكثر من مغزى، ومن ذلك أن تبقي لغتها مسيطرة على حسب ما في هذا المقال، ويسلم المجتمع ببقائها ويرفضون الفرانكفونية؛ باعتبار أنهم قد رفضوا ما فرض عليهم حاليًّا، فلا فرض في الحقيقة إلا الإضرار باللغة العربية.

فرض اللغة الفرنسية تحت مظلة الفرانكفونية

ومما له صلة بموضوع كتابنا هذا فرض فرنسا لغتها على كثير من الدول العربية والإسلامية، خصوصًا التي استعبدتها تحت مظلة الفرانكفونية

والفرانكفونية عرفها بعضه بقوله: اسم يطلق على تنظيم سياسي تشترك فيه عدة دول ناطقة بالفرنسية ألفت بينها هذه الرابطة لتحقيق مصالح مشتركة

وكانت أوائل انبثاق فكرة الفرانكفونية سنة ١٩٦٠م وفي عام ١٩٧٠م ظهرت إلى الساحة كحركة وفكرة، وفي العام نفسه أنشئ أول فرع من فروعها «وكالة التعاون الثقافي والتقني» في نيامي عاصمة النيجر.

ويعد «أونيسيم ريكلوس» الجيولوجي الفرنسي أول من نحت مصطلح الفرانكفونية وذلك في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أنه ظل مغمورًا حتى ظهر سنة (١٩٦٢م) على يد الرئيس السنغالي «ليوبولد سنغور» وكان من أشد المتحمسين للفرانكفونية.

وانطلقت الفرانكفونية بقوة غداة استقلال الدول الإفريقية، التي كانت تحت الاستعباد الفرنسي، فقد ظهرت ووجدت مع بداية الستينيات منظمات فرنسية إفريقية تدعو وتهدف إلى تقوية وتمتين العلاقة الثقافية والاقتصادية بين كلٍّ من الدول الإفريقية المستقلة وبين فرنسا،ومن ثم أخذت تتطور الفرانكفونية، وعقدت المؤتمرات من أجلها وصارت تضم الآن حوالي (٤٩) دولة، وتتخذ هذه المنظمة من جامعة ليوبولد سيدار سينغور بالإسكندرية جمهورية مصر العربية مقرًا لها.

وكان الهالك الحبيب بورقيبة رئيس تونس سابقًا من أشد وأعظم أنصار الفرانكفونية في الوطن العربي، تحديدًا في المغرب العربي.

وكيف لا يكون أشد المتحمسين لها، وقد قال في إحدى ومقابلاته مع صحيفة فرنسية: إن مستقبلنا مرتبط بمستقبل الغرب عمومًا، ومتضامن مع مستقبل فرنسا خاصة، ونحن نتجه اليوم من جديد إلى فرنسا.

إنني أنا الذي تزعمت الحركة المنادية بالفرنكفونية فالرابطة اللغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الإفريقية أمتن من روابط المناخ أو الجغرافيا.

وفي مقابلة أخرى مع صحيفة «ليفيغارو» قال: إننا لا نستطيع الإعراض عن الغرب، إننا متضامنون مع الغرب بأكمله، متضامنون بصورة أخص مع فرنسا، وبصورة أخص في ميدان الثقافة تمثل وفكرة بعث رابطة للشعوب الفرانكفونية تولدت هنا.

فالفرانكفونية في نظري هيمنة جديدة من قبل فرنسا على الدول التي استعبدتها في السابق في الميادين الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

هذه بعض المعلومات عن الفرانكفونية أخذتها من مجلة البيان عدد «جمادى الأولى ١٤١٩هـ سبتمبر ١٩٩٨م، وعدد جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ سبتمبر ٢٠٠٢م»

ما قامت به بريطانيا من القضاء على اللغة العربية

لقد استعبدت بريطانيا عدة شعوب إسلامية وعربية، وقد كانت محاربتها للإسلام ولغته في غاية من الخبث والمكر والقهر، ومما يدل على ذلك ما قاله صاحب كتاب «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص(١١٧-١١٨):

(وفي مصر أصدر الاحتلال الإنجليزي قرارًا سنة ١٨٨٩م بإرغام المصريين على أن يتلقوا علومهم باللغة الأجنبية بدلًا من اللغة العربية، ولما تولى سعد زغلول نظارة المعارف سنة ١٩٠٦م أصدر قرارًا قوميًّا يلغي القرار الاستعماري السابق، ويقضي بتعريب التعليم في جميع المراحل التعليمية، ولكن الإنجليز حاربوا تعريب التعليم العالي بكل قواهم، حتى أخرجوا سعدًا من الوزارة).

وقال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٤١٦) وهو يتحدث عما فعله كرومر - المندوب السامي لبريطانيا في مصر بعد خروجها-: (نشر اللغة الإنجليزية، والثقافة الإنجليزية على حساب اللغة العربية، والثقافة الفرنسية في محاولة القضاء على الفكر

الإسلامي العربي، وبذلك أمكن تجميد اللغة العربية في المدرسة المصرية والجامعة، وتجميدها عن النمو في العالم العربي والإسلامي كله، وقد حاول كرومر تنفيذ تجربة الاستعمار البريطاني في الهند للقضاء على اللغة العربية بها، وذلك بنشر اللغة الإنجليزية؛ حتى تكون لغة تخاطب، ففرض التدريس بها).

وقال أيضًا (٢/ ٤٢٢) وهو يتحدث عن كرومر: (كما خلق الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في مصر، وقد حارب اللغة العربية، وحارب جامعة الزيتونة).

وقال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(١٤٩): (وقد عبر اللورد (لويد) حين كان مندوبًا ساميًا لبريطانيا في مصر عن هذه الأهداف في خطبته التي ألقاها في كلية فيكتوريا الإسكندرية ١٩٢٦م، حيث قال: (علينا أن نقوي كل ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين، وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية (لورد كرومر) من تأسيس كلية فيكتوريا بوجه عام، وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفضل من كلية تعليم الشبان من مختلف الأجناس) ثم يقول عن الطلبة: وهؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية؛ بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ).

وإذا كان هذا الحرب قام به رجل واحد في مصر؛ فتوقع أن غيره يعمل مثل هذا وأكثر في أماكن أخر.

ما قامت به أمريكا دمرها الله من إقصاء اللغة العربية

إن أمريكا استفادت من تجربة الدول، وسيرهن في محاربة الإسلام وأهله ولغته، فكانت أكثر حنكة في المكر والغدر والمؤامرة، والمحاربة، وإليك بيان ذلك:

قال صاحب كتاب «رؤية إسلامية للاستشراق» (١٤٤): (وتتعاون المخابرات الغربية بوجه عام، والمخابرات الأمريكية بوجه خاص تعاونًا وثيقًا مع مراكز الدراسات الاستشراقية، وبخاصة مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب، ولا سيما فيما يتعلق بالصحوة الإسلامية وتطوراتها). اللهم سلم سلم!.

وقال صاحب كتاب «الاستشراق رسالة الاستعمار» ص(١٢٩): (وظهرت في بيروت عام ١٨٢٠م أول إرسالية أمريكية بروتستانتية، وقبيل عام ١٨٦٠م فتحوا أكثر من ٣٠ مدرسة ودار طباعة، وفي ١٨٦٦م فتحوا الكلية البروتستانتية السورية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية).

وقال أيضًا ص (١٢٢-١٢٣): (واهتم المبشرون الأمريكان اهتمامًا خاصًا بالعمل في المناطق العربية ؛ من الإمبراطورية العثمانية، ولهذا الغرض تأسست الإرسالية العربية في عام ١٨٩٠م، وكان مؤسسها الأمريكي (صموئيل زويمر) مؤلف كتاب «جزيرة العرب مهد الإسلام» وافتتح (زويمر) ومعاونوه إرسالية البصرة، ثم تقرر توجيه الاهتمام الرئيسي ليس إلى الدعاية الدينية؛ بل إلى النشاط الطبي التطبيقي، وكتب

(زويمر) يقول: (يشير جميع المراسلين في الجزيرة العربية إلى أن الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يمتلكان ترخيصًا يفتح أمامهما الأبواب المغلقة، ويغزوان أقسى القلوب)، وسرعان ما شمل نشاط الإرسالية العربية التي حظيت بدعم مادي كبير من مجلس المبشرين الأمريكان جزر البحرين ومسقط، وبالرغم من مقاومة السلطات الاستعمارية البريطانية افتتح المبشرون الأمريكان (١٩٠٣) مستشفيات في جزر البحرين، كما افتتحوا (١٩١١) إرسالية ومستشفى في الكويت).

وقال صاحب كتاب «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» (٨٤-٨٥) وهو يتحدث عن الجامعات والمدارس في مصر التابعة لأمريكا وغيرها: (مدارس الأمريكان بالقاهرة...الجامعة الأمريكية التي أنشأوها لمزاحمة الأزهر، كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس، كلية البنات الأمريكية بأسيوط، كلية البنات الأمريكية بالأقصر).

وذكر صاحب كتاب «العلاقات التركية اليهودية» (٢/ ٨٣-٨٤) قائلًا: (للمؤسسات التعليمية الأمريكية دورها القوي في تركيا، وامتدادها منذ أن بدأت مع عهد التنظيمات في الدولة العثمانية حتى وقتنا الحاضر.

وقد كان الهدف من إنشاء المدارس الأمريكية في تركيا ؛ هو إيقاظ الحركة الانفصالية بين الشعوب، وحصول الأجانب على النفوذ في الدولة اقتصاديًّا واجتماعيًّا.

والجدير بالذكر: أن السلاطين العثمانيين لم يهتموا بالدور الذي يمكن أن تلعبه تلك المؤسسات التعليمية الأجنبية، ولم يقوموا بالرقابة على مقررات هذه المدارس

ومناهجها، طبقًا لنظام الامتيازات الذي كانت تمنحه الدولة لرعاياها، فيما عدا السلطان عبد الحميد الثاني الذي قام بمراقبة هذه المدارس ؛ وفطن إلى دورها الخطير في الدولة، فقام من جانبه بإغلاق (٤٠٠) مدرسة أمريكية في عهده، وكانت هذه المدارس تقوم بدور فعال في معاداة الدولة الإسلام، وأصبح الطلاب الأتراك المتخرجون من هذه المدارس الأمريكية يعدون أعداء للدولة، فكانوا يحبون الدولة الأجنبية، وينفرون من كل ما هو عثماني، وكانوا يرغبون في استيلاء هؤلاء الأجانب على الدولة العثمانية والقضاء عليها، وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى، ومن أهم المؤسسات الأمريكية التي قامت بدور كبير في تركيا (كلية روبرت الأمريكية) التي تم إنشاؤها عام ١٨٦٣م، والذي زاد من أهمية هذه المؤسسات الأمريكية هو: أن معظم كبار المسئولين في تركيا حتى وقتنا الحاضر من خريجي هذه المؤسسة.

وقال في نفس المصدر (٢/ ٨٦-٨٧) وهو يتحدث عن كلية روبرت الأمريكية: (كان من أهداف هذه الكلية: العمل على استقلال رعايا الدولة منها، كما برز دورهم الكبير مع الطلاب البلغاريين في الثورة على الدولة العثمانية والانفصال عنها، ونتيجة لإنماء هذه الروح في هؤلاء الطلاب، فقد قام هؤلاء الطلاب البلغار المتخرجون في هذه المدارس بالثورة على الدولة العثمانية، وقتلوا الكثير من المسلمين، وأعلنوا قيام دولة بلغاريا، وقد سميت (كلية روبرت) (كلية البلغار) نسبة لإدارتها الثورة البلغارية ضد الدولة.

وقال في نفس المصدر (٢/ ٨٧-٨٨): كان مدير كلية روبرت ووكيلها يساعدان الأرمن على الهجرة إلى خارج الدولة العثمانية، وكان ذلك عام ١٨٩٦م، وكان الأرمن قبل فتح المدارس الأجنبية في الدولة العثمانية يعملون موظفين فيها، كما وصل بعضهم إلى مناصب عالية في دوائر الحكومة العثمانية، ولم يخطر على بالهم إنشاء دولة أرمينية خاصة بهم تنفصل على الدولة إلا بعد تلقينهم الأفكار القومية والاستقلالية عن طريق هذه المعاهد الأمريكية.

وقال في نفس المصدر (٢/ ٩٠): وفي عام ١٩٧١م تم ضم ثانوية كلية روبرت بأقسامها مع كلية البنات الأمريكية، تحت مسمى (ثانوية روبرت الأمريكية الخاصة) وفي نفس هذا العام تم تأميم المدارس الأجنبية الخاصة طبقًا للدستور التركي، وبعد مباحثات بين إدارة ثانوية روبرت ووزارة التربية تم الاتفاق على اعتبارها جامعة، وذلك بموافقة مجلس الشعب التركي في ١٢/ ٩/ ١٩٧١م، وتأسيس جامعة البسفور (بوغازيجي) بعد ذلك أصبحت جامعة (بوغازيجي) البسفور كانت توصف بأنها دولة داخل دولة.

ونفوذ أمريكا – دمرها الله – واسع في بلاد المسلمين، وهذا قبل إصدارها النظام العالمي الجديد؛ إذ إنها بعد سقوط الاتحاد السوفييتي تمكنت تمكنا أكثر؛ فإنشاؤها المدارس والمعاهد والجامعات في الدول الإسلامية صار مشهورا معلوما، فلا تكاد تجد دولة، وإن صغرت إلا وفيها معاهد أمريكية، وإذا وجدت هذه في بلاد المسلمين فلا تستبعد أن يخرج منها من يحمل الديانة الأمريكية والغربية التي تعني محاربة الإسلام،

وكل ما له صلة به، وعلى كل: هذه المدارس والجامعات والمعاهد هي وكر للمستشرقين والمنصرين، فماذا ننتظر من وراء ذلك؟!!.

وأختم هذا الباب بما قاله المستشرق (جب) وهو يتحدث عن هذه المدارس والجامعات: (إنها لن تفرز إلا هياكل بشرية خالية من الفضائل والأخلاق والمثل؛ لأنها لتفريخ مسوخ آدمية متنكرة لدينها ووطنها وأبناء جلدته). المصدر السابق (٨٦) ولا ينبئك مثل خبير، فهذا المستشرق وغيره يعملون مع دولهم في مجال التعليم، فكانوا أعلم بالمضرة، وأحرص من يسعى لإيجادها.

رفض الكونغرس الأمريكي لإصلاح بعض الكلمات الأمريكية

من الدواعي التي تحفز المسلم إلى المحافظة على اللغة العربية ما قاله صاحب رسالة "الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة" ص (٩-١٠): (وفي الولايات المتحدة الأمريكية كانت للرئيس تيودور روزفلت خططٌ لاستخدام المطبعة الحكومية كقوة دافعة للتغير في تهجئة بعض الكلمات الإنجليزية مثال ذلك (L Ig h t) تكون (lite) فكان رد الفعل من (الكونغرس) عنيفًا إزاء هذه المحاولة العابثة بلغتنا، ولهذا أقلع الرئيس عن مجهوداته).

عجبًا أيها المسلمون! يقف أعداء الله ضد من يريد أن ينال من لغتهم من أبناء جلدتهم ولو قليلًا، ويكفون من أراد ذلك، وكثير من حكام المسلمين تركوا المستشرقين

يعبثون باللغة العربية كيفما شاءوا، وكأن الأمر لا يعنيهم!!، فما أسوأ صنيعهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

خطة دولة اليهود -إسرائيل- في محو اللغة العربية في الشام

لقد كان اختيار فلسطين وطنًا لشرذمة اليهود حاصلًا من قبل المستشرقين، قال صاحب كتاب "احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام" صـ١٠٢: (ولا يغيب عن بالنا أن المستشرقين هم الذين طرحوا على إنجلترا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في مؤتمر لندن المنعقد في سنة ١٩٠٧).

وقد واصل المستشرقون وكبار اليهود الدعوة إلى محاربة اللغة العربية، قال زعيم حركة من أجل أرض إسرائيل الكاملة.... (إن الحل الإنساني -في نظري- لتقوية دولة إسرائيل هو طرد العرب من أرض إسرائيل، ومكافحة لغتهم...). نقلًا من كتاب "العربية بين التقريب والتهويد" (١٨١).

وقال صاحب المصدر المذكور (١٨٣:

(ونشطت الوكالة اليهودية في بداية ظهورها في فلسطين في تعليم اللغة العبرية لليهود، ومحاربة اللغة العربية بكل ما أوتيت من قوة لمحوها).

وقامت الدولة اليهودية بمحاربة العربية بعد وضع الخطط، ففي المصدر السابق (١٨٣-١٨٤): (وهذه الأساليب العدوانية تسير في مجال إبادة اللغة العربية في مسارين

مدروسين بعناية ومخطط لهما، وهذان المساران أجزاء من مناهج الإبادة الواضحة التي ينفذها اليهود لإبادة العرب ولغتهم، وتنفذ هذه المناهج تارة بالحديد وأخرى بالرصاص.

أما المساران اللذان تسير عليهما الدولة اليهودية المحتلة في إبادة اللغة العربية في فلسطين وما جاورها من البلاد العربية منها:

١ – اجتثاث اللغة العربية من كل أثر عربي لمحو هذه اللغة في نطاق الأمكنة العربية.

٢ – محاربة اللغة العربية في مجال العربية المحض وذلك لوقف نموها ومحاصرتها، ومن ثم استئصالها.

وقال أيضًا في المصدر نفسه (١٨٤-١٨٥) وهو يتحدث عن دولة اليهود: (تقوم بمحاربة اللغة العربية في فلسطين في مجال الأمكنة: المؤسسات الصهيونية الرسمية وغير الرسمية وعلى رأسها [الناحال]... وتساند الدولة [الناحال] بكل قوتها لمحاربة اللغة العربية في فلسطين، هذا بالإضافة إلى حركتي (هو شافيم، وغوش أمونيم) الاستيطانيتين وتبارز هذه المنظمات الصهيونية التي تدعمها الوكالة اليهودية نجحت أساليب اليهود في محاربة اللغة العربية في فلسطين، والحد من نشاط اللغة العربية؛ وبدأت اللغة العربية تتراجع أمام اللغة العبرية، وأخذ اليهود يحرفون الأسماء العربية ويعبرونها إلى أسماء عبرية خاصة.

وذكر أيضًا من أسماء المدن العربية التي غيرت اسمها من العربية إلى العبرية اثني عشر اسمًا. انظر: (ص١٨٥-١٨٧).

وذكر القرى العربية التي غيرت أسماؤها إلى العبرية وهي تسع قرى. انظر: (ص١٨٨-١٨٩) وذكر أسماء الجبال وهي تسعة، وفي نفس المصدر من ص (١٨٨-١٨٩) ذكر أسماء القلاع التي غيرت أسماؤها إلى العبرية إلى إحدى وعشرين قلعة، وذكر أسماء السهول والأودية والأنهار والشوارع والحارات والأشجار والعيون وغير ذلك. من ص (١٨٩-١٩١).

قلت: لعل هذه المحاربة تكون دافعا للمسلمين إلى المحافظة على لغتهم العربية فكما أن اليهود لا يريدون أن يتواجد في أوساطهم إلا لغتهم حتى في أسماء الأماكن فكذلك يطالب المسلم بالمحافظة على العربية بحيث لا يقبل الدخيل عليها ولو في الأسماء العادية.

ما قام به قواد الحملات العسكرية الغربية من محاربة اللغة العربية

قال المؤرخ الكبير/ محمود بن محمد شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار" (١٨٨-١٨٩):

(ولكن إلى أن غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨م لم يكن للمبشرين أثر يذكر في التأثير على أبناء البلاد العربية، فلما تولى محمد علي أمر مصر وزينت له نفسه أن يستقبل بها،

وأغراه طموحه أن يجعلها تناصي دار الخلافة في تركيا، انثال عليه قناصل الدول ليشدوا أزره، وليحطموا بمعاول جيشه صرح الخلافة العثمانية، فعاونوه على إنشاء المدارس، واستقدم لها المعلمين وأرسل البعثات إلى أوروبا منذ سنة (١٨٢٦م)، وكان أول الرأي لمن شهد هذه النهضة المفاجئة الجديدة أن تترجم كتب العلم الأوربي إلى العربية، وأن يؤلف بالعربية في هذه العلوم، حتى يُستغنى بعد قليل عن استجلاب الأساتذة الأوربيين للمدارس الثانوية والعالية).

وقال صاحب كتاب "الشعر النبطي" ص(٥٤): (إن دراسات كثيرة سارت في ركاب الحملات العسكرية، فقد رافق حملة (نابليون) على مصر وغزو الإيطاليين ليبيا اهتمام واضح بدراسة اللهجات العامية؛ إذ ألف (مارسيل) الفرنسي المشترك في حملة نابليون "كنز المصاحبة" وهو معجم فرنسي بالعامية المصرية، وقد ضمنه مفردات هذه اللهجة، وتراكيبها وقواعدها، وألف الإيطالي (سيزارو) العربية المتكلمة في طرابلس في فترة الغزو الإيطالي لليبيا، ثم اتسع ميدان الغزو الاستشراقي للفصحى، وامتد من الفرات إلى النيل، ومن خليج العرب إلى بحر الظلمات).

محاولة الدول الغربية فرض اللغة اللاتينية بديلا عن العربية عن طريق عملائها

اللغة اللاتينية لغة قديمة مهجورة، هجرها النصارى خصوصًا عند انتشار اللغة العربية في الأندلس وغيرها، ولما كان سعي الدول الغربية إلى إحلالها محل اللغة العربية

قام بعض أذنابهم بفرض اللغة اللاتينية في بلاده، وأشهر من قام بهذا الطاغية مصطفى أتاتورك، كما سيأتي إيضاحه في محله، فالدعوة إلى إحياء اللغة اللاتينية بجعلها بديلًا عن لغة القرآن والسنة جرأة عجيبة من أصحابها، واستعباد قائم برأسه، ولقد بلغ الأمر بالشاعر سعيد عقل أن ينشئ....مطبعة لكتابة اللغة العربية باللغة اللاتينية، قال صاحب كتاب "الإسلام والمستشرقون" ص(٦٨-٦٩): (وكان للشاعر سعيد عقل دور كبير في هذا المجال عندما أنشأ مطبعة هي الأولى من نوعها في الوطن العربي لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، مع إضافة بعض الحروف إليها، وفي هذه المطبعة قام سعيد عقل بطباعة مجموعة من كتبه ودواوينه الشعرية؛ ومن بينها ديوانه الشعري "يارا" على غرار ما فعل أتاتورك بالحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية.

والحمد لله! أن خطتهم هذه فاشلة وسيأتي ذكر عدد من الكتاب المؤيدين لهذا التبديل.

الدعوة إلى أن تكون اللغات البائدة بديلًا عن اللغة العربية

لقد دعا بعض الكتَّاب العصريين إلى إحياء اللغات البائدة؛ اقتداء منهم بأسيادهم المستشرقين

قال صاحب كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" ص(٢١٦-٢١٧): (انبرى مفكرون وكُتَّابٌ عرب للدعوة إلى الفرعونية وإعادتها إلى مصر، كما تعالت الصيحات

في لبنان داعية إلى الفينيقية؛ وارتكزت هذه الدعوة على أن اللبنانيين هم أحفاد الفينيقيين القدماء الذين كانوا سكان الساحل اللبناني قبل العرب، وادعت بأن اللبنانيين تاريخيًّا ليسو عربًا، وإنما هم خليط من أبناء الفينيقيين وأحفاد الإمارات الصليبية، وفي العراق انطلقت بعض الحناجر في الدعوة إلى البابلية والسومرية، والحمورابية، والنبوخذية، والادعاء بأن العراقيين الحاليين إنما هم أبناء لتلك الأقوام التي أنشأت الحضارات في العراق قبل الميلاد، وأن عليهم الاعتزاز بهم، وإبادتها تراثهم واستمداد العون والعزيمة من أرواحهم، وقد فشلت هذه الدعوات فشلًا ذريعًا أيضًا، وآية هذا الفشل ما يعترف به أكبر دعاة الفرعونية الدكتور/ محمد حسنين هيكل، وانقلبت الشمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعنة موئلا لوحي هذا العصر ينشأ فيه نشأة جديدة، ورأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر؛ ففيه حياة تحرك النفوس، وتجعلها تهتز وتربو).

الدعوة إلى إلغاء الإعراب في الكلام العربي

ومن أجزاء المؤامرة على اللغة العربية ؛ الدعوة إلى إلغاء الإعراب الذي تميزت به اللغة العربية عن غيرها من اللغات،-وهو من أسباب حفظها وبقائها- واستبداله بالتسكين في آخر الكلام زعموا.

قال صاحب كتاب «اللغة العربية بين التغريب والتهويد» (٢١٠): (وهناك من نادى بإلغاء صور الإعراب في الكلام العربي، واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات).

وقال الميداني في كتابه «أجنحة المكر الثلاثة» ص(٣٧٧) وهو يتحدث عن مطالب الأعداء في اللغة العربية: (المقترح الأول: إلغاء صورة الإعراب في الكلام العربي، واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات، ويحمل هذا الاقتراح في ظاهره التسهيل على الناطق بالعربية، ولكنه يحمل في باطنه هدم الصروح التي قامت عليها هذه اللغة العظيمة، وذلك يؤدي مع الزمن إلى التلاعب بمعاني معظم المصادر الإسلامية والعربية؛ لأنه متى ألغي الإعراب فقد ألغيت المستندات التي يتحاكم إليها في تحديد المعاني، ثم تحتاج اللغة الجديدة المسكنة الأواخر إلى قواعد أخرى تضبط بها المعاني).

قلت: لو لم يكن الإعراب ذا أهمية كبيرة ما جعله الأعداء في قائمة المؤامرة على لسان العرب، وهأ أنا أسرد أقوال جهابذة العلماء الدالة على أهميته الكبيرة.

قال صاحب كتاب «خصائص العربية» (١٦٩-١٧٠) مبينًا أهمية الإعراب: (ويرى ابن فارس أن الإعراب هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ؛ ولولا الإعراب ما ميز فاعل من مفعول ؛ ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا نعت من تأكيد).

ويؤكد ابن جني أهمية الإعراب حين يقول: (ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجًا (نوعًا) لاستبهم أحدهما من صاحبه).

ويقول القلقشندي: (لا نزاع في أن النحو هو قانون اللغة، وميزان تقويمها).

وهكذا فإن الإعراب ليس حلية لفظية وزخرفًا لفظيًّا ؛ بل له دلالة معنوية لتمييز المعاني المختلفة، وهناك صيغ كثيرة تختلف معانيها باختلاف حركاتها، فالآية الكريمة: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ إن قرئت لفظة (رسوله) بالكسر تؤدي إلى الكفر، وإن قرئت برفعها –وهو الصواب– تؤدي إلى استقامة المعنى.

وقال ابن مضاء القرطبي: (إني رأيت النحويين رحمهم الله قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته من التغيير ؛ فبلغوا بذلك إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا....). المصدر السابق ص(١٧١).

وقد جعل ابن خلدون في مقدمته ص(٥٤٥) النحو أحد أركان العربية ؛ بل أهم أركانها الأربعة قال: (أركان علوم اللسان العربي أركانه أربعة وهي:- اللغة، والنحو، والبيان، والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة).

قال في المصدر المذكور ص(٥٤٥-٥٤٦): (إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين، عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم؛ فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان، لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام، حسبما يتبين في الكلام عليها فنًّا فنًّا، والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو ؛ إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجُهِل أصل الإفادة، وكان من حق علم اللغة التقدم، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند، والمسند إليه، فإنه

تغير بالجملة، ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة ؛ إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة، والله سبحانه وتعالى أعلم، وبه التوفيق).

اتخاذ الدول الكافرة للغة العامية بديلًا عن اللغة العربية

لقد اتخذت الدول الكافرة، ومن ينفذون خططها أكثر من بديل عن اللغة العربية، ومن أعظم ذلك:

اعتماد اللغة العامية، وجعلها لغة الناس في كل المجالات، وأول من دعا المسلمين إلى استخدامهم اللغة العامية هو المستشرق الألماني (ولهلم سبيتا) قال صاحب كتاب "أجنحة المكر الثلاثة" (٣٥٣-٣٥٤):

(أول من حث على التحول عن الكتابة باللغة العربية الفصحى إلى الكتابة بالعاميات الإقليمية داخل البلاد العربية المستشرق الألماني الدكتور/ (ولهلم سبيتا)، وقد كان مديرًا لدار الكتب المصرية خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في كنف الاحتلال البريطاني، ففي سنة (١٨٨٠م) وضع في ذلك كتابًا سماه "قواعد اللغة العربية العامية في مصر" وقد أورد في هذا الكتاب نبذة عن فتح العرب لمصر سنة (١٩هـ).

وانتشار لغتهم بين أهلها، وقضائها على اللغة القبطية، لغة البلاد الأصلية، حسبما يرى والتي لم يبق من آثارها سوى بعض المفردات). وحاول في هذا أن يثير العنصرية العرقية المصرية ضد اللغة العربية، ثم اختتم مقدمة كتابه بشرح الفكرة التي راودته

طويلًا وهي اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية، إذ يقول: (وأخيرا سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودني على الدوام طول مدة جمع هذا الكتاب، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها، ويمس أمرًا هو بالنسبة إليها وإلى شعبها يكاد أن يكون مسألة حياة أو موت، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث، ولغة الكتابة).

وقال المستشرق الأمريكي صاحب كتاب "اللغة واكتشاف الحقيقة" (علينا أن نعلم أن كل لغة لها صنفان من القواعد، صنف يختص ببيان قواعد لغة كتب لها الغلبة والانتصار، فصارت لغة رسمية أطلق عليها وصف اللغة المعيارية، وصنف لقواعد اللغات الشعبية التي أهملت معالمها، وإن وظيفة دارس اللغات اليوم أن يجمع قواعد النحو والصرف والاشتقاق للغات الشعبية، ومن الخطإ أن نزعم: أن العامة يتكلمون غير مقيدين بقواعد لغاتهم، ولغة الخاصة هي لغة منطقية فقط قائمة على أساس من القواعد). نقلًا من كتاب "مجلة الشريعة" (١٤٢).

وقد سلك هذا الاتجاه المستشرق البريطاني....إبان احتلال بريطانيا لمصر، لما كان قاضيًا في المحاكم الأهلية في مصر بالقاهرة، وقد ذكر صاحب كتاب "الاستشراق – الذرائع-النشأة- المحتوى-" ص(١٠٣-١٠٤) عددًا من المدارس التي أسسها الغرب؛ لدراسة اللغة العامية قال: (أما المدارس التي تأسست لتدريس اللغات العربية العامية فهي:

١ – مدرسة نابولي للدروس الشرقية التي أنشئت ١٧٢٧م.

٢ – مدرسة لغات الشرق بالنمسا ١٧٥٤م، وكانت تعلم القناصل لغات الشرق، ومنها اللغة العربية، مهتمة بلهجاتها العامية، ثم أسست مدرسة اللهجات الشرقية ١٨٥١م

٣ – مدرسة باريس للغات الشرقية الحية، التي أنشئت ١٧٩٥م، ودرست فيها اللهجات العربية العامية.

٤ – مدرسة (لازارف) للغات الشرقية في موسكو ١٨١٤م، وفي ١٩٠٩م خصصت فرعًا لها لتدريس اللغة العربية ولهجاتها المحلية.

٥ – الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية ١٨٩١م، وكانت تدرس اللهجات العربية.

٦– وفي بريطانيا أنشأت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعًا لتدريس العربية الفصحى، وفرعًا للعامية الذي تخرج منه الجاسوس البريطاني (لورنس) الذي كان يتقن لهجات القبائل العربية إتقانًا تامًّا.

وكان من نتاج الذين تخرجوا من هذه المدارس:-

١ – لهجة بغداد العامية للمستشرق ماسينيون.

٢– لغة بيروت العامية للمستشرق أمانويل ماتسون.

٣– لغة المغرب العامية وقواعدها لـ سميل.

٤– قواعد العامية في مصر. تأليف/ ولهلم سبيتا.

٥– قواعد العامية الشرقية والمغربية. تأليف/ كوسان دوبرسفال.

٦- عامية دمشق تأليف/ برجستر آشر.

٧- اللهجة العربية الحديثة في مصر. تأليف/ كارل فولرس.

٨- العربية المحكية في مصر. تأليف/ سلدن ولمور.

٩- المقتضب في عربية مصر. تأليف/ فيلوت وباول.

وظهر أول أطلس لغوي عن لهجات الوطن العربي من تأليف (برجستر آشر) بعنوان أطلس لهجات سوريا وفلسطين.

وقال صاحب كتاب "كلية الشريعة والدراسات الإسلامية" (١٤٥): (إن الكتب التي صدرت في أوروبا وأمريكا حول اللهجات العربية –ما عدا البحوث التي لم تنشر وهي جاهزة للطبع، وما عدا المقالات في الدوريات العلمية- عددها (٨٨) كتابًا ومائة وأربعون.

(خريطة لغوية)

وقال صاحب كتاب "كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي" ص(٥٤):

(منذ مطلع القرن السادس عشر نشر (بدروردي الكالا) الإسباني معجمًا للهجة العربية في غرناطة، ثم اندفع المستشرقون يتنافسون في دراسة اللهجات العامية في الوطن العربي كله، ومراد هؤلاء المستعمرين من فرض العامية على المسلمين، ونشرها بينهم؛ ما صرح به غير واحد من المستشرقين، فقد قالوا: (من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون ولغتها واحدة، وأنظمتها واحدة، لا بد أن نستغل لفائدتنا العبارة القديمة: فرق تسد). المصدر السابق ص(٥٣).

وعلى ما سبق ذكره يتضح ما في الدعوة إلى اللهجات العامية، واعتمادها بديلًا عن اللغة العربية من تضييع كبير للمسلمين لكثرة اللهجات، فقد عد بعض العلماء لهجات قارة آسيا فبلغت (٩٣٧) وفي أفريقيا إلى (٢٧٦)، وأيضًا ليس للعامية مرجع يرجع إليه؛ قال الرافعي في "تاريخ آداب العرب": (العامية لا ترجع إلى قواعد مضبوطة، ولا هي من اللغات المكتوبة؛ فتقف عند حد محدود) وبعد أن ذكر مثالًا للعامية المخالفة للغة العربية كلمة (عليه) (فإنها في مصر بعدة ألفاظ كـ (علايه) و(عليه) بكسر اللام، وفتح الياء، و(عليه) بكسر اللام وسكون الياء). قال: (فإذا استطعنا تحقيق نسبة هذا المنطق إلى قبائل معينة، فهل تحقق نسبة الناطقين أيضًا؟ هذا ما لا جواب عليه، إلا أنه لا جواب له).

بل قال في المصدر المذكور (٦٩): (ولم نجد لأحد من علماء العربية في التاريخ الإسلامي كله بحثًا يشبه ما وضع من تلك العلوم، حتى ولا في لهجات العرب أنفسهم).

سعي الدول الغربية إلى فرض لغتها على المسلمين، وضرر ذلك عليهم

من المعلوم أن الدول الكافرة قديمًا إبان استعباد المسلمين وحديثًا تحت عولمة اللغة العربية، تفرض لغتها؛ لتكون هي الرسمية في الدوائر والدواوين والرسائل والمخاطبات، وإنشاء الاتفاقيات وغير ذلك، كما فعلت فرنسا مع دولة المغرب، فقد

فرضت عليها لغتها في مشروع سمته: (ميثاق التربية والتكوين) متكون من أربعٍ وستين صفحة، وخلاصته فرض اللغة الفرنسية على الطفل من أول دراسته الابتدائية، وفرض هذه اللغة في مرافق الدولة، فتصبح هي الأولى والأساس، قال صاحب كتاب "اللغة العربية بين التغريب والتهويد" (٢٣٧): (إن التعليم الجامعي العلمي خاصة في كثير من أقطار العروبة ما زال باللغات الأجنبية، فهو إنكليزي في أقطار، وفرنسي في أقطار، وروسي في أقطار، ولا توجد صيدلة عربية، ولا طب عربي، وما زال هناك إلى الآن من يجادل لإبقاء تدريس العلوم باللغات الأجنبية

وقال الرافعي في "وحي القلم" (٣/ ٣٣-٣٤): (وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد، أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا. وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا. وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع).

محاولة جعل اللغة الإنجليزية عالمية

من الأمور المهمة التي ينبغي أن تدرك وتطرق ببيان خطره: السعي من قبل أمريكا وغيرها في جعل اللغة الإنجليزية لغة العالم، وهو ما يسمى الآن بعولمة اللغة الإنجليزية وقد أحس بهذا الخطر بعض دول الغرب كفرنسا وألمانيا، وترى هذه الدول أن قبول

هذه اللغة مما يقوي نشر ثقافة أمريكا وسيطرتها عليها، وقد أعدت دراسة تبين مدى انتشار هذه اللغة عالميًّا، ومن ذلك ما نشرته مجلة البيان عدد شوال ١٤٢٢هـ يناير ٢٠٠٢م ومما جاء في المقال: ومن مظاهر وربما أسباب عولمة اللغة الإنجليزية أنها أصبحت لغة الإِنترنت بلا منازع، فقد أظهرت دراسة أجرتها إحدى المؤسسات الألمانية أن ٧٧٪ من صفحات الإنترنت باللغة الإنجليزية بينما لا تتمتع باقي لغات العالم مجتمعة إلا بـ ٢٣٪ من صفحات الإنترنت وقد جاءت هذه الدراسة بعد فحص أكثر من مليار صفحة إلكترونية على الشبكة.

وقال صاحب كتاب «العولمة مقاومة واستثمار» ص(٢٧): يوجد في العالم (٦٠٠٠) لغة لكن ٩٠٪ من برامج الإنترنت باللغة الإنجليزية مما يسبب تهميشًا للغات الأخرى.

والذي يهمنا في هذا الباب أن اللغة الإنجليزية في بلادنا العربية والبلدان الإسلامية حلت محل اللغة العربية، وصارت لغة التعامل بها في ميادين شتى، على تفاوت بين المتخاطبين بها من دولة إلى أخرى، فوا أسفاه! على المسلمين كيف يذوبون وتذوب لغتهم بين هذه اللغة وأمثالها من اللغات، التي ليست بشيء بجانب لغة القرآن والسنة، وأسفًا آخر أننا نرى شعوبا ودولًا تحافظ على الحرف الواحد من لغتها، بينما نشاهد أن كثيرًا من المسلمين قد فتنوا بلغة أعدائهم، وإلى الآن لا يريدون الرجوع إلى لغتهم المحفوظة بحفظ الله، والله المستعان!.

أضرار مدارس الكفار في بلاد المسلمين على أبناء المسلمين لغة وعقيدة

لقد مضى على المسلمين ثلاثة عشر قرنًا وهم في عافية من مدارس التنصير في أوساطهم، وفي هذه الآونة الأخيرة طمع الكفار في إفساد المسلمين، وتغيير عقيدتهم ولغتهم، في عقر دارهم فكادوا المسلمين بكيد عظيم، ومن ذلك فتح مدارسهم في بلاد المسلمين لتعليم أبناء المسلمين، وهذا الكيد ضرره مستطير؛ لأن نشأة الأجيال على هذا التعليم يعد صناعة لهم على الأسس التي وضعها العدو، فيستصعب اقتلاعها، وقد كثر تأسيس المدارس التنصيرية في بلاد المسلمين، حتى الجزيرة العربية لم تسلم من ذلك، فقد وضعت فيها هذه الألغام، بل لقد أقيمت الكليات والجامعات، والمعاهد، ولقد قال أحد المنصرين في مدارسهم: (هذه لؤلؤة عيني).

قال محمود بن محمد شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار" ص(١٨٦-١٨٧): (وتستطيع أن تجد فائدة عظيمة في تتبع تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين في رسالة كتبها الأستاذ جرجس سلامة، وإن كان قد نظر إلى هذا الموضوع من غير الوجه الذي ننظر إليه منه، ولكنه أقر في مقدمته أن هذا التعليم قد بدأ في مصر؛ لأغراض دينية بحتة، وأنه اتجه نحو الاستقلال والعزلة: حتى أصبح التعليم الأجنبي دولة داخل الدولة، يوجه النشء الوجهة التي يراها، ويصبغهم بالصبغة التي يرغبها، دون إشراف فعلي من الدولة عليه، ويقول أيضًا: (بل بلغ الأمر إلى حد أن اشتملت بعض الكتب المستعملة على معلومات خاطئة مضللة عن مصر

ذاتها، وكان كل ذلك يدرس لأبنائنا مع انعدام وجود أي توجيه قومي يوجه شبابنا الوجهة الوطنية الصحيحة). وقال أيضًا: (وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء قد أسهمت بنصيب كبير في إضعاف اللغة العربية، فهي تلقى في خِضَمِّ الحياة المصرية كل عام من ينظرون إلى غيرهم من طبقات المتعلمين، في المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة).

وقال (زويمر) رئيس التنصير في الوطن العربي: (إن الخطباء قد أخطئوا أيما خطإٍ، وإنه ليس الهدف الحقيقي للتبشير هو إدخال المسلمين في النصرانية، وإنما الهدف هو تحويل المسلمين من التمسك بدينهم، وفي ذلك نجحنا نجاحًا باهرًا، عن طريق مدارسنا الخاصة، وعن طريق المدارس الحكومية التي تتبع مناهجنا). نقلًا من "العربية بين التغريب والتهويد" ص(١٤٨).

وقد أفاد هذا البيان أن مدارس النصارى في بلاد المسلمين على قسمين، مدارس خاصة بهم، ومدارس تابعة للمسلمين، ولكن لهم نفوذ فيها، فالمدارس الخاصة لا يجهل المسلم أنهم يدرسون فيها كل ما يمكن أن يدرسوه أبناء المسلمين مما يفسدهم إفسادًا شاملًا، وأما المدارس الحكومية التي لهم نفوذ فيها فيدسون في التعليم ما يريدون، وقد مثل بعض منظري هذه المدارس في بلاد المسلمين بقوله: (المدرسة كالطعم، والتنصير كالسنارة للاصطياد) ويقول: (لا خير في سنارة بلا طعم) أي لا خير في مدرسة ليس فيها تنصير.

وأما أضرار هذه المدارس فكثيرة وخطيرة، أذكر منها ما يأتي:-

١- تعليم أبناء المسلمين باللغات غير العربية، من فرنسية وإنجليزية وغيرهما، مع التنفير عن اللغة العربية، والطعن فيها، وهذا يؤدي إلى هجرها من قبل هؤلاء الطلاب والتعقد منها، بل وإلى محاربتها، فلو لم يكن من المفاسد إلا هذه لكانت كافية.

٢ - تحبيب الديانة النصرانية كليًّا أو جزئيًّا إلى أبناء المسلمين، وغرس عظمها في نفوسهم مع الطعن في الإسلام، وعلى أثر هذا التعليم فارتقب تنصر بعض أبناء المسلمين!!.

٣ - إلقاء الشبهة على أبناء المسلمين المتعلقة بالإلحاد الديمقراطي، من دعوة إلى الحرية والمساواة، فينتج بسبب ذلك فساد عظيم، وشر جسيم، أضف إلى ذلك: أن القائمين على هذه المدارس جواسيس علينا لدولهم وقد أفتى علماء الإسلام أفرادًا وجماعات مؤسسات وهيئات، ولجانًا بتحريم تعلم أبناء المسلمين في مدارس تابعة للكفار، وبينوا أضرار ذلك، وقد حشد كثيرًا من فتاواهم العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه "المدارس العالمية..." من ص(٨٢-١١٦) فارجع إليه.

قلت: ولا تظن أن اليمن بعافية من مدارس ومعاهد الكفار فيها؛ فلقد وجد منها ما هو كفيل بشر مستطير وانحراف خطير كمثل المعهد الكندي بصنعاء والمعهد البريطاني والمعهد الأمريكي والفرنسي فقد نشرت صحيفة الزاجل في عددها (٧٩) ٢٧/ يناير/ ٢٠٠٧م تقريرًا عن التنصير في اليمن وذكرت هذه المعاهد ضمن المنظمات التي تسعى للتنصير في بلد الإيمان والحكمة، ومن الأمثلة على ما يحصل من سعي

التنصير ما حصل أن شابا من آنس كان يدرس في المعهد الكندي بصنعاء واستمر مدة شهرين وفي هذه المدة سعوا في تنصيره ووضعوا علامة الصليب على ساعده الأيسر فسافر إلى قريته فاكتشف أخوه الأصغر علامة الصليب على يد أخيه فأبلغ أباه بالأمر فقام الأب وأخذ سكينًا ووضعها على النار حتى احمرت ومن ثم وضعها على علامة الصليب حتى محاه ومنع ابنه من مواصلة الدراسة في المعهد المذكور، وبعد ذلك قام الشاب المذكور بعصيان والديه وعادى إخوته وأخواته، حتى بلغ به الأمر إلى أن امتنع أن يأكل معهم وكان يلعن أباه وأمه ويسبهما وحاول أن يضربهما، وكان يناصر النصارى فنصحته أمه باجتناب هذا، فقال: (ليس هناك رب؟! واستمر على هذا المنوال، وفي أحد الأيام وتحديدا يوم الأربعاء ٦/ ٢/ ٢٠٠٨م سب أمه وضربها فاستغاثت بابنها الأكبر فقال الابن الأكبر بزجره وطرده فقام ذلك الشاب في نفس اليوم بسب أبيه وأم أبيه وكان الأب في مزرعته فقام أبوه وأطلق عليه الرصاص من أجل تخويفه فما كان من ذلكم الإبن العاق الشقي إلا أن قال لأبيه: يا فاعل بأمك كذا وكذا وضِّعها، أي: اقتلني فما كان من الأب عند أن سمع ابنه يقول يا فاعل بأمك كذا وكذا إلا وأطلق عليه الرصاص مرة أخرى؛ بغية إصابته في رجله ولكن شاء الله أن تكون الرصاصة في فمه ولعل الله استجاب دعاء أمه فقد دعت عليه ذلك اليوم عند أن ضربها وسبها بقولها أسأل الله ألا يروحك أي إلى البيت وأن يجعل اليوم يدور على رأسك وأن يلقيك غريمك فما دخل البيت ذلك اليوم إلا ميتًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نصارى الشام ومصر وغيرهما يقومون بثورة ضد اللغة العربية

إن الأقليات النصرانية المتواجدة في مصر والشام وغيرهما من بلاد المسلمين تقوم بأعمال إجرامية متنوعة ضد المسلمين ؛ تارة يعملونها جهارًا، وتارة سرًّا، ومن هذه الأعمال القيام بحرب شعواء ضد لغة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله صاحب كتاب «الإستشراق - الذرائع - النشأة - المحتوى» ص(١٠٥-١٠٦):

(لقد عد المستشرق الفرنسي المعاصر (جاك بيرك) قيام نصارى الشام بهذه المهمة ثورة أدبية من داخل اللغة العربية ذاتها ؛ يساعد عليها أن اللغة العربية وآدابها - بزعمه- مدنية منذ بداية العصر الحديث للمؤثرات الغربية عن طريق ما حملته اللغة الفرنسية من نظريات فكرية، وعادات لغوية، بفضل الصداقة الوطيدة بين الآباء اليسوعيين في لبنان، والأدباء الفرنسيين مثل الأب بيلو).

وقال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» ص(٦٥) وهو يتحدث عن أعمال هذه الأقليات: (وهكذا بذلت محاولات منذ أواخر القرن التاسع عشر لتحويل اللهجات العامية إلى لغات مستقلة، قائمة بذاتها، ومنفصلة تمام الانفصال عن اللغة العربية، وكان دعاة هذا الاتجاه يعلنون بصراحة، ودون مواربة عدم وجود أي رابط بين الشعوب التي تسكن المنطقة العربية، وبالتالي فهم يطالبون بضرورة تحرير كل شعب من هذه الشعوب عن طريق ثورة أدبية شعبية من اللغة العربية، بحيث تكون هناك لغة

مصرية يعبر بها شعب مصر عن شخصيته العصرية الخاصة، ولغة سورية يعبر بها شعب سوريا عن شخصيته الخاصة أيضًا.....)إلخ.

قلت: ومن أفراد هذه الأقليات سلامة موسى النصراني القبطي المصري.

قال صاحب كتاب «نظرات شرعية في فكر منحرف» (١/ ٣٣٢-٣٣٣) وهو يتحدث عن سلامة موسى: (دعوته إلى محاربة اللغة العربية، والانتقال عنها إلى اللاتينية يقول الهالك: لن يكون في بلادنا نهضة علمية، ولن ترقى الصناعة إلا حين تتخذ الحروف اللاتينية؛ أي لن تستعرب العلوم إلا إذا اسلتن الهجاء العربي) «البلاغة العصرية واللغة العربية» سلامة موسى ص(١٦٥).

ومنهم أيضًا جورجي زيدان من نصارى لبنان ومن مؤلفاته:

١- الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية.

٢- آداب اللغة العربية. أربعة أجزاء.

قال صاحب كتاب «نظرة شرعية في فكر منحرف» (١/ ٤٤٣-٤٤٥): (أما انحرافاته في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية » فقد أبان عنها الشيخ أحمد عمر الإسكندري، - رحمه الله - في مقالة له نشرت في «ذيل رسالة النعماني» السابقة جاء فيها: {الأمور التي تؤخذ على الكتاب...} وذكر أربعة عشر بندًا).

قال الأستاذ شوقي أبو خليل في كتابه «جورجي زيدان في الميزان» ما نصه: (قدمنا ملاحظاتنا حول روايات جرجي زيدان التي تعمد فيها التخريب والكذب ؛ لأجل تحقير العرب عن سوء قصد، لا عن جهله، فلا ينقص جرجي العلم بعد أن أوهم قراءه

أنه عاد إلى مصادر ومراجع عربية، لكنه تعمد التحريف، وتعمد الدس والتشويه، وتعمد فساد الاستنباط، مع الطعن المدروس لعمالته الأجنبية، ولتعصبه الديني الذي جعله ينظر إلى تاريخنا العربي الإسلامي، وآداب اللغة العربية بعين السخط والحقد).
انظر كتاب: "نظرة شرعية في فكر منحرف" (١/ ٤٤٤-٤٤٥).

ومنهم ما قاله صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(٢١٠): (وانتقلت الدعوة إلى العامية من مصر إلى لبنان، فتحمس لهذه الفكرة كثير من النصارى اللبنانيين، مثل: سعيد عقل، وأنيس فريحة، ولويس عوض، وغيرهم، وفي حزيران من عام ١٩٧٣م عقد في (برمانا) بلبنان مؤتمر هيأت له بعض الجهات الأجنبية، وحضره كثير من الأجانب جلهم من الرهبان اليسوعيين، وكان الغرض منه هدم معالم اللغة العربية،والاهتمام بالعامية).

ولو تتبعنا محاربة الأقليات النصرانية للغة العربية لطال بنا المقام، وما ذكرناه هاهنا فيه إقناع لمن يحسن الظن في هؤلاء النصارى ؛ زعمًا منه أنهم يحرصون على حق المواطنة.

بعض الشركات النصرانية في الجزيرة العربية يحارب اللغة العربية

لقد بلغ بالمستشرقين والمنصرين أن دفعوا بعض الشركات النصرانية إلى محاربة الإسلام، وعلى وجه الخصوص محاربة اللغة العربية، ومما يدل على ما قلت ما ذكره صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» ص(٦٣-٦٤) قال: (وعندما تفجرت أرض

الخليج العربي بالذهب الأسود كان لا بد من وجود الشركات البترولية ؛ والغريب في الأمر أن تهتم شركات البترول بنشر الكتب المدرسية عن لهجات شرقي الجزيرة العربية، وقد أعدت –حسب المزاعم– بواسطة شركات الزيت خدمة لموظفيها، لذلك نشرت شركة نفط الكويت كتابًا مدرسيًا في طبعتين سنة (١٩٥١) وهو:

A Hand book of Ku waiti Arabic

كما نشرت الشركة المشهورة (أرامكو) كتبًا مماثلةً منها:

Spokcn Arabic (Dhahran, ١٩٥٧) Basic Arabic (Dhahran ,١٩٥٧) and con vcrsational Arabic (Bcirut, n. d).

وأخرجت شركة بترول البحرين كتابًا بعنوان:

A hand book of the spokcn Arabic of Bahrain (n.d. or placc)

وفي قطر أصدرت الحكومة كتابًا مدرسيًا صغيرًا:

Spokcn Arabic of Qatar (K.Dajani, Bcirut١٩٥٦).

وقد أصدر أحد أعضاء البعثة الأمريكية في الكويت كتابًا مدرسيًا هو:

Spokcn Arabic of the Arabian Gulf (E.bcjong , Bcirut١٩٥٨).

وأكثر هذه الكتب علمية على حد قول (جونستون) وهو دليل شركة نفط الكويت، وفي الطبعة الثانية مع ذلك بسطت فيه لسوء الحظ الرموز الصوتية الدولية المعدلة التي استعملت من أجل كتابة الحروف العربية باللاتينية، ولذلك لم يكن هناك تفريق بين الحاء والهاء، ولا بين الصاد والسين، ولا بين الظاء والدال، ولا بين الطاء والتاء ».

قلت: الظاهر للمسلمين أن هذه الشركات النصرانية، وغيرها من الشركات الكافرة، أنها تترفع عن عمل الدعوة ضد الإسلام، ولكن هذا الظاهر لا يكفي في تبرئة الشركات، بل يتوقع أن تكون شركات كثيرة قد درست الدعوة إلى التنصير أو في عمالها

منصرون تسمح لهم بذلك؛ لأن النصارى يرون أن هذه الأيام فرصتهم أن يدعوا إلى ما يريدون من الفساد والإجرام لأنهم يرون أن المسلمين صاروا ضعفاء والذي ليس بضعيف هو في غفلة عما يكاد به وبدينه ومن لم يكن في غفلة وعنده شيء من اليقظة فيرون أن الأمر ليس بيده، وأيضا يرون ما لدولهم من سيطرة ونفوذ على الدول العربية والإسلامية فيتشجعون أكثر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال أيضًا: أما في الحقل المعجمي فقد أصدرت شركة (أرامكو) كتابها الذي ألف باللغة العامية:

English – Arabic word list (bcirt١٩٥٨).

وكذلك الحال بالنسبة للمستشرق (موير) في بعض الاصطلاحات الملاحية في لهجة الكويت العربية، والمستشرق فالين، وفتزشتاين، وسوسين، وكتاب «مايتسنر» وهو عبارة عن دراسة قيمة –حسب تعبير جونستون- للهجة الريف في جنوب العراق، أما أكثر المواد أهمية لهذه المنطقة على وجه الإطلاق، هي: ما جمعه المستشرق الفرنسي (كانتينو) في بحوثه... وقد طبع مرتين: الأولى سنة (١٩٣٦)، والثانية سنة (١٩٣٧)، والكتاب الذي نشره (هيس) يعطي أمثلة على الملامح الصوتية، والصيغ النحوية في لهجة عتيبة، وأن أكثر الدراسات أهمية اللهجة العمانية، والتي ليست في نفس مجموعة- لهجات شرقي الجزيرة، ولكنها مهمة من الناحية المعجمية للهجات الساحل المعاهد هي دراسة (راينهاردت)، والتي طبعت في برلين سنة (١٨٩٤)، وكذلك معجم (جايكار) سنة (١٨٨٩).

هذا على صعيد شرقي الجزيرة العربية، أما على صعيد المغرب العربي، ومصر وبلاد الشام، والتي استأسدت فيها القوى الاستعمارية لطمس الشخصية العربية، وزعزعة أركانها عبر إحدى المقومات الأساسية لها، والمتمثلة في اللغة، فقد برزت الدعوات المشبوهة التي تعد من أهم الأسافين الاستعمارية).

قف على طريقة أخرى يتعامل بها المنصرون مع اللغة العربية

من المنصرين من يتعلموا اللغة العربية، لا حبًّا فيها، ولكن ليسهل عليهم تنصير المسلمين، خابوا وخسروا! وهم من جهة أخرى من أشد المحاربين لها.

قال صاحب كتاب "رؤية إسلامية للاستشراق" ص(٥٢): (ونجد أن مؤتمر التنصير العالمي الذي عقد بولاية كولورادو سنة (١٩٧٨) قد أوصى المنصرين العاملين بين المسلمين باستخدام مراجع معينة عن الإسلام، ومعظم هذه المراجع كتبها مستشرقون، وجاء في الخطاب الرئيسي في ذلك المؤتمر تحديد لمؤهلات المنصر الفعال في صفوف المسلمين، وهي كما يلي:-

التمكن من اللغة العربية، والقرآن والمصادر اللاهوتية الإسلامية...).

وقال أيضًا ص(٥٨): (وكان (ريموند لول) يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية؛ بهدف استعمالها لتنصير المسلمين، وقد تعلمها هو نفسه لذلك الهدف، وأبحر إلى تونس والجزائر، حيث عرف هناك بالصوفي النصراني، وكان يطوف بين المسلمين

فقيرًا واعظًا منصرًا حتى سجن وطرد من هناك، ولم يكن تعلمه اللغة العربية، ودعوته إلى تعلمها حبًّا فيهًا، بل كوسيلة لذلك الهدف التنصيري، وإلا فإنه كان كمعظم المستشرقين يبغضها، ويصفها بأنها لغة تشبه أصوات ولغات الحيوانات).

وقال صاحب كتاب "بحوث في الاستشراق" (٣٨١): (وأضف إلى ذلك المنصرين، ورجال الاقتصاد، يقول (آبري): فبينما التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية؛ إذ بالمبشر الإنجيلي يسبقه تارة، أو يتبعه حثيثًا تارة أخرى، وقد امتلأ حماسة شريفة؛ لأن يحقق أمر معلمه المسيح، وقد وجد أن مما يساعده على تحقيق ما يرمي إليه في الخلاص الروحي أن يتعلم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير).

وقال صاحب كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي" ص(١١٨): (وقد كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير في القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، وقد كان هذه الاقتناع –الذي ترجم فيما بعد إلى خطة عمل- عاملًا مهمًا بالنسبة لتطور الاستشراق).

وقال عبد الرحمن بن حبنكة الميداني في كتابه "أجنحة المكر الثلاثة" (٣٦٤) وهو يتحدث عن مؤتمر أقيم في لبنان عرف بمؤتمر برمَّان (وكشف الدكتور عمر فروخ في تقريره عما دار في المؤتمر خيوط المكيدة المدبرة للغة العربية وللإسلام، إذ قال في تقريره: (وفي أثناء الجلسات الرسمية للمؤتمر، وفي الفترات المتعددة بين الجلسات، جرت

بحوث واقتراحات وملاحظات جعلتني أوجس خيفة شديدة من المشروع....إن كل ما دار في مؤتمر (برمانا) كان يولد فيَّ شعورًا بأن الغاية الأولى والأخيرة من المؤتمر الاهتمام بالعامية.. لقد حضر هذا المؤتمر عدد قليل من اللبنانيين، ونفر من العرب غير اللبنانيين، (وكثرة) من الأجانب، لفت نظري أن جلهم من الرهبان اليسوعيين....).

وقال العفاني في كتابه "أعلام وأقزام" (٢/ ٤٦٥) في ترجمة المنصر وليم ويلكوكس: (وكان من أكبر مهندسي الري والخزانات، حتى عمل مبشرًا يجادل الناس في عقائدهم، ويحمل إلى القرى النائية الأدوية والتبشير، وظل يعمل في مستشفى مصر العتيقة (هرمل) المعروف إبان حملات التبشير التي أثارت الرأي العام، وقد كتبت مجلة اللطائف عنه أنه اعتكف سنة (١٩٢٦) في داره بحلوان خرج منه أخيرًا مبشرًا يجيد اللغة العربية، وبدأ حركة التبشير في مسكنه الحالي الصغير في جهة الزمالك حيث وضع كتابين أو ثلاثة كتبها باللغة العامية، وأطلقها على آخرها اسم "الأكل والإيمان" ووزع كتابه بنفسه مجانًا على العامة في المدن، وسكان القرى، وكان ينتقل بينها ويجالس أهلها).

وقد وجدنا هؤلاء المنصرين يجهدون أنفسهم في تعلم لهجة كل بلد، فمثلًا عندنا في اليمن منهم من تعلم اللهجة الصنعانية، ومنهم من تعلم اللهجة الصعدية، ومنهم...، ومنهم... فالله أسأل أن يحيط بهم!.

قرار الأمم المتحدة الظالم في اللغة العربية

قال صاحب كتاب "خصائص العربية (٧٧): (وهناك في فلسطين المحتلة تدرس العلوم في الجامعات والمعاهد العليا باللغة العبرية التي تنحصر في بيئة ضيقة محدودة، بينما اللغة العربية قد اعتمدت في هيئة الأمم المتحدة كلغة سادسة لشعوب الأرض كافة، يتكلمها ما يزيد على (١٨٠) مليونًا من العرب، وتهفو إليها قلوب مئات الملايين من المسلمين).

قلت: جعل الأمم المتحدة اللغة العربية في المرتبة السادسة قرار فيه إجحاف كبير؛ لأن الأمم المتحدة لا تجهل مكانة اللغة العربية فتقديمها عدة لغات عليها هذا من أبطل الباطل؛ فهي من أبرز اللغات الرسمية.

قال صاحب كتاب "ثمانون حربًا من الحرب الفرانكفورنية ضد الإسلام واللغة العربية" ص(١٢): (واللغة العربية اليوم فضلًا عن كل ذلك، هي إحدى اللغات العالمية الرسمية في الأمم المتحدة، واللغة الثانية الرسمية في غالب الدول الإسلامية، وإحدى اللغات الحية الأجنبية المقررة في الجامعات الغربية والشرقية).

تدفق المصطلحات الكفرية على المصطلحات الشرعية

تدفق المفردات والمصطلحات من بلاد الكفار على المسلمين كثير جدًّا، تكاد تستولي على كثير من المصطلحات الشرعية، وقد صار التخاطب والتكلم بها عند كثير من المسلمين.

ومنها استعمال الآتي:

١ - الأجانب: بدلًا من الكفار.

٢- الحرب: بدلًا من الجهاد.

٣- التراث: بدلًا من الإسلام.

٤- المساعي الحميدة: بدلًا من الصلح بين طائفتين من المسلمين.

٥- الوطنية والقومية: بدلًا من الإسلام.

٦- الفلسفة: بدلًا من الأحكام.

٧- الضريبة: بدلًا من الزكاة.

٨- الشرق الأدنى: بدلًا من الوطن العربي.

٩- الانتفاضة: بدلاً من الجهاد.

١٠- الضمير: بدلًا من التقوى والخوف ومراقبة الله.

١١- أعمال إنسانية: بدلًا من أعمال شرعية.

١٢- الدستور: بدلًا من القرآن.

١٣- القوانين: بدلًا من الأحكام الشرعية.

١٤- الرأي: بدلًا من الدين كقولهم: الرأي والرأي الآخر، ويريدون بالآخر الإسلام.

١٥- تسميتهم الأرض بالكوكب.

١٦- تسميتهم مجلس أهل الحل والعقد بالمجلس التشريعي، وكإطلاقهم على الإسلام الفكر الإسلامي، والفكر الديني، وإنما هو وحيٌ منزل من عند الله، وليس بفكر، وإعدام بدلًا من كلمة قتل.

ناهيك عن إطلاقهم على الإسلام أنه رجعي وتخلف، وتزمت، وتطرف، وغير ذلك.

والناظر في استخدام المصطلحات الوافدة على المسلمين يرى أنها قد دست ألفاظها في مجال العقيدة والعبادة والسياسة والاقتصاد وغير ذلك، وقد انتشرت كتب المستشرقين من يهود ونصارى، وكتب أرباب النظريات بين المسلمين، خصوصًا في المجتمعات الإسلامية المستعبدة من قبل اليهود والنصارى، وقام المستشرقون بتلقين أبناء المسلمين مصطلحاتهم إلى جانب وجودها في كتبهم، فعظم الخطب؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن أراد زيادة المعرفة والاستفادة من كلام أهل العلم على هذه المصطلحات، فننصحه بالرجوع إلى مؤلفات العلماء في هذه المسألة.

ومن ذلك كتاب "معجم المناهي اللفظية" للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، وهو كتاب نفيس في هذا الباب.

وكتابه "تغريب الألقاب العلمية".

وكتابه "فقه النوازل" وغيرها من الكتب.

الفصل الثاني
تعريف الاستشراق والمستشرقين

قال في "الموسوعة الميسرة" (٢/ ٦٩٧) وهو يتحدث عن الاستشراق: (ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم).

وقال صاحب كتاب آراء المستشرقين" (١/ ٢٣) وهو يعرف المستشرقين: (عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية، عقدية كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية...).

وقال صاحب كتاب "الاستشراق رسالة الاستعمار" ص(١٥١) في تعريف المستشرق: (هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية).

وقال صاحب كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي" ص(١٦): (والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه).

فهذه التعاريف متقاربة تصب في مصب واحد وخلاصتها: أن الاستشراق هو دراسة الإسلام وأحوال أهله؛ للتوصل إلى الطعن فيه وفي أهله.

فالمستشرقون هم الذين درسوا الإسلام ولغته وأحوال أهله قديما وحديثًا.

ظهور المستشرقين وانتشارهم في بلاد المسلمين

ففي الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ٦٩٧) ما نصه: (لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولًا في إنجلترا عام ١٧٧٩م وفي فرنسا عام ١٧٩٩م، كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٨م).

وقال صاحب كتاب "بحوث في الاستشراق" (٣٨٠-٣٨١): (وقد ازدادت حاجة أوروبا في القرن السابع عشر إلى أن تعرف العربية معرفة أوثق تتناسب ومصالحها في الشرق، فقد آن الأوان للاتجاهين السابقين أن يمارسا نشاطهما بطلاقة، الاتجاه الذي كان يدعو إلى استخدام القوة العسكرية في التعامل مع الشرق، وقد تمثل هذا في الاستعمار... والاتجاه الذي يدعو إلى الحرب الثقافية، ويتمثل هذا في التنصير، وقد واكب الاتجاهين رغباتٌ في تحقيق المكاسب التجارية التي تصارع عليها في هذا القرن كل من البرتغال والروس، ثم الإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الدول الأوروبية، وقد أصبح الاستشراق في هذا القرن مدعومًا بالمصالح السياسية الاستعمارية، بل إن بعض رواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنى؛ ليعمقوا معرفتهم بالعربية والتركية).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين" (١/ ٣٨): (وقد أكد (رودي بارت) أن الدافع العلمي في الحركة الاستشراقية لم يظهر إلا في منتصف القرن التاسع عشر).

وقال صاحب كتاب "الاستشراق رسالة استعمارية" (١٧٥): (إن الازدهار الحقيقي للاستشراق والدراسات الشرقية في القطاعين الرئيسيين وهما: العالم العربي، والشرق الأقصى يعود تاريخه بالدرجة الأولى إلى عصر التمركز الاستعماري، وبشكل خاص إلى السيطرة الأوروبية على القارات (المنسية)، في أواسط القرن التاسع عشر، ثم في ثلثه الأخير).

قلت: فهذهِ الأمور متقاربة؛ لأن المستشرقين في هذه الأزمنة المذكورة كانوا متواجدين، وكلما تأخر زمن كان ظهورهم وانتشارهم أكثر وأخطر.

المستشرقون الأوائل كانوا من تلاميذ أرباب الكنائس

إن إعداد المستشرقين لمحاربة المسلمين واللسان العربي كان في أول الأمر مكيدة بابا الفاتيكان، وتبعه على ذلك الرهبان.

قال صاحب كتاب "آراء المستشرقين" (١/ ٢٥-٢٦): (وكان من أوائل من اهتم بالدراسات الاستشراقية الراهب الفرنسي (جوبرت) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩م) بعد تعلمه في مدارس الأندلس وعودته إلى بلاده، والراهب بطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م) والراهب (جيراردي كريمون) (١١١٤-١١٨٧م) و(فردريك) الثاني ملك صقلية سنة (١٢٥٠م) والفونس ملك قشتالة و(جوبرت) الراهب الفرنسي وغيرهم).

وبعد ظهور هؤلاء المستشرقين أقيم مجمع (فينا) والذي أقر بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية قال في "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (٢/ ٦٩٧) ما نصه: (وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع (فينا) الكنسي عام (١٣١٢م) وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين" (١/ ٢٧): (وقد كان كثير من هؤلاء المستشرقين من منسوبي الكنيسة لذا التقت في الاستشراق أهداف جمعيات التبشير).

وفي المصدر المذكور ص(٣٠) ما نصه: (فقد بدأ أول الاستشراق أول ما بدأ -كما ذكرت سابقًا- من الفاتيكان، وكان أول رواده من رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت، حيث ظلوا المشرفين على هذه الحركة والمسيرين لها حتى القرن التاسع عشر).

وفي المصدر المذكور (١/ ٣١): (وقد استمرت سيطرة الكنيسة على حركة الاستشراق من سنة (١٣١٢م) إلى القرن الثامن عشر حيث بدأ بالفصل بين اللاهوت والدراسات الاستشراقية في بعض البلاد الغربية كفرنسا وإنجلترا، أما ألمانيا والنمسا فقد استمرت فيهما سيطرة الكنيسة على الحركة الاستشراقية).

قلت: وما هذا المكر من أرباب الكنائس إلا جزء من مكرهم التاريخي بالإسلام وأهله، منذ بعث رسول الله ﷺ، وما هذه المنظمات التنصيرية المتدفقة على المسلمين إلا كتائب كنائسية؛ لنشر التنصير.

محاربة اللغة العربية
الهدف الأول للمستشرقين والمستعبدين

لقد أدرك المتآمرون على المسلمين أن اللغة العربية سدًّا عظيمًا يحول دون وصولهم إلى أهدافهم العدوانية، فقرروا أن يحطموا ذلك السد المنيع شيئًا فشيئًا، فأعدوا العدة لذلك، وجعلوا محاربة اللغة العربية هدفًا رئيسيًّا لهم، ومقدمًا على كثير من مخططاتهم الإجرامية؛ لأن العدو لا يقدر على معرفة عدوه إلا إذا عرف كلامه، فرأوا أن مدار المعركة قبيل وقوعها يقوم على معرفة لغة العدو.

قال مصطفى صادق الرافعي في كتابه "وحي القلم" (٣/ ٣٣): (لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته، انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده).

وقال صاحب كتاب "الاستشراق- الذرائع – النشأة – المحتوى" (٩٧): (تأتي اللغة العربية في مقدمة الكلام في المحتوى الاستشراقي...فقد اهتم المستشرقون بدراستها).

وقال صاحب كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في الوطن العربي" (١١٨): (إذا كان الاستشراق لا يقوم إلا على أساس معرفة اللغة الشرقية التي هي

الوسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق، فإن التنصير يتفق مع الاستشراق في هذا الصدد، ويحتم أيضًا معرفة لغات من يراد تنصيرهم).

وقال صاحب كتاب "الإسلام والاستشراق" (٨٦): (ومن هنا غدت الحضارة العربية، واللغة أولًا على محك الخطر المنظم).

وقال صاحب كتاب "من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام" (٢٧): (مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية، وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم...ثم تطور هذا السبب فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين في المثل العليا للإسلام، والرغبة في التبشير بدينهم بين المسلمين، ومحاولة تنصيرهم).

فهل علم عقلاء المسلمين ونبلاؤهم أن القضاء على لغة القرآن إصابة خطيرة في المسلمين في دينهم وعزهم وملكهم؟!.

كثرة المستشرقين الذين اتجهوا إلى محاربة الإسلام، ولغته، وتواجدهم بين المسلمين

المستشرقون الذين يحاربون الإسلام والمسلمين كثر لا يحصيهم إلا الله، ومما يدل على كثرتهم في بلاد المسلمين أمور، منها:

تواجدهم في أعمال تخص المسلمين، وعلى سبيل المثال ما قاله صاحب كتاب «آراء المستشرقين» (١/ ٦١): (كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق من المستشرقين منذ سنة (١٩٢١م)، والذي بلغ عددهم حوالي (٦٦) مستشرقًا). فإذا كان هذا العدد الضخم في مجمع واحد، فهناك أعداد في المجمعات اللغوية الأخرى، وهذه المجمعات قليلة بالنسبة للجامعات التابعة للمسلمين التي تكتظ بالمستشرقين، والتي هي أعداد كبيرة، وفي كل جامعة أقسام دراسية متعددة، ويدل على كثرتهم كمية ما ألفوا من الكتب، كما سبق ذكره.

قال صاحب كتاب «المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي» (١٤٤): (ولقد أشار نجيب العقيقي في كتابه «المستشرقون» (الجزء الثاني) إلى أكثر من ثلاثمائة مستشرق بريطاني في عصور وأزمنة وفترات مختلفة ومتفاوتة، اهتموا بالدراسات الشرقية على مجملها، فمنهم من كانت له اهتمامات بالدراسات الإسلامية والعربية، ومنهم من اهتم بالدراسات واللغات الهندية والفارسية، حتى اتسعت دائرة اهتماماتهم إلى جزائر الهند الشرقية والشرق الأقصى).

وإذا كان هذا العدد من بريطانيا فقط فكم سيكون العدد من جميع الدول؟!.

قال أصحاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٧٠٦): (الغرب هو المسرح الذي يتحرك فوق أرضه المستشرقون، فمنهم الألمان، ومنهم البريطانيون، والفرنسيون، والهولنديون، والمجريون، وظهر بعضهم في إيطاليا، وفي إسبانيا، وقد علا نجم الاستشراق في أمريكا، وصارت له فيها مراكز كثيرة).

وفي المصدر المذكور ما نصه: (لم تبخل الحكومات، ولا الهيئات، ولا الشركات، ولا المؤسسات، ولا الكنائس في يوم من الأيام في دعم حركة الاستشراق، ومدها بما تحتاجه من مال، وتأييد، وإفساح الطريق أمامها في الجامعات، حتى بلغ عدد هؤلاء المستشرقين آلافًا كثيرة).

من أقوال المستشرقين الدالة على أن اللغة العربية بهرتهم فحاربوها

لم تكن محاربة المستشرقين للسان العرب عن جهل بقدر اللغة العربية، وعظمتها وخصائصها، بل كان عن إدراك جيد لذلك بعد دراستهم إياها فبهرتهم بما فاقت به سائر اللغات.

وإليك من أقوالهم الدالة على ذلك: قال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» ص(٨٦) وهو يتحدث عن العربية:

(ومن هذا المنطلق بادر المستشرق (صامويل تايلور كولردج) إلى القول بأن اللغة هي سلاح العقل الإنساني، وهي تحمل في آن واحد كؤوس فتوحاته الماضية وأسلحة فتوحاته المقبلة).

وقال المستشرق الألماني فريتاغ: (اللغة العربية أغنى لغات العالم).

وقال المستشرق (رينان) الفرنسي: (اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب في تاريخ البشر، فليس لها طفولة، ولا شيخوخة).

وقال (وليم ورك): (إن للعربية لينًا ومرونة يمكنانها من التكيف وفقًا لمقتضيات العصر). نقلا من كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" ص(٢٥).

ومما يدل على أن المستشرقين اندفعوا إلى محاربة اللغة العربية بعد معرفتهم بعظمتها وجلالتها ما قاله صاحب كتاب «الاستشراق –الذرائع- النشأة- المحتوى» (١١٨-١١٩): (وليس من المستغرب أن تتعرض اللغة العربية إلى مثل هذه المحاولات من قبل المستشرقين ومواليهم؛ لتحويلها إلى لهجات عامية باهتة لأمة ضعيفة ؛ فاللغة وعاء حضارة الأمة، أية أمة، فإذا تعرضت للغزو وأصابها الوهن ؛ وهنت حضارة أمتها، وآثارها جميعًا، ولأن الاستعمار وأداته في هذا الميدان الاستشراقي يعرف ذلك جيدًا ؛ فقد شن على العربية غارة لم تتعرض لغة من لغات البشر لمثلها ؛ ذلك لأن الاستشراق يعرف ما تمثله العربية للمسلم، ومدى تغلغلها في روحه وقلبه وعقله).

من أقوال المستشرقين الدالة على سعيهم في إقصاء اللسان العربي وإماتته

لقد تفوه أعداؤنا المستشرقون بكلمات أسفرت عن مكنون خبثهم، وشدة حقدهم على اللسان العربي خصوصًا، وعلى الإسلام عمومًا، وهذه الأقوال منها الصريحة، ومنها الدالة على ذلك قال جبران خليل جبران النصراني وهو يخاطب بعض العرب: (إن لغتكم ستصير إلى اللاشيء).

وقال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» ص(٦٦): (يقول ويلكوكس: إن دراسة العربية مضيعة للوقت، وموتها محقق كما ماتت اللاتينية).

قلت: كذبت يا عدو الله ؛ فاللغة العربية باقية إلى قيام الساعة بإذن الله؛ لأنها لغة القرآن والسنة.

وذكر في ص(٦٩) أن مستشرقًا فرنسيًّا ألقى محاضرة بدمشق عام ١٩٢٥م أدلى في نهايتها بالنصيحة التالية: (إذا كنتم أنتم السوريون ترغبون في تحسين أموالكم، ونيل الاستقلال فعليكم أن تبرهنوا لفرنسا بأنكم لستم عربًا، وأنتم تبرهنون لها عن ذلك إذا حولتم لهجتكم العامية إلى لغة الأدب والكتابة ؛ بدلًا من الفصحى، ودوَّنتموها بالأحرف اللاتينية، وعلى قدر تقدمكم في هذا المضمار تنالون من الاستقلال).

وفي ص(٧٠) ما نصه: (كانت أولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر: علموا لغتنا، وانشروها ؛ حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة).

قلت: وليست توصية هذا الحاكم الفرنسي إلا ترجمة لتوصية سلفه المستعبد الفرنسي (نابليون) الذي قال لبعثته الوافدة إلى مصر: (علموا الفرنسية؛ ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن).

ونقل صاحب كتاب «آراء المستشرقين» (١/ ٥٧) عن جون تكلمي قوله: (يجب أن نشجع المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي).

وقال (ماسينون): (إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا، يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية).

وقال أيضًا: (لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا ؛ لقد دمرنا كل ما هو خاص، ولا رغبة لنا إلا أن نبعثهم ضعفاء). نقلًا من «افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية» ص(٣٣)

وقال (يوجين روستر) مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق (جونسون): (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ؛ بل هي خلافات بين الحضارة الأخرى، والحضارة المسيحية ؛ لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي). نقلًا من كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(١٥٨).

والمراد بالتراث الإسلامي ما هو أعم من اللغة العربية، وهي في المقدمة. وقال المستشرق (هانوتو): (وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربي على البلاد الإسلامية هو: تشويه الدين الإسلامي، وتصوره في نفوس معتقديه، بإبراز الخلافات المذهبية ؛ مع شرح مبادئ الإسلام شرحًا يشوهها، وينحرف بها عن قيمها الأصلية). نقلًا من كتاب «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص(١٠٤).

ونختم هذا الباب بقول صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٥٩) ففيه بيان ما تدور عليه طعون هؤلاء في اللغة: (وهناك فريق آخر أرادوا أن يجردوا العربية من بيانها الساحر ؛ وأساليبها الرصينة ؛ وخصائصها السامية ؛ زاعمين أنها قد شاخت، وهرمت وأمست عجوزًا شوهاء).

أقسام دعوة المستشرقين إلى إقصاء اللغة العربية عن مكانتها

قال صاحب كتاب "احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام" ص(١١٧): (ومن هنا تبنى الاستشراق وأذياله ثلاث دعوات، حاولوا أن ينشروها في العالم الإسلامي؛ من أجل قتل اللغة العربية:-

الأولى: الدعوة إلى رسمية اللهجات المحلية العامية.

الثانية: الدعوة إلى كتابة اللهجات العامية بالحروف اللاتينية.

الثالثة: الادعاء بأن الفصحى تقضي على قوة العرب الاختراعية.

وقال صاحب كتاب "لماذا اللغة العربية" ص(١٧) وهو يتحدث عن أنواع المحاربات للغة من قبل أعداء الإسلام: (واستمرت هذه المحاولات قرونًا؛ واستغرقت جهودًا كثيرة، ومتابعة متواصلة، دون ملل، فطُرِحت أفكار لتغيير قواعد اللغة العربية، أو بعضها، وأفكار لتغيير أحرفها وكتابتها، وأفكار لتغيير الشعر العربي، وكانت هذه المحاولات والأفكار التي تطرح مرتبطة بسائر المناهج والتخطيط الذي يضعونه لغزو العالم الإسلامي).

قلت: الغرض من هذا التقسيم هو استيعاب الإعداد لمحاربة كل جزء من أجزاء اللسان العربي.

مراحل أعمال المستشرقين في محاربة اللغة العربية

سار المستشرقون في محاربتهم لغة القرآن على مراحل زمنية:

الأولى: مرحلة النصف الأخير من القرن التاسع عشر، ففي كتاب "مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة (١٤٦-١٥١) قال الكاتب وهو يتحدث عن هذه الفترة: (وقد صدرت -على حد علمي- أربعة كتب في هذه الفترة، وكلها للمستشرقين الألمان:

١- قواعد اللغة العامية المصرية.

٢- ملاحظات حول اللغة المصرية العامية.

وهذان المؤلفان يعدان من طلائع الكتب التي ألفت حول اللهجات العربية؛ حيث لم أعثر على اسم كتاب ألف قبلهما في قائمة الكتب عن اللهجات العربية في الموسوعة الإسلامية، أو الموسوعة البريطانية، أو الفهارس العامة، وقد دعا المؤلف (سبيتا) إلى إحلال العامية المصرية مكان اللغة العربية الفصحى، وقال في مقدمته: إنه من أسباب تأخر المصريين أنهم يتكلمون بلغة، ويكتبون بلغة أخرى،و هناك لغة للشعب، ولغة للتدريس والقضاء والمنابر.اهـ

وقد تكلم الأستاذ الأكبر/ أحمد عبد الغفور عطار بإسهاب وتفصيل حول هذا المؤلف، ونقل اقتباسات طويلة معربة في كتابه "الزحف على لغة القرآن". أما الكتاب الثاني للمؤلف (فولرس) وهو كذلك محاولة أخرى نحو إثارة المصريين على القضاء على اللغة العربية الفصحى، وأنه اتهم العربية الفصحى بالجمود والعسر والصعوبة، وفقدان صلاحها لمسايرة الحضارة ومطالب العلوم.

أما الكتاب الثالث الذي صدر في هذه الفترة هو عن الأمثال العامية لأهل مكة المكرمة للمستشرق الهولندي (smouch hurgonge)، وهذا المؤلف يحتوي (٦٠) مثلًا عاميًا بالنص العربي، وتليهما شروحها باللغة الألمانية، وفي هامشه قصص شعبية مكتوبة باللاتينية، مع ترجمتها، وبين هذه كلمات نابية لا تكتب عادة؛ حيث إنها جمل في السباب والشتائم يتناقلها أولاد الحارات والأسواق.

طبع هذا الكتاب عام (١٨٨٦) في مدينة (lipizge) ثم أفردت تلك القصص في كتيب صغير أسماه المؤلف (أخلاق العرب) ولم يكن هذا الكتاب يستحق أن يذكر بين

مراجع البحث، إلا أنه أول وآخر كتاب على حد علمي كتب حول لغة أهل مكة المكرمة، ثم إن هذا الكتاب يعطي فكرة أساسية لأسلوب المستشرقين ومعالجتهم الموضوعات الأدبية، وعمل المؤلف (هرجرينيه) الذي قضى فترة قصيرة في مكة المكرمة متظاهرًا بالإسلام، لا يعدو أن يكون مشابهًا لعمل مراقب البلديات الذي لا يقع نظره إلا على القمائم والقاذورات مع الفارق: أن المؤلف لم يرد إلا كشف مواضع القاذورات للناس، بينما موظف البلدية يهمه تطهير المنطقة، وكان من الميسر له أن يجالس العلماء، وأهل العلم، ويجلس في حلقات الدروس، ويستمع إلى المواعظ والذكر، فيقيد في مذكراته أساليب الكلام الفصيح، ومناظرات أهل العلم، ولكنه لم يفعل هذا ولا ذاك، وإنما طاف في الحارات والأسواق، واسترق السمع لما انسجم معه طبعه، وكل يميل إلى ما يستهويه).

المرحلة الثانية: وهي فترة ما بين بداية القرن العشرين إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية،قال صاحب كتاب "مجلة كلية الشريعة للدراسات الإسلامية" ص(١٤٩): (إن المستشرقين في هذه المرحلة قد ركزوا اهتمامهم نحو اللهجات العامية التي ينطقها العرب في سورية وفلسطين، ولبنان، وذكر أن أحد المستشرقين قال: (إن الكتب التي صدرت في دراسة اللغات السورية قبل الحرب العالمية الثانية تمتاز بضخامة الحجم، ومراعاة الدقة والصحة، وطريقة العرض، وهذه الدراسات عالية جدًّا في الكيفية والكمية معًا، ظهرت في عدة لغات أوروبية).

ومن أهم الكتب التي ظهرت في هذه الفترة "لهجة القدس" عام ١٩١٣م هي للمؤلف بايرو، وللمستشرق G. Begstrasser اللغوي (برجستر آسر) حول لهجة مدينة دمشق ١٩٢٤م مع أربعين خريطة لغوية، أما البروفيسور (كانتينيو) وهو أكثر المؤلفين إنتاجًا؛ فقد أصدر عام ١٩٢٤م كتابًا عن لهجة تدمر وحوران، وفي عام ١٩٣٩م أصدر كتابًا آخر عن لهجة دروز حوران، أما الآخرون مثل (ميتسن) و(بورنيرو) فقد اختاروا مناطق أخرى من الشام، ولبنان مثل حوران وزحلة ودمشق وحماة وحمص، ومن ناحية أخرى اهتم بعضهم مثل (اسبيرو) و (ماسبيرو) بالبحث عن اللهجات غير العربية التي ينطق بها في الأمكنة المجاورة للدول العربية، مثل الإسكندرية وجبل الأكراد، أما الأسباب التي دعت المستشرقين إلى الاهتمام بهذه المنطقة بالذات فهي على حد قولهم إن هذه المنطقة هي ملتقى الحضارات السامية القديمة، وفيها توجد لهجات قديمة متفرعة من أصول آرامية وكنعانية، ومثال ذلك حسب زعمهم أن لهجة (معلولا) -قرية في سورية شمالي دمشق من قرى القلمون (المنجد)- لهجة سريانية، ولهجة تدمر لهجة آرامية، ثم هذه المنطقة غنية بالآثار والنقوش التي تساعد على فهم اللغات القديمة، والصلات التاريخية بينها، ولكن هذا لا يعني أن المستشرقين أهملوا مناطق أخرى، بل مسحوا كل منطقة مسحًا لغويًا على حد تعبيرهم، وقسموا أجزاء البلاد الواحدة إلى عدة مناطق لغوية مثل لهجة الفلاحين في مصر، ولهجة المثقفين في القاهرة، ولهجة أهالي السويس، ولهجة الإسكندرية، وفي العراق لهجة بغداد العاصمة، ولهجة الموصل، ولهجة البصرة، وهناك توزيع آخر

للبحث عن اللهجات، وهو لهجة يهود العراق، ولهجة المسلمين في العراق، والفرق بينهما، ويجد المطلع على تلك البحوث اللغوية التي ظهرت في هذه المرحلة أن المستشرقين اندفعوا في الدعوة إلى إحلال اللهجات المحلية مكان اللغة الفصحى، وقد انقطعوا إلى مهمتهم في صمت وتركيز فكري، بدون التدخل فيما يجري في تلك المناطق من مناورات سياسية، ودعوات عنصرية محلية، وذلك حسب اعتقادي أنهم وجدوا في تلك المناطق من يقوم بهذه المهمة من المسيحيين والأقباط وبعض المسلمين كذلك.

ومجموعة الكتب التي صدرت في هذه الفترة يقدر عددها بثمانية وثلاثين كتابًا وستين خريطة لغوية، حسب بيان قائمة الكتب في اللهجات العربية، في الموسوعة الإسلامية، تحت مادة اللهجات العامية العربية.

المرحلة الثالثة: (وهي ما بعد الحرب العالمية الثانية):

(وقد تدفق فيها -أي في هذه المدة- مؤلفات كثيرة منوعة، وأطروحات قدمت في جامعات أمريكا وأوروبا للشهادات العالية عن لهجة كل قطر عربي، من الخليج إلى المحيط، وتبعًا للتخطيط العلمي المركز، فقد وزعت المناطق العربية فيه إلى قسمين كبيرين: قسم غربي، ويشتمل على المغرب وتونس وليبيا والجزائر وبعض البلدان الإفريقية، وقسم شرقي يشتمل على مصر والسودان وسوريا وفلسطين،والجزيرة العربية، والخليج، والأبحاث التي صدرت في هذه المرحلة، وقد تناولت فروعًا جزئية من البحث، مثل: الإمالة في اللهجات السورية وأنواعها، للمؤلف (سدني هيل) والمدود الصوتية في لهجة الرياض للدكتور عوض بدوي، والتبدلات الصوتية في لهجة

الجزيرة للدكتور منير صروف، ولغة القصص الشعبية في الكويت للآنسة آمنة حمدان، والأدب الشعبي في حضرموت للبروفيسور (سارجنت) أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة كمبردج، وخليفة (أربري) حاليًّا، ولهجة قطر ودبي والشارقة للدكتور (جانستون) مدرس اللغة العربية في معهد الدراسات الآسيوية الإفريقية بجامعة لندن، وهناك فرق آخر بين الكتب التي ألفت في المرحلتين الأولى والثانية، وبين الكتب التي تؤلف في هذه الفترة، وهو أن الطائفة الأولى من الكتب كانت مفهومة لكل طالب أراد الاطلاع عليها، أما الكتب الجديدة فهي مملوءة بالمصطلحات والجداول والرموز التي لا يمكن فهمها، لمن ليست له ضلاعة في هذه الفن).

طعون المستشرقين في لغة قريش التي نزل بها القرآن

ففي كتاب «لغة قريش» (٢٨٣-٢٨٤) ما نصه: (أما (رابين) فيرى أن لغة القرآن من حيث الأصوات عامة حجازية، أما من حيث قواعد الصرف فمأخوذ من اللهجات الشرقية التي هي مأخذ اللغة الفصحى، واللغة الفصحى عنده ليست هي لغة قريش).

وذكر من مثل هذا القول عن تللينو، وشيبتالر، وبلاشير، وهارتمن، وعديدي، ورويتلر ولين.

وذكر أن عددا من الكتاب المسلمين تابعوا المستشرقين في الطعن في لغة قريش، ومنهم: محمد الخضر، وإبراهيم أنيس، وعبد الحليم النجار، ورمضان عبد التواب، وعبد الصبور شاهين، وعلي عبد الواحد، ورشدي عليان وغيرهم.

أخي القارئ، لا يخفى عليك أن لغة قريش هي اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن، فقد روى البخاري رقم (٣٥٠٦) وغيره عن أنس بن مالك في شأن جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنه قال للرهط القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم).

قال ابن فارس في الصاحبي ص(٢٨): (أجمع علماؤنا بكلام العربية، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم، أن قريشًا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة...وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب).

وقال الفراء: (واعلم أن كثيرًا مما نهيتك عن كلام به من شاذِّ اللغات، ومستكره الكلام لو توسعت بإجازته لرخصت لك أن تقول: (رأيت رجلان) ولقلت: (أردت عن تقول ذلك) ولكن وضعنا ما يتكلم به أهل الحجاز، وما يختاره فصحاء أهل الأمصار).

وقال ابن خلدون في مقدمته ص(٥٥٥): (ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية، وأصرحها؛ لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة، وبني كنانة، وغطفان، وبني أسد، وبني تميم).

وكون القرآن نزل بلغة قريش ؛ هذا لا ينفي نزول بعض الآيات بلغة غير قريش من العرب، كما قرر هذا غير واحد من أهل العلم، ولا يعني أبدًا وجود بعض الآيات بلغة غير قريش أن القرآن ليس بلغة قريش، بل هو بلغتها، ومن أراد المزيد من إبطال شبهة هؤلاء فليرجع إلى كتاب «لغة قريش» لمختار غوث.

كثرة الطعون في اللغة العربية من قبل أفراد المستشرقين

قد يستبعد القارئ هجوم المستشرقين على اللسان العربي، ورميه بكل حجر ومدر، ولكن عندما ننقل ما يبرهن ذلك فسيدرك القارئ الكريم أنها حرب حقًّا، وعداء سافر، وكيد بائر.

قال صاحب كتاب "البلاغة المفترى عليها" ص (١٥٩-١٦١) وهو يتحدث عن فريق المستشرقين المحاربين للسان العرب: (يمثل هذا الفريق كثير من أدباء المهجر، يقدمهم: جبران خليل جبران، وإليكم أنموذجًا مما يقوله في هذا المضمار:

(لكم لغتكم ولي لغتي، لكم من اللغة العربية ما شئتم، ولي منها ما يوافق أفكاري وعواطفي، لكم منها الألفاظ وترتيبها، ولي منها ما تومئ إليه الألفاظ ولا تلمسه،

ويصبو إليه الترتيب ولا يبلغه، لكم منها جثث محنطة باردة تحسبونها الكل بالكل، ولي منها أجساد لا قيمة لها بذاتها بل كل قيمتها بالروح التي تحل فيها، لكم منها محجة مقررة مقصودة؛ ولي منها واسطة متقلبة؛ لا أستكفي بها إلا إذا أوصلت ما يخبئ في قلبي إلى القلوب، وما يجول بضميري إلى الضمائر، لكم منها قواعدها الحاتمة؛ وقوانينها اليابسة المحدودة؛ ولي منها نغمة أحوِّل رناتها ونبراتها وقراراتها إلى ما تثبته رنة في الفكر، ونبرة في الميل، وقرار في الحاسة، لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات، ولي منها ما غربلته الأذن، وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم، لكم منها ما قاله سيبويه وأبو الأسود وابن عقيل، ومن جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين، ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمحب لرفيقه، والمتعبد لسكينة ليله، لكم منها الفصيح دون الركيك، والبليغ دون المبتذل، ولي منها ما يتمتمه المستوحش، وكله فصيح، وما يغص به المتوجع، وكله بليغ، وما يلثغ به المأخوذ وكله فصيح وبليغ، لكم منها الترصيع و التنزيل والتنميق، وكل ما وراء هذه البهلوانيات من التلفيق، ولي منها كلام إذا قيل رفع السامع إلى ما وراء الكلام، وإذا كُتب بسط أمام القارئ فسحات في الأثير، لا يحدها البيان... لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقًا من أثواب لغتكم، ولي أن أمزق بيدي كل عتيق بال، وأطرح على جانبي الطريق كل ما يعيق مسيري نحو قمة الجبل، لكم أن تحفظوا ما يبتر من أعضائها المعتلة، وأن تحتفظوا به في متاحف عقولكم، ولي أن أحرق بالنار كل عضو ميت، وكل مفصل مشلول. ثم يقول: لكم لغتكم عجوزًا مقعدة، ولي لغتي صبية غارقة في بحر أحلام

شبابها، وما عسى أن تصير إليه لغتكم، وما أودعتموه لغتكم عندما يرفع الستار عن عجوزكم وصبيتي، أقول: إن لغتكم ستصير إلى اللاشيء، أقول: إن السراج الذي جف زيته لن يضيء طويلًا، أقول: إن الحياة لا تتراجع إلى الوراء، أقول: إن خشب النعوش لا يزهر ولا يثمر، أقول: لكم إن ما تحسبونه بيانًا ليس بأكثر من عقم مزركش، وسخافة مكلَّسة، أقول لكم: إن النظم والنثر عاطفة، وما زاد على ذلك فخيوط واهية، وأسلاك متقطعة).

قلت: جبران خليل جبران نصراني له ترجمة موسعة في كتاب "نظرات شرعية في فكر منحرف" (١/ ٢٣) فارجع إليه.

فليخسأ جبران وأمثاله، فلن تموت لغة الإسلام، ولن تصير إلى لا شيء، بل هي أم اللغات، وهي الباقية بإذن الله إلى قيام الساعة.

اعتماد المستشرقين في طعنهم في اللغة العربية على مصادر غير موثوق بها عند أهل الإسلام

مما ينبغي أن يتنبه له: أن المستشرقين عند أن يطعنوا في الإسلام وأهله واللغة العربية يعتمدون على كتب الشعوبيين والماجنين والفسقة، واعتمدوا أيضًا على كتب التواريخ، من غير تمحيص، بل أخذوا بعجرها وبجرها، واعتمدوا على الأحاديث الضعيفة والمكذوبة.

قال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق واللغة» (٣٢٥): (أما المادة اللغوية عند هؤلاء المستشرقين فلم تكن في الغالب الأعم هي الشواهد اللغوية المألوفة عند النحاة العرب؛ إذ وسّع المستشرقون دائرة مصادرهم فأخذوا من الأغاني للأصفهاني، ومن كتابات الطبري، والأحاديث النبوية، ولم يلتزموا بمفهوم لغة الاحتجاج التي ألفناها عند العرب، وقد كان اللاحق منهم يستعين بالأمثلة التي ترد عند السابق، وقد يضيف إلى ذلك قليلًا أو كثيرًا، إلى أن جاء الجيل المتأخر كـ (فيشر) فقد أخذ هذا مادته ممن سبق كـ (ركندورف) و (نولدكه) والإنجليزي (رايت) و (شبيتالر).

قلت: كتاب الأغاني للأصبهاني جمع فيه مؤلفه القبائح والرذائل والفسق؛ فهو من الكتب الساقطة وإذا أردت المزيد من معرفة شؤم كتاب الأغاني فارجع إلى كتاب «السيف اليماني في نحر الأصفهاني» فقد فضح الأصفهاني فضحا بينًا.

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣٠٨): (والمستشرقون يركزون على ألف ليلة وليلة، لما فيها من التصوير الاجتماعي، والتسلية، ولأنها تمثل نمطًا لغويا خاصًّا، يسمونه: العربية الوسطى، ويكثر في هذا النمط تراكيب وأوزان تخرج على المألوف من قواعد النحاة).

وقال صاحب كتاب «الاستشراق رسالة الاستعمار» (١٧٦): (وبعد ترجمة جالاند «ألف ليلة وليلة» أوجدت تيارًا جارفًا في الفن والأدب والموسيقى والتصوير عرفت باسم: (غرايب الشرق وبدائعه) وتركت صورة الشرق في الغرب في تلك البدايات على تلك العصور الخيالية لألف ليلة وليلة، وذلك هو عالم مزيج من الرومانسية والخيال،

وهكذا صور الشرق على أنه عالم الإسلام من تلك الصور الخيالية التي استقاها الغرب من خيال «ألف ليلة وليلة»).

وقد قام المستشرق الألماني (غالان) بترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة» عام (١٧٠٤م) وأسماه: «صورة الشرق الحيواني» ويريدون بالشرق: العرب. انظر كتاب «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٦٠)، وقد ذكر بعض المؤلفين أن معنى (ألف ليلة) أي: ألف خرافة، ونسبوا هذه الخرافات إلى الهند والفرس ترجمت باللغة العربية، وأدخل فيها بعض الشخصيات المسلمة وإذا أردت المزيد من معرفة أساطير الكتاب المذكور فارجع إلى كتاب «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٥٧).

واعتمد المستشرقون أيضًا في طعنهم في الإسلام واللغة العربية على الشعوبية، وجعلوها تمثل الإسلام، ومعلوم أن بعض الشعوبيين زنادقة.

وقال صاحب كتاب «أعلام وأقزام» (٢/ ٤٧٢) وهو يتحدث عن (جون جلبرت جلوب) وقال: (إن المؤلف قد استند في عملية التشويه على ذكاء نادر، وعلى روايات ابتكرها من خياله أو وجد أثرًا منها في بعض الكتب الصفراء التي وضعها الشعوبيون في مختلف العصور).

ومنهم من اعتمد على الصحف العصرية، قال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق واللغة» (٣٣٢):

(إن ما يميز العربية المعاصرة عن العربية القديمة فيما أرى لا يتمثل في القواعد، وإنما في النصوص، فالنصوص في الكتب التعليمية الحديثة يغلب عليها أن تكون من

لغة الصحافة، وهذا ما التزم به(كلوبفر)، فقد أخذ نصوصه من الصحف الآتية: (الأخبار) (القاهرة) وأخبار اليوم (القاهرة) والأهرام (القاهرة) وطرابلس الغرب (طرابلس) وبناء الوطن (القاهرة) والمصور (القاهرة) وأسمى الكتاب: وترجمه إلى العربية، هكذا (العربي الحديث تقديم اللغة الفصيحة المكتوبة في الجرائد اليومية للألمان).

قلت: ومتى كانت الصحف العصرية حجة على الإسلام؟!.

ولما كانت مصادر المستشرقين غير صحيحة، بل مضادة للإسلام وأهله، جاؤوا بأبشع الأقوال، وأفظع الأخبار، وأقسى الأحكام على الإسلام، وحملته.

ومن الجدير بالذكر هاهنا: أن من المستشرقين من قاموا بتأليف معاجم ودوائر معارف سموها إسلامية بلغتهم، وضمنوها كل شر وبلاء، صدًّا للإسلام وأهله، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله صاحب كتاب «رؤية إسلامية للاستشراق» ص(٣٠): (وفي سنة ١٦٩٧ نشر في فرنسا معجم تاريخي استشراقي ضخم بعنوان: «المكتبة الشرقية» كان يعد من أهم وأشهر المراجع الأوروبية عن الشرق وتاريخه، حتى القرن التاسع عشر، بل ما زال يحظى بالإعجاب والثناء من المستشرقين المعاصرين حتى اليوم، وهذا المعجم يقسم التاريخ البشري إلى قسمين:

١- قسم مقدس يضم تاريخ اليهود والنصارى.

٢- تاريخ غير مقدس –مدنس- يضم تاريخ المسلمين).

وأما دوائر المعارف الإسلامية فمن الأمثلة على ذلك «دائرة المعارف الإسلامية» للفيف من المستشرقين، فقد احتوت على أباطيل وأضاليل حاشا المسلمين منها، وسلكوا فيها طريق المغالطة والكذب والتلاعب بالأدلة الشرعية، قال صاحب كتاب «آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره» (١/ ٨٠): (وغالبًا ما يضطرهم هذا المنهج إلى الكذب والمغالطات، واقتطاع النصوص، وخير من مثل هذا المنهج (جولد تسيهر) في كتبه، ومن الأمثلة على ذلك زعم (جولد تسيهر) أن الحديث مجموعة من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وليس قول الرسول ﷺ كما ادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، وأن الجهل بها وبتاريخ الإسلام كان لاصقًا بكبار الأئمة، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة، وكان ممن نهج هذا المنهج كذلك المستشرق (جب) حيث كان يقدم فرضيات مسبقة، ثم يحاول البحث عن نصوص وقرائن لكي يضعها موضع القطع واليقين ؛ لا يبالي في ذلك تزييف الأدلة أو نقضها، أو نقل شطر منها وترك شطر آخر).

وقال صاحب كتاب «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص(١١٥): (ذلك أن المستشرقين وأتباعهم من العرب والمسلمين قد ركزوا كل جهودهم في: ترجمة الآداب والاجتماع، والفلسفة، والتاريخ، وعلم النفس، والروايات القصصية، وكتب الإلحاد، والتحلل، والاضطراب الفكري التي ظهرت في أوروبا).

عدد ما ألف المستشرقون من كتب، وأقاموا من مؤتمرات وجمعيات في محاربة الإسلام، ومن ذلك اللغة العربية

لقد هالني ما قام به المستشرقون الحاقدون على الإسلام من كثرة تأليف الكتب التي غالبها تطعن في الإسلام، وتحاربه، وتشوه بالمسلمين، وهالني أيضًا كثرة إقامة المؤتمرات والجمعيات من أجل ذلك.

ففي الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٠٣) ما نصه: (لقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن منذ أوائل القرن التاسع عشر، وحتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب المؤتمرات والجمعيات: عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس سنة (١٨٧٣م)، تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمرًا دوليًّا، فضلا عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول كمؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام (١٨٤٩م) وما تزال تنعقد مثل هذه المؤتمرات باستمرار حتى الآن، يحضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين حيث حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة ٩٠٠ عالم من خمس وعشرين دولة، وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية، هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس، تأسست عام (١٨٢٢م)، والجمعية الملكية الآسيوية في

بريطانيا وأيرلندا عام (١٨٢٣م)، والجمعية الشرقية الأمريكية عام (١٨٤٢م)، والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين" (١/ ٣١-٣٢) وهو يتحدث عما قام به المستشرقون: (فمن أجل هذا الغرض عقدوا مؤتمرات عدة بدأوها بمؤتمر (فينّا) الكنسي سنة (١٣١٢هـ) الذي قرروا فيه إنشاء كراسي جامعية للغة العربية، كما حصل في جامعة كمبردج آنذاك وغيرها؛ وذلك ليسهل عليهم التعرف على الإسلام ومعرفة مكامن الضعف عند المسلمين، فيتسللوا من خلالها، وكذلك إنشاء المجلات العلمية لنشر أفكارهم ودسائسهم فيها كمجلة العلم الإسلامي سنة (١٩١١م) برئاسة (صموئيل زويمر) رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، كما أكثروا من التآليف عن الإسلام بكتب فقدت روح البحث العلمي؛ لما حملته من تفاهات وأساطير وأباطيل وقلب للحقائق عن الإسلام).

وقال صاحب كتاب "العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب" (١١٢): (وألفوا الموسوعات ودوائر المعارف العلمية، وكثيرًا من الكتب، وأصدروا المجلات، وأسسوا الجمعيات المختلفة، ولعل أخطر ما قاموا به حتى الآن هو: دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات... ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين تكاتفوا لإصدارها، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف، وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجامع اللغوية في مصر ودمشق وبغداد).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره" (١/ ٥٢):

(ومما اهتم به المستشرقون كذلك صناعة المعاجم اللغوية، مثل "تاريخ الأدب العربي" (بروكلمان)، وهو مشهور في الأوساط الأدبية واللغوية، والعلوم الإسلامية، وكتاب تاريخ الأدب العربي وهو في سبع مجلدات، تأليف: (هامر بوجشتال)، وقد ترجم لـ(٩٩١٥) أديبًا وشاعرًا.

ومن أضخم هذه المعاجم معجم (فينشك) الروسي (١٩٠٢-١٩٣٩) وكانت مدة عمله له في ١٥ سنة وقد تمكن في تسويد (٣٠٠) ألف بطاقة، وتوفي ولم يكمله.

ومن أعظمها انتشارًا وأهمية معجم (فيشر) اللغوي الأدبي المقارن باللغات السامية القديمة، والذي جمع فيه اللغة من ديوان امرئ القيس والقرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة.

وقد بلغت مؤتمراتهم حسب ما في المصدر السابق (٦٢) من قول المؤلف، وكان أول المؤتمرات في باريس سنة (١٨٧٣م) وما زالت تتكرر حتى يومنا هذا حتى بلغت ما بين سنة (١٨٧٣-١٩٦٤) فقط (٢٦) مؤتمرًا، ضم كل واحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين، والعرب والمسلمين والشرقيين).

والذي سهل للمستشرقين تحقيق هذه الأعمال الضخمة أمور، منها:

- جهل المسلمين بدينهم؛ فإن المستشرقين لما رأوا هذا الجهل أدركوا أنها فرصة لنشر ما يفسد على المسلمين عقائدهم وأحوالهم.

- تمكين دولهم لهم بالمال وغيره، وجعلهم عندها مرجعية في سياستها الإجرامية.

- حسن ظن كثير من أبناء المسلمين بهؤلاء المزورين، وغير ذلك.

تهافت المستشرقين في تقسيمهم اللغة الفصحى

لقد استنتج بعض المستشرقين المتأخرين أن هناك فروقًا بين اللغة العربية الفصحى القديمة، واللغة العربية الفصحى المعاصرة؛ ساعين بذلك إلى الفصل بين ماضي اللغة وحاضرها، قال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق واللغة» (٣٢٦-٣٢٧) وهو يتحدث عن المستشرقين: (وعلى هذا فهم يميزون بين مستويات متنوعة للفصحى منها:

- العربية القديمة.
- العربية المعاصرة.

وقال صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٦٤): (وإذا كنا قد تحدثنا عن هذين الفريقين -أعني الذين يدعون إلى طرح الفصحى وإحلال العامية محلها- أو الذين يريدون أن يجردوا -العربية- من بيانها وأصالتها- وأن يقطعوا الصلة بين القديم والحديث - فإن هناك فريقًا ثالثًا لم يسر مع الفريقين الأولين في منهجهما وخالفهما فيما سلكاه من وسائل، ولكنه مع ذلك يلتقي معهما في النتائج والغايات).

وقال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق» (٣٣٠): (لقد سعى بعض المستشرقين إلى إثبات الفروق الكافية للبرهنة على أن ماضي العربية الفصحى يختلف

عن حاضرها ؛ بيد أن مجمل ما قالوه لا يتجاوز أمثلة يسيرة على أن هذه الأمثلة لا تتجاوز في جلها أشكال الائتلاف اللغوي القديم، الذي تسمح به اللغة أصلًا).

وقال أيضًا (ص٣٣١-٣٣٢): (لم يضطرب المستشرقون في مسألة لغوية معاصرة كاضطرابهم في تحديد مفهوم ثابت يميز الفصحى المعاصرة، ولعل من مظاهر هذا الاضطراب أن نجد منهم من يأخذ بالحركات الإعرابية، ومنهم من يهملها، وقد بلغ الاضطراب عند (أمبروس) مثلًا أن أخذ بها على صعيد الأفعال، وأهملها على صعيد الأسماء دون أن يقدم لذلك تسويغًا مقنعًا).

قلت: التقسيم المذكور ولَّده المكر بلسان العرب، وإرادة الطرح للغة الفصحى التي نزل بها القرآن والسنة، وإحياء اللهجات التي يتداولها الناس بدعاوى متهافتة، وأقاويل ساقطة، ولو كانوا سائرين على ما يقتضيه العلم والحجج لاعترفوا ببقاء اللغة الفصحى إلى ساعتنا هذه، وأنها هي العمدة والمقدمة على اللهجات المتشتتة.

وثيقة خطيرة تدل على سبب تحول دول أوروبا لاستخدام المستشرقين والمنصرين في محاربة دين المسلمين ولغتهم

لقد اتجهت الدول الأوربية بعد يأسها من الانتصار على المسلمين عسكريًّا إلى البحث عن سر قوة المسلمين، فأدركت أن قوتهم في صحة عقيدتهم، وبتمسكهم بدينهم، فوضعت خطة لتحطيم هذه القوة، ألا وهي إعداد جيش من الدارسين للإسلام، ولأحوال المسلمين؛ ليحصل انطلاق هذه الدول إلى المسلمين بغزاة جدد ؛ هم المستشرقون والمنصرون، وهنا تقوض أركان الإسلام -في نظر الأعداء- ويتسنى للدول الأوربية أن تحكم القبضة على المسلمين، فأرسلت واستخدمت المستشرقين والمنصرين وهاأنا أذكر الخطة ليرى القارئ ما يفعله من لا ينامون عن محاربة ديننا، وليتأمل أبعادها.

قال صاحب «المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي» ص(٧٧-٧٨): (وقد ظهرت أخيرًا وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن أن: القديس (لويس) ملك فرنسا في سنة ١٠٨٢هـ ١٦٧١م أرسل رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات، وزود مبعوثيه بأوامر إلى جميع القناصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه الغاية، ولويس ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية السابعة التي انتهت بالفشل

والهزيمة، ووقعه في الأسر في مدينة المنصورة ؛ أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ؛ لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد، وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام، وصون الحرمات، وأنه لا بد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، وذلك بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ؛ ليتخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة ميدان العقيدة والفكر ؛ بهدف تزييف عقيد المسلمين الراسخة في القلوب، والتي تحمل طابع الجهاد، وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد.

إذًا فالهزيمة التي مني بها الصليبيون في الشام ومصر تؤرق أجفان حكام أوربا، وتجعلهم يتلقفون أي فكرة تخدم أغراضهم في النيل من الشرق، والسعي لزعزعته، وتحطيم كيانه، وقد وجدوا في عمل المستشرقين فرصة ذهبية ؛ لتحقيق ما فاتهم، وضاع منهم في بلاد الشرق).

الدول الغربية اتخذت المستشرقين ساعدها الأقوى في محاربة الإسلام ولغته

لما اتجهت الدول الكافرة إلى غزو بلاد المسلمين، بدأ غزوها بإرسال المستشرقين والمنصرين، وزودتهم بما يحتاجون إليه من مال وعتاد ورجال، وأحسنت إليهم، قال صاحب كتاب "بحوث في الاستشراق واللغة " (٣٠١): (لم تكن دراسة العربية

مقطوعة في يوم من الأيام في أوروبا عن الأبعاد السياسية التي يتذبذب حبلها بين الغرب، والبلدان الناطقة بالعربية من العالم الإسلامي بوجه خاص، فقد قويت الحركة الاستشراقية، وارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالسياسة والاستعمار).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣٨١): (وقد أصبح الاستشراق في هذا القرن -أي السابع عشر- مدعومًا بالمصالح السياسية الاستعمارية، بل إن بعض رواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنى؛ ليعمقوا معرفتهم بالعربية والتركية).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين..." (١/ ٣٣): (ولم تأت نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريبًا قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي، وليتم لهم السيطرة، وليتمكنوا من الاستمرار في بقائهم في هذه البلاد، كان لازمًا عليهم دراسة أحوال الشرق وتاريخه، ولغاته وعقائده، فجندوا لهذه المهمة عددًا كبيرًا ممن لهم دراية بالشرق وأحواله، فسخروا علمهم لخدمة الاستعمار البغيض، فكان هؤلاء المستشرقون عملاء لحكوماتهم، وشركاء لهم في صنع القرار السياسي في آن واحد).

وقال صاحب كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في الوطن العربي" (١٢١): (وقد أغدقت الدول الاستعمارية على جملة من المستشرقين بمختلف الإمدادات، حتى شكل ذلك دافعًا اقتصاديًا لدى البعض منهم، يقول نجيب العقيقي: (فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من

مناهله، والانتفاع من علومه، والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها، فضمهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمة، وانتدبوا للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية).

وقال إدوارد سعيد في كتاب "الاستشراق" (يقع في أن خبرة المستشرق وضعت في خدمة الاستعمار؛ لأنه في اللحظة الحاسمة حين يجب على المستشرق أن يقرر بين ولائه وميوله للشرق، أو بين ولائه للمستعمر الغربي، فإنه دائمًا يختار ولاءه للمستعمر الغازي، ومن زمن نابليون إلى الآن لم يتغير الحال). نقلًا من كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي" ص(١٢٠).

وقال حلمي مرزوق: (الاستشراق والتنصير ضلعان في الثالوث اجتمعا على تزييف الحضارة العربية الإسلامية، وهما وإن كانا مختلفين في النشأة والمصدر، فالاستشراق تقوم عليه الجامعات، والهيئات العلمية، أما التنصير فتقوم عليه الكنائس وما في حكمها من المجامع والمؤسسات). المصدر السابق ص(١٢٢).

جلب المستشرقين إلى بلادهم الكتب والمخطوطات العربية في القرن التاسع عشر

سبق أن ذكرنا أن الدول الأوروبية اتجهت في القرن السابع عشر وما بعده إلى الإعداد لغزو المسلمين، وأنها استخدمت المنصرين والمستشرقين ممهدين لغزوها، فقد قام المستشرقون المحاربون للإسلام وأهله بجمع كمية كبيرة من الكتب والمخطوطات العربية؛ ليتوصلوا من خلال الاطلاع عليها إلى معرفة الطرق في الدس فيها، وقد طلبوا إلى بلادهم من هذه المخطوطات والكتب كميات كبيرة وأعدادًا هائلة، قال محمد بن إبراهيم الشيباني في كتابه "مبادئ لفهم التراث" ص(٩٤): (جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، يشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدٍ، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، وما تزال تعقد حتى هذه الأيام.

قلت: ولا يزال هؤلاء الأعداء يجمعون ويحشدون من الكتب إليهم، وكونهم يركزون على المخطوطات، هذا حرص منهم على الأخذ منها بدون مقارنة بمخطوطة أخرى، وغالبًا ما تكون المخطوطات غير مخدومة فيعتمدون عليها وهي على الحال التي ذكرنا، فيسهل عليهم التحريف والتبديل بل والتلبيس، ولا شك أن عددًا كبيرًا من هذه الكتب التي اجتلبوها هي من كتب اللغة العربية، قال صاحب كتاب "الجهود اللغوية" (٦٤): (ولا يوجد في وطننا العربي الكبير تعاون حقيقي بين مكتبات الجامعة حتى بين جامعات البلد الواحد، وذلك عكس ما نرى بين مكتبة الكونجرس التي تحتوي على ٨٥ ألف كتاب في اللغة العربية، وبين الجامعات الأمريكية الأخرى وغير الأمريكية، وأعني نظام الإعارة حيث يصل الكتاب أو الكتب إلى الباحث بعد ٤٨ - ٧٢ ساعة من طلبها بالهاتف).

قلت: فإذا كان هذا العدد في مكتبة الكونجرس، فكم سيكون العدد في المكتبات الدولية المعدة للبحوث والدراسات؟!.

إقبال المستشرقين على تحقيق كتب اللغة العربية للدس فيها والتحريف

ومن أعمال المستشرقين لمحاربة الإسلام وأهله القيام بتحقيق كتب اللغة العربية وتهذيبها كما يزعمون، وقد خرجت مجموعة من ذلك، أذكر بعضًا منها:

١- تهذيب اللغة، نشره سترستين (سويدي)

٢- أسرار العربية، تحقيق زايبولد (ألماني).

٣- الأضداد في اللغة، تحقيق (هوتسما).

٤- الإنصاف في مسائل الخلاف بين المصريين والكوفيين، نشر سيمون فايل (ألماني).

٥- أسرار البلاغة، نشر ريتير (ألماني).

٦- المقتضب نشر برويشتر (ألماني)

٧- كتاب المحتسب، تحقيق بريتسل (ألماني).

٨- المعرب من الكلام الأعجمي، نشره شبيتا (ألماني).

٩- الكافية في النحو، تحقيق ج. ج. بيرون (إنجليزي).

١٠- أخبار النحويين البصريين، تحقيق فريتس كرنكو (إنجليزي).

١١- بغية الوعاة، نشر مر سنجة (هولندي)

١٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (نشر فرد ريخ ديتريشي (ألماني).

١٣- البارع في اللغة، تحقيق أ. س فلوتن.

١٤- كتاب الأفعال، تحقيق فريتس كرنكو.

١٥- كتاب المثلث في اللغة، تحقيق فليمار.

١٦- الأفعال الثلاثية والرباعية باتفاق معانيها وحركاتها، واختلافها، تحقيق أغناطيوس جويدي.

١٧- رسالة في لحن العامة، نشر كارل بروكلمان.

١٨- شرح بدر الدين ابن مالك على قصيدة والده لامية الأفعال نشر فوليك (ألماني). اهـ من كتاب «الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر هجري (٤٨٢-٤٩٣) ولم أذكر كل ما ذكره صاحب الكتاب، وهذه التحقيقات والتهذيبات -كما يزعمون- يدس فيها هؤلاء ما يحلو لهم من التحريف والتبديل والتغيير، ومما يسهل لهم هذا: أن المستشرقين اقتنوا كثيرًا من المخطوطات العربية كما سبق ذكر ذلك، وهذه المخطوطات منها ما هو غير منقح، وغير مقابل، ومنها ما حصل فيها سقط أو ضعف الخط إلى غير ذلك، فيأتي المستشرق الماكر، ويدعي تحقيقها فيدس فيها ما شاء وللأسف الشديد أن هناك بعض جهال المسلمين من اغتر بتحقيق هؤلاء، وفهرستهم للكتب العربية قال المحدث الكبير أحمد بن شاكر في رسالته «تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة» ص(٤٢): (وكما اغتر الناس بصناعة المستشرقين في التصحيح اغتروا بصناعتهم في الفهارس، بل كانوا أشد بهم اغترارًا بهم، وأكثر لهم خنوعًا وخضوعًا، ووقع في وهمهم اليقين بأن هذه الفهارس شيء لم يعرفه علماء الإسلام والعربية، بل ظنوا أن أنواع

المعاجم كلها من ابتكار الإفرنج، وأن ما عندنا منها تقليد لهم واقتباس منهم، وأول من علمناه نفى هذه الأسطورة وأكذب هذا الوهم صديقنا الأخ العلامة الأستاذ/ محمد أحمد المغراوي المدرس بكلية الطب المصرية في كتاب "مرشد المتعلم").

المستشرقون يحملون الدعوة إلى تطوير اللغة العربية

لقد دعا المستشرقون إلى تطوير الإسلام كله، بما في ذلك اللغة العربية، ولقد ألف أحد كبار المستشرقين وهو: مرجليوث كتابًا بعنوان: "التطورات المبكرة في الإسلام" ومن تلاميذه طه حسين الذي ظل يدعو إلى تطوير الإسلام، وتطوير اللغة العربية، قال صاحب كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" (٢١٠): (ودعا طه حسين إلى شيء أسماه تطوير اللغة بتبديل الخط العربي أو إصلاحه، وتهذيب قواعد النحو والصرف).

فالتطوير المذكور حقيقته هدم اللغة، بدليل التبديل المذكور؛ إذ إن التصريح بالتبديل المذكور ينبئ عما هو أخطر منه؛ لأنهم يصرحون بالأخف من الشر، ويسكتون عما هو أدهى وأمر.

المستشرقون وأتباعهم يدعون إلى تبديل الخط العربي باسم إصلاحه

لقد جعل المستشرقون من جملة أهدافهم المحطمة للغة القرآن، الدعوة إلى إصلاح الخط العربي و... حقيقة الإصلاح المزعوم ما صرح به أحدهم قائلًا: (لا بد من استبداله بالحروف اللاتينية والإغريقية).

قال الميداني في كتابه "أجنحة المكر الثلاثة" (٣٧٣-٣٧٤): (فما تزال رياح المستشرقين والمستغربين تدير فيها بين حين وآخر طواحين هوائية مثيرة للجعجعة، داخل عدد من العواصم العربية، كأن في هذا الرسم العربي مشكلة كبرى تعوق الناطق العربي عن التقدم، وتعرقل المسيرة العلمية والإنتاجية المطلوبة

أ- فمرة ينادون بإصلاحه عن طريق استبدال الحروف اللاتينية به، مع أن الحروف اللاتينية قاصرة عن استيفاء حروف الهجاء العربية».

قلت: فهذه حقيقة إصلاح الخط العربي، وقد نادى بهذا الإصلاح أذناب المستشرقين في بلاد المسلمين، وادعوا أنهم رأوا أن الخط العربي لا يطاق ولا يصلح بقاؤه، بل علاجه إبداله باللغة اللاتينية، وزاد بعضهم الإغريقية أيضًا، وممن نادى بهذا عبد العزيز فهمي، وتمام حسان، ونادى بعضهم بإبداله بالحروف الفارسية، وتلطف بعضهم فقال: إصلاح رسم الخط العربي بإدخال عناصر جديدة في بنية كلماتها، كإدخال حركات على غرار اللغة الإنجليزية.

قلت: وهذا الخبز من تلك العجينة؛ إذ المؤدى واحد، وهو هدم الخط العربي.

وقد رد بعض المستشرقين على هؤلاء، ومنهم المستشرق الإيطالي (نالينو) فقال كما في المصدر السابق (٣٧٤): (إن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية؛ لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف ج - ح - خ - ش - ط - ظ - ص - ض - ع - غ -، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتروكة الممدودة، وبين الحروف المقصورة)

وأما حروف اللغة الانجليزية فقد أبان غير واحد من المستشرقين عيوبًا فيها انظر رسالة "الكتابة العربية".

وقال بعض الكتاب العصريين: (ولم يحدث لأبجدية أخرى غير الأبجدية العربية أنها جربت زمنًا طويلًا في كتابة اللغات من كل أسرة لسانية، فلم تقصر في هذه التجربة عن شأو الأبجديات الأخرى؛ إذ كتبت بها العربية والفارسية والتركية والأردية والإسبانية، وهي تنتهي إلى الأصول السامية والطورانية والهندية الجرمانية، وقد وجد فيها الكاتبون ما تنوب عن الحروف الملتبسة، ولم يوجد في الأبجدية المختلفة ما ينوب عن حروف العربية الصريحة في مخارجها بما استوفته من جهاز النطق اللساني، في كل آلة من آلاته) نقلًا من كتيب "الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة" ص (٢١).

قلت: لقد كثرت الردود على المستشرقين ونوابهم في طعنهم في الخط العربي، ومن البديهيات أن الخط العربي معتمد عند المسلمين أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولم يكن يومًا من الدهر عقبة كئودًا أمام التعليم، بل هو أساس التعليم، والخط العربي كتب به

القرآن الكريم، والسنة المطهرة، واللغة العربية فهو خط القرآن والسنة واللغة، فانظر إلى شؤم دعوة إصلاح الخط، وأنها تمس بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، واللغة العربية، وتفصل بين ماضي المسلمين وحاضرهم، وتلحقهم بأجزاء الأمم الكافرة، ألا ساء ما يعملون؛ ولا يخفى عليك جمال الخط العربي بأنواعه كالنسخ والرقعة والديواني والكوفي فأهمية تعلم الخط العربي لغير الناطقين بها نعمة كبرى، قال صاحب رسالة "الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة لغير الناطقين بها ص (٤٥): (رأينا أن الكتابة العربية كتابة صوتية، وهذه الصفة المميزة للخط العربي تجعله يشكل عاملًا مهما في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بصفة خاصة، ولأبنائها بصفة عامة، فهو يساعد على تعلم مهارات، المحادثة والقراءة والكتابة والنطق...).

وقال صاحب كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" ص (١٣٩): (وعندما يتم القضاء على الخط تنقطع أقوى الأواصر وأكثرها متانة وفاعلية في ربط الحاضر بالماضي).

وخلاصة القول أن الدعوة إلى إصلاح الخط العربي من جملة مكايد المستشرقين للإسلام وأهله، وقد باؤوا بالفشل هم وأذنابهم من المنتسبين للإسلام، والحمد لله!.

بعض المستشرقين يترجمون القرآن باللغة العامية محاربة للغة العربية الفصحى

ومن عظيم كيد هؤلاء المستشرقين قيامهم بطباعة القرآن باللغة العامية؛ ليمحوا اللغة العربية.

قال صاحب كتاب «الاستشراق» ص(١٠٤): (ولقد بلغ من كيد هؤلاء أنهم كتبوا القرآن الكريم شعرًا عاميًّا، فعندما عزم (ماكس موللد) على إخراج سلسلة كتب الشرق المقدسة لتقديمها إلى مطابع جامعة أكسفورد اختار (إدوارد هنري بالمر) من جامعة كمبردج ليقوم بترجمة جديدة للقرآن الكريم، وسيطرت على هذا المستشرق فكرة إحياء اللهجات العامية العربية لإماتة لغة القرآن، فرأى نقل القرآن إلى العامية حتى يفهم، لأن الأسلوب القرآني الفصيح في رأيه أسلوب [بدائي وعر]).

قلت: وهذا الفعل من المستشرقين يدل على أنهم ساروا ينفذون ما يريدون من إضرار بالمسلمين ؛ لوجود الحماية لهم من قبل دولهم، وأيضًا نستفيد من هذا السعي أن محاربتهم للغة العربية لم تبق كلامًا وتأليفًا للكتب، كما كان في أول الأمر، وإنما صارت مواجهة شرسة.

المستشرقون يتسللون إلى المجامع العلمية وغيرها في بلاد المسلمين

قال صاحب كتاب "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (٢/ ٧٠٦) ما نصه: (استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجامع العلمية، وقد عُين عدد كبير منهم أعضاء في هذه المجامع في سوريا ومصر، كما استطاعوا أن يؤثروا على الدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي من خلال تلاميذهم ومؤلفاتهم).

وقال الميداني في كتابه "أجنحة المكر الثلاثة" (١٥٠): (وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير، والدوائر الاستعمارية، وغدت خططها ومناهجها، وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها.

وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم).

وقال صاحب كتاب "آراء المستشرقين" (١/ ٦١-٦٢): (تمكن المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر، والمجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع العلمي

في بغداد، منهم (جوزيف شاخت) (١٩٠٢-١٩٦٩) ألماني الذي انتخب أحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق.

و (فنسنك) (١٨٨١-١٩٣٩م) الهولندي الذي كان أحد أعضاء المجمع اللغوي المصري.

كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق من المستشرقين منذ سنة ١٩٢١م والذي بلغ عددهم حوالي (٦٦) مستشرقًا من الفرنسيين: دوسو، غوي، ماسينيون، وغوستاف لوبون.

ومن الإيطاليين: جويدي جريفيني، نالينو، كايتاني.

ومن البريطانيين: مارجليوث، براون.

ومن الهولنديين: هوتسما، سنوك هر.

ومن السويسريين: مونتيه.

ومن الإسبانيين: ميكل آن.

أما أعضاء المجمع المصري من المستشرقين فقد بلغوا (١٧) مستشرقًا منهم:

من الإيطاليين: جبرييلي، وكالرلنللينوا.

ومن البريطانيين: أربري.

ومن لاووسست: ليون.

ومن ينبرج: أوبسالا.

ومن الفرنسيين: لويس ماسينيون الذي يعد من كبار المستشرقين الخطرين على الإسلام، حيث لا يقل خطورة عن جولد تسيهر وسنوك هورج جرونيه ولي شاتليه، ولاووست هنري، مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة، وغيرهم كثير، أما أعضاء المجمع العراقي من المستشرقين منهم:

-عبد الكريم جرمانوس – المجري.

-الفريد جيوم – الإنكليزي».

وقال العفاني في كتابه "أعلام وأقزام" (٢/ ٤٣٠) وهو يتحدث عن القس دنلوب وتغريب التعليم في مصر:

(ومما يذكر أنه كان يسافر كل صيف إلى بريطانيا، ثم يعود في أول العام، الدراسي وقد استقدم معه عددًا كبيرًا من الإنجليز حملة الشهادات الأهلية، الذين كانوا يعينون بمرتب لا يقل على ثلاثين جنيهًا، وقد اختارهم بنفسه، وقد كان أبرز كتابات هؤلاء المدرسين الكراهية للغة العربية، والعداء للحرية، ومحاولة تحطيم آمال الأمة العربية، وتغريب التلاميذ، واتهام تاريخ العرب والمسلمين، وإثارة الشكوك حوله، واتهام الحضارة الإسلامية العربية بالاتهامات المختلفة، وذلك لخلق شعور عام بكراهية هذه الأمجاد والنفور منها، والسخرية بها).

وقال صاحب رسالة "مبادئ لفهم التراث" ص(١٠٢): (هـ. أ. ر. جي أكبر مستشرقي إنجلترا كان عضوًا بالمجمع اللغوي في مصر، وكان أستاذًا للدراسات

الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية، وكان من محرري وناشري "دائرة المعارف الإسلامية" وكتابته الخطرة ضد الإسلام:

١- طريق الإسلام. ترجمة إلى العربية.

٢- الاتجاهات الحديثة في الإسلام. ترجم إلى العربية.

٣- المذهب المحمدي. صدر عام ١٩٤٧.

٤- الإسلام والمجتمع الغربي.

وقال في ص(١٠٣): (عزيز عطية سوريال -مصري - مسيحي- كان أستاذًا بجامعة الإسكندرية شديد الحق على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتقاليد الإسلامية، كان يدرس بإحدى جامعات أمريكا، يستعين على الحقد بكونه بعيدًا عن مصر والمسلمين، وله بعض الكتب عن الحرب الصليبية).

وقال في ص(١٠٦): (نيكولسون كان من أكبر مستشرقي إنجلترا، ومن محرري دائرة المعارف، تخصص بالتصوف الإسلامي، والفلسفة، وكان عضوًا بالمجمع اللغوي المصري، وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحي، ويصفه بالمادية، وعدم السمو الإنساني، ومن كتبه:

١- متصوفو الإسلام صدر ١٩١٠.

٢- التاريخ الأدبي العربي صدر في سنة ١٩٣٠.

قلت: ومن أمثال هؤلاء كثر، لا كثرهم الله!.

دسائس المستشرقين والمنصرين في دائرة المعارف الإسلامية

دسائس المستشرقين الحاقدين على الإسلام مشحونة في كتبهم، لكنها في دائرة المعارف والمعاجم والموسوعات أكثر وأكثر، ومن المعارف التابع لهم «دائرة المعارف الإسلامية» والتي ألفها عدد من المستشرقين وبعد طباعتها باللغة العربية اطلع عليها بعض العلماء فوجدوا فيها دواهي.

قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٤٦٨-٤٧١): (دائرة المعارف الإسلامية، قد واجهت دائرة المعارف منذ بدأت ترجمتها عام ١٩٣٢ كثيرًا من النقد؛ لما تضمنته من شبهات واتهامات تناولتها أقلام (رشيد رضا) صاحب المنار و (كرد علي) رئيس المجمع العلمي العربي، وأحد أقطاب دراسات دوائر الاستشراق و (فريد وجدي) كما تناولها الدكتور (تقي الدين الهلالي) الباحث المغربي المسلم الذي قال: [إن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربي] وقال: [إن كتابات بروكلمان مثل ذلك وأقبح]، وقد أشار كثير من الباحثين أن أغلب كتاب دائرة المعارف قسس مبشرون يهمهم أن يخنقوا الإسلام لا ينصفوه، وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب وضيق الأفق، وليس كتاب الدائرة وحدهم على هذا النمط، بل جل المشتغلين بالدراسات الإسلامية، وهم لا يتجاوزون صناعة التبشير تعرفهم من لحن القول.

ومن هؤلاء توماس باترك هيور صاحب «قاموس الإسلام» وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوربية، وقد قضى القس المؤلف في وظيفته التبشيرية في بلاد الهند بين المسلمين والبوذيين والبرهميين أكثر من عشرين سنة، ونشر معجمه هداية الموظفين الإنجليز ممن كانوا يتولون الحكم ببلاد الإنجليز في أواخر القرن الماضي، ومساعده للمبشرين بالمسيحية ممن يجادلون علماء الإسلام.

وأشار الباحثون إلى أن أهم نواحي الخطر في هذه الدائرة أن ما يترجم منها لا يتعرض بالتحليل والإيضاح لما فيها من أخطاء وشبهات، وأنها تسطر البدع الدخيلة على الإسلام باستفاضة مثيرة، وقد أمعن مؤلفو الدائرة في تسجيلها وشرحها ؛ وكأنها أصول مقررة لا بدع دخيلة.

١- أخطاء دائرة المعارف الإسلامية: قال رشيد رضا: إنه معجم لفقه طائفة من علماء الإفرنج المستشرقين لخدمة ملتهم، ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الإسلام وحصونه بعد أن عجزت عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله ورسوله ﷺ، وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماتهم الباطلة، والذين شوهوا التاريخ الإسلامي بمفترياتهم، ذلك أن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذي سموه «دائرة المعارف» لم يتركوا شيئًا من عقائد الإسلام، ولا من فضائله، ولا من الشريعة، ولا من مناقب رجاله ؛ إلا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف الصورة الصحيحة من بعض الوجوه ؛ إما بصورة مشوهة، أو بصورة عادية لا مزية لها.

وفي هذه الدائرة عيوب علمية وتاريخية أخرى، أهمها: أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها ؛ بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم، والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة، وكان على الذين شرعوا في ترجمة هذا المعجم وضع حواشي؛ لتصحيح ما فيها من الأغلاط التاريخية والعلمية والدينية، وبيان الحق فيما دسوه فيه من عقائدهم، وآرائهم الباطلة، وقد نيط هذا وذاك بالعلماء الإحصائيين، وقد ذيل الجزءان الأول والثاني ببعض الحواشي من هذه التصحيحات والانتقادات، إلا أنها غير كافية في موضوعها، ثم أعرض المترجمون عن ذلك فيما بعد، وطفقوا ينشرون الأجزاء غفلًا من التعليق على مواردها المشوهة للإسلام وتاريخه بعد أن ظننا أنهم سيزيدونه استقصاء وتحقيقًا، أقول ولا أخشى لا آثمًا ولا مخالفًا: أن نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن، ومخالفة الحقائق، هو أضر من شر كتب دعاة المبشرين وصحفهم؛ لأن هذه كلها لا تخدع أحدًا من أعلام المسلمين بما فيها من الباطل، أما هذا المعجم المسمى بـ «دائرة المعارف الإسلامية» المعزو أكثر ما نقل فيه إلى كتب المسلمين فإنه يخدع أكثر القارئين له، ممن يعدون من خواص المتعلمين؛ لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه، ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من خصوم العرب و الإسلام واللغة العربية).

٢- رأي فريد وجدي في «دائرة المعارف الإسلامية»: (أن هذه الدائرة تشمل على الشيء الكثير من التهم الباطلة على الإسلام ورسوله -ﷺ- ورجالاته الصالحين، ولا

يدفع ببعض هؤلاء المستشرقين إلى التورط مع هذه الخطة الحربية إلى ما يحملونه في صدورهم من البغضاء لهذا الدين، فلا يصح والحالة هذه أن يحمل المترجمون أنفسهم إثم نقل هذه السفاسف إلى لغتهم وبأقلامهم؛ ليقرأها الناس في جميع بلاد المسلمين، فالذي أراه أن يمتنعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل، وأن يكتفوا بالإشارة إليه مشفوعة بما يدحضها، ويبين فسادها بكل دليل، أليس من البلاء أن يضطر أحدنا أن يصف أطهر نساء العالم -وهي في الوقت نفسه أمه في الدين- بالطيش والفجور؟ أي فائدة أدبية ترجى من إذاعة هذه الفرية بين المسلمين في عبارات وقحة يسمح بها لنفسه رجل أجنبي عن الدين؟ لذلك أرى الامتناع عن ترجمتها، والإشارة إليها بدلًا من ترجمتها على غير وجهها، وتلطيفها بما يخرجها عن صيغتها التي أراد لها كاتبها، والملاحظ أن مترجمي الدائرة لم يعقبوا على التهم التي وجهها الكاتب إلى خاتم النبيين).

اهتمام المستشرقين بدراسة البلدان العربية والإسلامية التي لدول الغرب إرادة نفوذ فيها

قال صاحب كتاب "آراء المستشرقين: (١/ ٤٤) وهو يتكلم عن المستشرقين:

(لذا قام المستشرقون بتقديم خدمات عدة لهذا الغرض من هذه الخدمات، تزويدهم الاستعمار بما يحتاجه من دراسات استشراقية، عن مناطق نفوذه مما يسهل له مهمته، ويمكنه من رقاب الشعوب الإسلامية، وذلك بتعريفه بنقاط القوة في العالم الإسلامي لهدمها، ومواطن الضعف للتسلل من خلالها، فمن أجل هذه المهمة فتح

المستشرقون في المنطقة جامعات، وزودوها بالأساتذة الفاهمين لدورهم، وزودوا الحملات الاستعمارية بأصحاب اختصاص ومعرفة بالشرق وأحواله من المستشرقين).

وقال صاحب كتاب "الاستشراق رسالة الاستعمار" (١٧٥):

(إن الازدهار الحقيقي للاستشراق والدراسات الشرقية في القطاعين الرئيسيين وهما العالم العربي، والشرق الأقصى يعود تاريخه بالدرجة الأولى إلى عصر التمركز الاستعماري، وبشكل خاص إلى السيطرة الأوروبية على القارات المنسية في أواسط القرن التاسع عشر، ثم في ثلثه الأخير، ولكن سبقته مرحلة ظهور الجمعيات التاريخية، وهي التي ازدهرت فيها الجمعيات الاستشراقية، مثل: جمعية بانافيا ١٧٨١، ومثل الجمعية الملكية الآسيوية لندن ١٨٣٤، ومثل الجمعية الآسيوية -باريس ١٨٢٢- ومثل الجمعية الأمريكية الشرقية ١٨٤٢).

وقال أيضًا في المصدر نفسه ص (١١٠):

(في مطلع القرن الثامن عشر ولأسباب سياسية دولية أرسلت أمريكا طلائعها التبشيرية إلى الشام، وكانوا يخضعون لإشراف المجلس الأمريكي لمراقبة البعثات التبشيرية في الخارج تحت إشراف مركزهم في مالطة).

وهؤلاء المنصرون كثير منهم من تلامذة المستشرقين.

والتكاتف بين المستشرقين والمنصرين ضد المسلمين حاصل على مستوى التخطيط والمؤامرة والتنفيذ، وهذان الصنفان قدموا رقاب المسلمين لدولهم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!.

وقال صاحب كتاب "الغزو الفكري " (١٠٧-١٠٨):

(إن الاستشراق بأعماله قد مهد للتبشير، وألقى له البذرة في التربة، وإن التبشير مهد للاستعمار، وسقى البذرة ورعاها، حتى أينعت وحان قطافها، وإن الاستعمار جاء ليقطف الثمر، ويجني المحصول، ويعيد توزيع الأنصباء على الشركاء، فدعم الاستشراق ماديًّا ومعنويًّا، وأقام له المؤسسات والمراكز، وعقد له المؤتمرات، وأنفق عليها طائل الأموال، ودعم مراكز التبشير، وهيأ له من الوسائل، والإمكانات ما جعل شرها يزيد وضررها يستشري، وقنائصها وضحاياها يقبلون على الشراك، وهم ذاهلون عما يراد بهم.

تواجد المستشرقين والمنصرين في بلدة من بلاد المسلمين يتوقع احتلاله من قبل دولهم

لا ينبغي أن تخفى هذه الحقيقة، ألا وهي: أن الدول الكافرة ترسل المستشرقين والمنصرين إلى بلاد ما من بلاد المسلمين ليمهدوا لها الوصول، ويمنحوها الأكتاف، ويقربوا لها المسلمين، كما يقرب الطعام إلى آكله، والأمثلة الدالة على هذا ما قاله صاحب كتاب «من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام» (٢٣):

(وقد ظهر الارتباط بين الاستشراق والتنصير والاستعمار في كتابات (ريموندلول) و (زويمر) أكبر منصر في الشرق، و (الكونت فولتين) في كتابه «رحلات إلى مصر

وسورية» والذي ظهر عام (١٧٨٧م) وقد أظهر هذا الرجل عداءً جارفًا للإسلام.......ومن ثم مهد السبيل لنابليون لاحتلال مصر).

وقال الأستاذ (الجندي): (إن الاستشراق في المجال السياسي عمل على هدم الأمة العربية، واللغة العربية، والحضارة والتاريخ).

تواجد المستشرقين بين المسلمين للتجسس عليهم

لا تزال بوائق المستشرقين تظهر للقارئ، ومن ذلك أنهم جواسيس على المسلمين، فهم يتظاهرون أنهم يحملون رسالة التعليم، وهم شر أعداء الله، وأعداء عباده، قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٤٣٠-٤٣١) وهو يتحدث عن مجموعة من المستشرقين والمنصرين: (وكانوا يطعنون روح الوطنية في الشباب والقضاء على حماستهم وتهديدهم وكانوا يصفون الأمة بأنها نصف متحضرة، وقد داسوا على كل عاطفة وطنية، واضطهدوا كل شاب أظهر ميلًا أو عاطفة نحو دين، أو وطن، وأنشئوا نظامًا من التجسس في المدارس، يطاردون به الشباب الوطني، وكان محرمًا على كل أستاذ مصري أن يتحدث عن تاريخ مصر، أو تاريخ الإسلام بما يبرز عظمة أمتنا، وكان أهم ما يقال إذ ذاك: إن مصر بلد زراعي، وإنها ظلت محتلة طوال تاريخها بالفرس، والرومان، والأتراك والعرب، وإنها لن تحكم نفسها أبدًا، وإن جيشها قد هزم في التل

الكبير، وإن الجنود المصريين ذبحوا ليلة ١٤/ سبتمبر/ ١٨٨٢ التي كانت قمرية كما يذبح الخراف، وكان محرمًا أن تقرأ جريدة وطنية، أو تاريخ الإسلام أو العربية).

قلت: تجسس المستشرقين والمنصرين على المسلمين أمر مقطوع به، وكيف لا ودولهم ترسلهم ليمهدوا لها الزحف على الدول والشعوب التي يعملون فيها، فإذا تواجدوا في بلدة ما، فلا تكاد تمر عليها مدة من الزمان إلا وقد فوجئت بقدوم أعدائها عليها عسكريًا، بل إني لأخشى على المسلمين من الشركات النصرانية العاملة فيهم، وأما السياح والسفارات والقناصل فمعلوم تجسسهم على المسلمين، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في كتابنا «المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة» وفي كتابنا «الإيضاحات الموثقة في بيان دعوة المساواة المطلقة».

بعض المستشرقين يكون مستشارًا لحكومته المستعبدة، فيشيرون عليها ببوائق جسام، وجرائم عظام

شأن زعماء النصارى وغيرهم من زعماء الكفار: أن يستتب لهم الأمر، وأن تنتشر سيادتهم، وسيادة دينهم على المسلمين، وهم يجهلون بعض الطرق التي تمكن لدينهم، وتقضي على دين المسلمين، فيستعينون بالمستشرقين، أو المنصرين أو هما معًا من أجل ذلك.

قال صاحب كتاب "رؤية إسلامية للاستشراق" ص(٩-١٠): (فكثير من المستشرقين كانوا -وما زالوا- يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياساتها الاستعمارية والتنصيرية، في العالم الإسلامي، وعلى سبيل المثال:

كان (سنوك هرجرونيه) المستشرق الهولندي يعمل مستشارًا لحكومته في تخطيط سياستها ضد إندونيسيا المسلمة، وقد أدت هذه السياسة إلى أضرار جسيمة بالمسلمين الذين يكوِّنون الأغلبية الساحقة في إندونيسيا، وإلى فرض القوانين العلمانية عليهم، وتشجيع النشاطات التنصيرية بينهم.

وكان (ماكدونالدو) المستشرق البريطاني يعمل مستشارًا لحكومته في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية، وكان (جب) يعمل مستشارًا للحكومتين: البريطانية والأمريكية في تخطيط سياستهما الموالية لإسرائيل، والمعادية للعرب والمسلمين، وكان ماسينيون يعمل مستشارًا للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شمال أفريقيا، وقد أدت هذه السياسة إلى تشجيع التنصير، ونشر اللغة الفرنسية، وإضعاف اللغة العربية، ومحاولات الفرقة بين العرب والبربر، كما أدت في النهاية إلى استشهاد أكثر من مليون مسلم في ثورة الجزائر المسلمة ضد فرنسا.

وما زال (برنارد لويس) المستشرق اليهودي الأستاذ بجامعة برنستون يعمل مستشارًا للحكومتين الأمريكية، والإسرائيلية في تخطيط سياستهما المعروفة ضد العرب والمسلمين.

هذا بالإضافة إلى الصورة المشوهة التي كونها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، ونشروها في الجامعات، وفي وسائل الإعلام، كان وما يزال لها أكثر الأثر على صانعي القرارات في الحكومات الغربية).

عناية المستشرقين بنشر كتب الضلال والزندقة بين المسلمين

قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٤٨٠-٤٨١):

(وكذلك ما فعله هؤلاء الصليبيون وأذنابهم من إعادة كتابة تاريخ القرامطة والزنج، وغيرهم من الحركات الضالة على أنها ثورات عدل وحرية، وكذلك إلقاء السموم بنشر كتب التصوف الفلسفي، وأخبار الحلاج وابن عربي، والسهروردي، وابن سبعين، وطبع كتب وحدة الوجود والاتحاد والحلول، ونشر شعر ابن الفارض، وتجديد صفحات هذا الركام المضطرب العفن كمحاولة خسيسة لاحتواء الإسلام، ثم محاولات من تربَّوا على مائدة الفكر الغربي، وخانوا أمتهم في الصميم،وكانوا أذنابًا للمستشرقين، مثل محاولات زكي نجيب محمود بتحسين كتابات الاعتزال، وابن الراوندي، أو كتابات عبد الرحمن بدوي بإعلاء التصوف الفلسفي والحلول والاتحاد، أو كتابات محمود إسماعيل بإعلاء حركات القرامطة والزنج، أو اتجاه الدكتور محمود الشنيطي إلى إحياء ابن عربي، أو طه حسين إلى إحياء رسائل إخوان الصفا، أو ماسينون وصلاح عبد الصبور إلى إحياء الحلاج، أو عباس صالح، وعبد الرحمن الشرقاوي،

وطه حسين، إلى تفسير إحياء الإسلام تفسيرًا ماركسيًّا أو ماديًّا، كل هذه المحاولات تدخل في نطاق المؤامرة على الإسلام، أو إعادة محاولة (احتواء الإسلام الأولى) التي كانت في القرن الرابع الهجري، وابتعاثها في القرن الرابع عشر الهجري.

ولقد اهتمت طائفة من المستشرقين بالسهروردي ونظريته ونبشوا الكتب القديمة التي كشف المسلمون عن زيفها، فأعاد المستشرقون طرحها في أفق الفكر الإسلامي لإثارة الشبهات والشكوك في نفوس بعض المسلمين، الذين لم يستحلوا بدراسة عقيدة السلف أهل السنة والجماعة).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٢/ ٤٨٢): (وقد تخصص عدد من المستشرقين في هذا النوع من الفكر الإسلامي أهمهم، ماسينون وجولد زهير، وجب، وبرون، وماكدونالد، ومارجليوث اليهود، ونيكلسون، وفون كريمر.

ودرس المستشرقون الفرق المنحرفة، فدرس ماسينون التصوف الفلسفي، والباطنية، والقرامطة، والنصيرية، واهتم بأهل الباطن والتأويل، واهتم أكثر من غيره بدراسة الاتحاد والحلول، والإشراق ووحدة الوجود).

وقال أيضًا: (إن بحوث التصوف الحديثة وكتاباته كلها ترجع إلى عمل المستشرقين الذين اهتموا فوق ذلك بالتعليق على موضوعاته، وتوجيه مسائله الوجهة التي يرضونها، بما عرف عنهما من مهارة وصبر للتشكيك في عقيدة المسلمين، وطعن المسلمين في أغلى مقدساتهم وهو التوحيد، وابتعثوا من جديد الفكر الصوفي الفلسفي،

ممثلًا في نظريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء والتناسخ والاستشراق، وهي مفاهيم دخيلة على عقيدة المسلمين.

وقال أيضًا (٢/ ٤٨٤): ولقد اهتمت طائفة من المستشرقين بالسهروردي ونظريته، ونبشوا الكتب القديمة التي كشف المسلمون عن زيفها، فأعاد المستشرقون طرحها في أفق الفكر الإسلامي؛ لإثارة الشبهات والشكوك في نفوس بعض المسلمين، الذين لم يتسلحوا بدراسة عقيدة السلف أهل السنة والجماعة).

وقال أيضًا (٢/ ٤٩٠): (١- نشر لويس ماسينون كتابات الحلاج والسهروردي وفريد الدين العطار، وابن سبعين ٢- نشر جولد زيهر كتابات صالح بن عبد القدوس. ٣- نشر كريمسكي عن أبان بن عبد الحميد اللاحقي. ٤- نشر فرنسسكو جبريلي وباول كراوس عن ابن المقفع. ٥- نشر باول كراوس عن ابن الراوندي. ٦- نشر فرنسسكو جيريلي عن بشار بن برد. ٧- نشر باول كراوس عن محمد بن زكريا الزنديق. ٨- ما كتبه آسين بلاسيوس عن ابن عربي).

مستشرقون يهود في ساحة المستشرقين المنصرين

سبق أن ذكرنا أن الكنائس التنصيرية والدول الغربية اتجهت إلى محاربة المسلمين والقضاء عليهم عن طريق محاربة الإسلام ولغته، فاستغل اليهود هذا التوجه، واندسوا في النصارى؛ ليشاركوا في هذه المحاربة.

وقد اشتهر عدد من اليهود الذين حملوا على كواهلهم الدعوة إلى الحط من لسان العرب ودينهم وقيمهم

ومن هؤلاء اليهود المستشرقين (مكسيم رودنسون) يهودي ماركسي ألف كتابًا بالفرنسية عن رسولنا ﷺ، والكتاب مشهور بالافتراءات الاستشراقية على الرسول ﷺ، ورسالته، وكثير من هذه الافتراءات مستمدة من التفسير المادي الاقتصادي للتاريخ عند (كارل ماركس) ومن التحليل النفسي الجنسي للإنسان عند (سيجموند فرويد) وكلها افتراءات ساقطة مبتذلة نترفع عن ذكرها. انظر كتاب «آراء المستشرقين حول القرآن» (١/ ٧٠).

ومنهم أيضًا (جولد زيهر)، ففي «الموسوعة الميسرة في الأديان» (٢/ ٦٩٩-٧٠٠):

(جولد زيهر) ١٨٥٠-١٩٢٠م مجري يهودي من كتبه «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» و «العقيدة والشريعة» ولقد أصبح زعيم في أوروبا بلا منازع).

وقال صاحب كتاب «آراء المستشرقين حول القرآن» (١/ ٧٠): (جولد تسيهر اليهودي المجري وكتبه كلها مليئة بالافتراءات والأباطيل ضد الإسلام مثل كتابه «العقيدة الإسلامية» و «مذاهب التفسير الإسلامي»

ومنهم (أدولف كريمييه) أسس جمعية الاليانس العالمية المعروفة بالاتحاد اليهودي العالمي كما في كتاب «العلاقات التركية اليهودية» (٢/ ٧٦).

ومنهم يوسف هاليفي، قالت هدى درويش في كتابها «العلاقات التركية اليهودية» (٢/ ٥٦):

(يوسف هاليفي (١٨٢٧-١٩١٧) من أبرز الشخصيات اليهودية في تركيا، دعا إلى إحياء اللغة العبرية، من مؤيدي حركة محبي صهيون).

ومنهم البروفيسور يوديورم كما في المصدر السابق ص(٥٧):

(البروفيسور بوديورم زعيم الجماعة اليهودية في أنقرة، والأستاذ بجامعة (حاجت تبه) كان له دوره البارز في توثيق العلاقات التركية الإسرائيلية).

ومنهم ما في كتاب آراء المستشرقين (١/ ٧١) الآتي أسماؤهم:-

(دافيد سانتلانا (١٨٥٥-١٩٣١) يهودي سياسي جامعي، ولد في أسرة يهودية في تونس، ومن أصل إسباني قديم، وأسرته تحمل الجنسية الإنكليزية، كان أبوه قنصلًا بريطانيًا في تونس، وحاول (سانتلانا) أن يقيم تشابهًا بين الفقه الإسلامي وبين القانون الروماني، والقانون الأوربي الحديث.

وكان أكثر اهتماماته بالحركة الصوفية ورجالها ومبادئها، وربطه بالتصوف اليوناني الأفلاطوني والتصوف المسيحي.

(ليفي بروفنسال) في المغرب العربي، يهودي فرنسي استعماري، وكان أستاذًا جامعيًّا في جامعة (تولوز) في باريس، ولد في الجزائر العاصمة من أسرة يهودية، وشب على أيدي كبار المستشرقين الفرنسيين، أمثال: (رينيه باسيه) و (جيروم) واستطاع بذكائه أن يخفي مشاعره اليهودية على الرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة للإسلام والتنصير.

وقد ركز في كتاباته على إهمال البعد الديني في انتشار الإسلام السريع والمبكر في العالم حينذاك ؛ زاعمًا أن ذلك لحب السيطرة وجمع الثروة، وبخاصة في الأندلس، والمغرب العربي، وقد صور العرب طبقة ارستقراطية خاصة في الأندلس.

(بول كراوس) (١٩٠٤-١٩٤٤) تشيكي سياسي جامعي صهيوني وغير هؤلاء كثير.

وقال صاحب كتاب «من افتراءات المستشرقين» (٢٢) وهو يتحدث عن رد علماء المسلمين على المستشرقين:

(وشمَّر علماء الإسلام عن سواعدهم، وقابلوا افتراءات هؤلاء ببراهين ردت كيد المستشرقين إلى نحورهم، ثم حذر العلماء أبناء الأمة من هذا الخطر الجديد القادم من الغرب النصراني بأسلوبه الخادع الجديد.

وغالبًا ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودي على ساحة الاستشراق النصراني، ومن هؤلاء المستشرقين اليهود (ردونسون) وجاك بيرك، وجولد تسيهر وغيرهم.

وقال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» (٩٤-٩٥) وهو يتحدث عن دور اليهود وراء المستشرقين:

(وفي الوقت نفسه كان اليهود ينصبون شباكهم حول المستشرقين تمامًا ؛ كما يلقي الصيادون شباكهم لاصطياد الأسماك، ولا شك أن سلفستر دي ساسي، يعتبر أحد كبار الرواد الفرنسيين في إضفاء الأهمية على الاستشراق، وهو الذي أسس الجمعية الآسيوية، والمجلة الخاصة بها في باريس، وتعدت شهرته حدود القارة الأوروبية، وعلى يديه تخرج المئات من المستشرقين متعددي الجنسية، لكن بعضهم موحدو الهدف، ومما يذكر أن (دي ساسي) كان قد تعرف إلى يهودي يقيم في باريس فزاده تضلعًا من العبرانية والعربية فأكب عليها إكبابًا أهزله، وأرغمه على فراق كتبه في الليل، والاكتفاء بها في النهار، وليس من المستغرب أن يكون وراء شهرة (دي ساسي) اليهود أنفسهم، كما أن تأثيره على تلامذته سيكون كبيرًا أيضًا من خلال الحكم على أعماله، ومن بينهما ما يتعلق بالمسلمين الموحدين الدروز، نرى بأن (ساسي) شأنه في ذلك شأن الكثيرين من المستشرقين اليهود الذين تناولوا هذا الموضوع، وكانت معالجتهم له لا تخلو من الدس والتشويه والتحريف، بل إن وظيفتهم لا تسمح لهم بتبيان الحقائق بكل صدق كما هي؛

حيث إن ذلك مناقض ومتعارض مع طبيعة المهمة المنوطة بهم، والذين تحملوا بإرادتهم وقناعتهم وزر أعبائها).

ومنهم: فون جرونياوم من أصل ألماني يهودي، وكان أستاذًا بجامعة شيكاغو من ألد أعداء الإسلام في جميع كتاباته، ومن كتبه:

١- «إسلام العصور الوسطى» صدر عام ١٩٤٦.

٢- «الأعياد المحمدية» صدر عام ١٩٥١.

٣- «محاولات في شرح الإسلام المعاصر» صدر عام ١٩٤٧.

٤- «دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية» صدر عام ١٩٥٤.

٥- «الإسلام مجموعة من المقالات المتفرقة» صدر عام ١٩٥٧.

٦- «الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية» صدر في عام ١٩٥٥م.

الفصل الثالث
أذناب المستشرقين والمستعمرين والمنصرين من أبناء المسلمين ينفذون المؤامرة على اللغة العربية.

مجمل أعداء اللسان العربي قديمًا وحديثًا

أعداء الإسلام هم في الجملة أعداء اللغة العربية قديمًا وحديثًا، أما في القديم فكالشعوبية وغيرها.

وأما في عصرنا فهم: المستشرقون، المنصرون، يسيرهم المستعمرون، ومن تخرج على أيدي هؤلاء من شيوعيين، وعلمانيين.

قال صاحب كتاب «ثمانون عامًا من الحرب الفرانكفونية ضد الإسلام واللغة العربية» ص(١٢-١٣): (ومن المؤسف حقًّا أن تواجه اللغة العربية في العالم العربي المعاصر، وخاصة في دول المغرب العربي الأربعة: -المغرب- والجزائر-وتونس- وموريتانيا- ثلاثة أعداء:

الغزو الفكري اللغوي الثقافي -الاستعماري- الصليبي الفرنسي.

التحالف الأيديولوجي -الفلسفي- اليساري- العلماني- الغربي.

تنكر النخبة المتفرنسة -المتغربة لقيم دينها وحضارتها العربية والإسلامية).

وسيأتي تفاصيل معاداة كل عدو من هؤلاء للغة القرآنية في محله.

ذكر بعض الجامعات والمراكز الغربية الاستشراقية التي تخرج منها كثير من أبناء المسلمين المحاربين للسان العربي

ذكر غير واحد من المؤلفين بعض الجامعات والمراكز المعدة لتخريج مستشرقين من أبناء المسلمين، قال صاحب كتاب «رؤية إسلامية للاستشراق» (١٧٣-١٧٤): (ودراسات المستشرقين تتم كما أشرنا في مؤسسات لها مسحة أكاديمية، وقد انتشرت هذه المؤسسات في صورة مراكز استشراقية تابعة لجماعات أوروبية وأمريكية عديدة، وأصبحت هذه المراكز تتستر الآن خلف أسماء وعناوين إسلامية لخداع المسلمين، وتضليلهم، مثل: مراكز أو أقسام أو كليات الدراسات الإسلامية، وقد وضعها شاهد عيان من الباحثين المسلمين، وهو الدكتور علي المنتصر الكتاني في كتابه القيم «المسلمون في أوروبا وأمريكا» فقال: (الصليبية في عداواتها للإسلام حليفة لليهود، فكثيرًا ما تصب اللعنات على العرب والمسلمين جهارًا في الكنائس النصرانية، كما تشوه التعاليم الإسلامية في كل المنشورات المسيحية، وأكبر المراكز للتهجم على الإسلام في كليات أو مراكز أو أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية، خاصة في (برنستون) و(هارفارد) اللتان حصلتا على إعانات مادية من بعض الأوساط العربية المسلمة مع الأسف الشديد، ونضيف إلى ما ذكره الدكتور الكتاني مراكز أخرى للدراسات

الاستشراقية في الجامعات الأوربية وبخاصة أكسفورد، وكامبردج، والسوربون، وليدن، وقرطبة...وغيرها وبعض المراكز تابعة لكليات تسمى كليات الصليب، أو الصليب المقدس كما هو الحال في أكسفورد ونيويورك وورستسر على سبيل المثال، وبعض هذه المراكز تمولها كذلك وتدعمها بنفوذها شخصيات وهيئات عربية إسلامية، ومن المؤسف والمخزي أن ينجح الاستشراق حديثًا في استقطاب بعض من يسمون علماء المسلمين، وجرهم إلى المشاركة الآثمة في النشاطات المشبوهة للمستشرقين).

وقال محمد بن إبراهيم الشيباني في كتاب «مبادئ لفهم التراث» ص(١٠١-١٠٢) وهو يتحدث عن أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم قال: (آربري إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، وقد تخرج على يديه كثير من الأساتذة العرب في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا، ومن كتبه:

١- «الإسلام اليوم» صدر في عام ١٩٤٣م.

٢- «مقدمة لتاريخ التصوف» صدر في عام ١٩٤٧.

٣- «التصوف» صدر في عام ١٩٥٠.

٤- «ترجمة القرآن» صدر في عام ١٩٥٠.

والشاهد قوله: (تخرج على يديه كثير من أساتذة العرب...) فإذا كان واحد من المستشرقين قد تخرج على يديه هؤلاء، فكم سيكون الذي تخرجوا على أيدي المستشرقين الآخرين ومن المراكز والجامعات المعدة لذلك؟!! اللهم سلم، سلم!!.

الجامعات الغربية في البلاد العربية تحرك الدعوة إلى تأسيس أقسام دراسية لمحاربة اللغة العربية

لا تزال أماكن التعليم من مدراس ومعاهد وجامعات وغيرها التي أسسها أعداء المسلمين في بلاد العرب والمسلمين واستمروا في إدارتها، تلقي على أبناء المسلمين بوائقها وتنفث سمومها وتمكن لنفسها، وعلى سبيل المثال: ما عمله القائمون على جامعة (برنستون) الأمريكية.

ذكر صاحب كتاب "حصوننا مهددة من داخلها" ص(٢٥٨-٢٥٩) إنشاء مشروعين أحدهما إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات وثانيها إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب.

وقال عن هذين المشروعين ما نصه:«بدأت فكرة هذين المشروعين في مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد في صيف سنة ١٩٥٣م، بدعوة من جامعة (برنستون) الأمريكية ودعي إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين إندونيسيا شرقًا والمغرب العربي غربًا واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين، بعضهم من رجال وزارة الخارجية، وبعضهم من المبشرين الذين يشترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمي فريق ثالث لموظفي شركة البترول.

وذكر أنه أنشأ قسم اللغة العربية بجامع الإسكندرية شعبة تدعى شعبة الدراسات العربية الحديث وقال فيها ص(٢٦٦): «فهي تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعرا ونثرا، كأن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار، ليست له حاجة منذ القرن التاسع عشر الذي حصرت الشعبة دراستها فيه.

وماذا على الأعداء من خسارة إذا كانوا يقدمون شيئا من حطام الدنيا؛ لإقامة المؤتمرات التي حقيقتها المؤامرات، ويشترون الرجال والنساء من المسلمين ويدفعونهم لتنفيذ ما يريدون من إجرام؟! فقاصر النظر يظن أن هذه الانحرافات في إضلال المسلمين آتية من قبل أنفسهم، وما علم أنهم كالآلات يحركهم الأعداء، فيجمعونهم متى شاءوا، ويفرقونهم متى شاءوا، ويأمرونهم بما فيه المحاربة للإسلام والإفساد الخاص والعام، فهل من عاقبة للمسلمين وهذا الصنف معول هدم بيد الأعداء؟! اللهم سلم سلم!.

محاربة اللغة العربية على يد كثير ممن درسها على أيدي المستشرقين

لقد وجد أعداؤنا بغيتهم حينما سُلِّم لهم أبناء المسلمين؛ ليغرسوا فيهم ما شاؤوا، وليربوهم كما يحبون، وقد كان لهذا التعليم غوائل تأتي على الإسلام كله؛ لأن كثيرًا من

هؤلاء التلاميذ تخرجوا وهم يحملون السم الزعاف الذي تلقوه عن أساتذتهم المستشرقين.

قال محمود شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار" ص(١٨٨-١٨٩): (ولما تولى محمد علي أمر مصر وزينت له نفسه أن يستقل بها، وأغراه طموحه أن يجعلها تناصي دار الخلافة في تركيا، انثال عليه قناصل الدول، ليشدوا أزره، وليحطموا بمعاول جيشه صرح الخلافة العثمانية، فعاونوه على إنشاء المدارس، واستقدم لها المعلمين، وأرسل البعثات إلى أوروبا منذ سنة ١٨٢٦..).

وقال أيضًا: (وصار المتخرج في البعثات يحسن لغة البلاد التي تعلم بها، ويحسن التعبير بها في العلم الذي درسه، ثم لا يحسن مثله في لغته التي ينتمي نسبه إليها).

وقال الدكتور شيخاني في كتابه "البعد الديني للغة العربية" (٣٥): (وإن بداية غروب شمس الإسلام الحضاري تلازم مع مراحل نمو الشعور الشعوبي ضد العربية والعروبة، لغة وعقيدة، وقد تنامى هذا الشعور مع الزنادقة الذين حاولوا تقسيم الأمة الإسلامية، وتمزيقها، وتكونت مجموعات تدعي التقدمية، وأصيبت بالذهول الفكري نحو الغرب فكرًا ولغة، وتربت في مدارس الغرب وعادت لتهدم كيان هذه الأمة، بمساعدة الإرسالات التبشيرية التي تهتم باللغات الغربية، وتنفث سمومها في أجيال؛ لفصلهم عن تراثهم ولغتهم وعقيدتهم، وبذلك ضعف انتشار اللغة العربية لدى الشعوب التي سيطهر عليها الغرب).

وقال صاحب كتاب "الشعر النبطي" (٥٧): (وتلامذة المستشرقين من أبناء الأمة العربية قد قاموا بالمهمة الآن خير قيام، مما أربى على جهود الأجانب الغربيين للأسف، في حين أننا نجد الأجانب من المستشرقين وغيرهم يعملون بتخطيط وأهداف معروفة، أما عامة هؤلاء يعملون بلا أهداف ولا تخطيط فيما يظهر، والله أعلم بنياتهم وخفايا ضمائرهم).

وقال صاحب كتاب "رؤية إسلامية للاستشراق" ص(٨٢) بعد كلام له: (وبينت أن الدراسات الاستشراقية ذات ارتباط وثيق بالاستعمار وبالتنصير، وأنها بحكم هذا الارتباط لا تلتزم ولا يمكن أن تلتزم بالموضوعية العلمية في تناولها للإسلام بوجه خاص، كما بينت أن هذه الدراسات تسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي الذي تتخذه الحكومات الغربية دائمًا ضد الإسلام والمسلمين).

ذكر عدد من تلاميذ المستشرقين ومقلديهم الطاعنين في اللسان العربي المبين

لقد كانت مصيبة المسلمين فيمن تتلمذ على أيدي المستشرقين والمنصرين والمهودين فادحة جدًّا ؛ لأن كثيرًا من هؤلاء التلاميذ رجعوا إلى بلادهم وهم يحملون ما درسهم أساتذتهم من شركيات وكفريات وضلالات يحاربون بها الإسلام وأهله، ومما حملوه عنهم: محاربة اللغة العربية، والحيلولة بينها وبين المسلمين، وقد كان هؤلاء التلاميذ

أكثر تصريحًا بمحاربتها من أساتذتهم، وأقوى مواجهة، وأعظم تحمسًا، وهم كُثُر نذكر بعضًا منهم:

- **أحمد بن لطفي بن السيد المصري**، كان رئيسًا لمجمع اللغة العربية في القاهرة، قال الميداني في كتابه «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها» ص(٣٦٢-٣٦٣): (فكان لطفي السيد من أوائل المصريين الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية، بعد أن مهد لها دعاتها من المستشرقين).

وذكر صاحب كتاب «نظرات شرعية في فكر منحرف» (١/ ١٤-١٥) في ترجمة للطفي السيد ما نصه:

(الدعوة إلى العامية: وقد سار في هذا التيار مؤيدًا الخطوات التي كان قد قطعها المستشرقون والمنصرون قبله، وكان أبرز ما دعا إليه:

أ- إبطال الشكل، وتغييره بالحروف اللينة.

ب- تسكين أواخر الكلمات.

ج- إحياء الكلمات العامية المتداولة، وإدخالها في صلب اللغة الفصحى).

- **عبد العزيز فهمي باشا.**

ففي المصدر السابق وفي إطار الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية أو إصلاح الكتابة العربية قدمت عشرات من المشروعات، أخطرها مشروع قدمه (عبد العزيز فهمي باشا) لكن مشروعه قوبل بالسخط والنكير الشديدين من حماة اللغة العربية الذائدين عنها، ونأسف أن عبد العزيز هذا كان عاملًا في مجمع اللغة.

- **حسن حنفي** قال صاحب كتاب «العصرانيون» ص(٤٠٢-٤٠٣): (وحتى اللغة تعتبر عند حسن حنفي لغة قديمة، لغة دينية أشبه بلغة اللاهوت تشير إلى موضوعات دينية خالصة مثل: -دين - رسول- نبوة- وأن في العصر ألفاظًا تجري مجرى النار في الهشيم مثل: -التقدم - الحركة - والتحرر- والجماهير- وهذه يمكن أن تعبر عن ثقافة وطنية).

- **طه حسين** خريج المستشرقين ؛ وكفرياته كثيرة، وبوائقه خطيرة، قال عنه وعن دعوته صاحب كتاب «نظرات شرعية في فكر منحرف» (١/ ٤٧٩) في ترجمة طه حسين: (الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور، ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب ؛ كالسريانية، والقبطية، واللاتينية، واليونانية).

وذكر ص(٤٨٦): (دعوته إعلاء شأن الأدب اليوناني على الأدب العربي، والقول: بأن لليونان فضلًا على العربية والفكر الإسلامي).

- **توفيق الحكيم**، قال صاحب كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ٢٩٤) وهو يتحدث عن توفيق الحكيم: (مهاجمته للغة العربية، ودعواه أنه لا ينتفع بها، وأن عصرها قد انتهى).

قلت: هذا كلام من لا يدري ما يخرج من رأسه، وإلا فاللغة العربية باقية إلى قيام الساعة؛ لأنها لغة القرآن والسنة.

- **لويس عوض**، قال العفاني في كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ٢٩٤) وهو يذكر تهجم لويس على اللغة العربية: (لويس عوض تلميذ سلامة موسى الفرعون الذي دعا

إلى ترجمة القرآن إلى اللغة العامية المصرية، وحجته كما يقول الأستاذ محسن عبد الحميد في كتابه «اللغة العربية» ص(١٤) أن كتابًا يؤمن به الشعب يجب أن يقرأه بلغته لا بلغة أخرى).

وقال أيضًا (١/ ٣٠٠) وهو يتحدث عن لويس عوض وعن دعوته: (من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى، ودعاواه الكاذبة في مواجهتها؛ كراهية للإسلام والقرآن، وقد كان من أخطرها كتابه «مدخل إلى فقه اللغة العربية» الذي حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من القوقاز، وأن اللغة العربية لغة آرية ليس لها أي تميز خاص، وقد خاض في شبهات حول الإعجاز القرآني وغيره على نحو مضلل) وانظر (١/ ٣٠٤) من نفس المصدر.

- مجموعة دعوا إلى نشر اللغة الوسطى بين العامية والفصحى، ففي «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها»: (وكان المتوسطون الذين دعوا إلى نشر اللغة الوسطى بين العامية والفصحى [فديد أبو حديد، توفيق الحكيم، أمين الخولي]).

- **إبراهيم مصطفى**، نقل العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (١/ ٤٦٨) قوله: (إنْ أبينا إلا أن نمضي كما كان النحو، وكما كانت الكتابة، فلا بد أن ينشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة ؛ كما نشأت الإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة). وهي دعوة إلى تبديل قواعد النحو والصرف.

- **أنيس فليحة** نقل العفاني في كتابه «أعلام وأقزم» (١/ ٤٧٢-٤٧٣) قوله: (هذا الصرف وهذا النحو ؛ أما لهذا الليل من آخر؟. تمنى فيه أن يرى حاكمًا عسكريًّا سياسيًّا

يفرض العامية على العرب... وكتابه «نحو عربية ميسرة» حملة مركزة على اللغة العربية الفصحى، وعلى الأدب العربي، وتحدث بصفة خاصة عن صلة اللغة العربية بالقرآن الكريم).

- **يوسف السباعي** له ترجمة في كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ٥٥٧) وذكر العفاني من أقواله (١/ ٥٥٨): (والواقع أن لغتنا العربية سخيفة، وفيها حاجات مش معقولة).

- **سعيد عقل** قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٥١) في ترجمة المذكور: (وقد أصدر أول كتاب لبناني بالحرف اللاتيني عام ١٩٦١م). وذكر عنه أنه قال: (علينا أن نترك لغة الكتب ؛ لنأخذ لغة الحياة، وعلينا أن نترك فرع الهجاء الفينيقي بالحرف العربي، ونعتمد فرعًا آخر كاللاتيني وما أشبه، لا تعوزه تلك الحروف).

- **عفيف الأخضر** ذكر العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ١١٤) من بوائقه: (إلغاء اللغة العربية، وكتابة لغات أخرى لتحل محلها).

- **الأستاذ عبد العزيز الأهواني**، قال صاحب كتاب «الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة لغير الناطقين بها» في المقدمة: (ويستغرب حقًّا كذلك موقف الدكتور عبد العزيز الأهواني أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة القاهرة –رحمه الله– فلقد نشك في مقدرة اللغة العربية وكفاءتها في مقال نشره بمجلة الآداب سنة ١٩٥٦م بعنوان: (العربية الفصحى في حرج) وتساءل هل هي لغة ميتة كاللاتينية واليونانية القديمة؟).

- **عبد الحميد يونس**، ففي المصدر السابق في المقدمة: (وقد نادى د. عبد الحميد يونس بضرورة تشجيع الأدب الشعبي، أو أدب العاميين، أو أدب الأميين، كما يسميهم

هو نفسه في رسالته «الهلالية» ويرى أنه أدب أدل على بيئته من أدب الخواص، وأشباه الخواص).

- **قاسم أمين**، قال في المصدر السابق في المقدمة قوله: (ومن المسلمين كذلك قاسم أمين يقول عن اللغة العربية: (مرت عليها القرون الطويلة، وهي واقفة في مكانها لا تتقدم خطوة إلى الأمام، بينا أخذت اللغة الأوربية تتحول وترتقي كلما تقدم أهلها في الآداب والعلوم ؛ حتى أصبحت النموذج المطلوب في السهولة والإيضاح والدقة والحركة والرشاقة، وصارت أنفس جوهرة في تاج التمدن الحديث).

وأمثال هؤلاء كثير، وأما لو جئنا إلى ذكر من يعملون في المدارس الإعدادية والثانوية، والكليات، وغيرها من أماكن التعليم على طريقة المستشرقين في محاربة لغة القرآن، فلا يحصيهم إلا الله، ولكن الحمد لله قد باؤوا بالفشل، وسيبوؤون بالفضيحة في المستقبل ؛ حينما يعرف الناس أنهم على خط أعداء الله سائرون.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تشارك في محاربة اللغة العربية وغيرها

قال جمال سلطان في كتابه «الغارة على التراث الإسلامي» ص(١٣٠): منذ سنوات قليلة على وجه التحديد في العام الهجري ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٦الميلادي صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ما أسمته: (الخطة

الشاملة للثقافة العربية) وهذه الخطة قد أتت بناء على توصيات المؤتمر الثاني للوزراء العرب المسئولين عن الشئون الثقافية والمنعقد في العاصمة الليبية طرابلس، عام ١٩٧٩م تحت شعار: (نحو إستراتيجية للثقافة العربية)... وقد قامت اللجنة المذكورة، والمنتقاة من السلطات العربية، بتوجيه الدعوة إلى أكثر من ستمائة باحث ومفكر عربي؛ لكي يشاركوا في وضع إستراتيجية الثقافة العربية، حسبك من شم ريح التآمر ألا يكون بينهم عالم مسلم واحد....وذكر من المختارين من قبل لجنة المنظمة: محمد أركون الباحث الجزائري، وحسن حنفي.

قلت: محمد أركون خريج جامعة السربون الفرنسية، وهي إحدى الجامعات الكبرى التي تخرج كثيرًا من أبناء المسلمين الدارسين فيها على طريقة المستشرقين.

قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ١٣٤) في ترجمة المذكور: (وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام والقرآن والسنة بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس، ونيتشه وغيرهما).

وذكر له كفريات كثيرة إلى جانب ما سبق، ومن ذلك (إنكاره أصول الإسلام).

وأما حسن حنفي فقد ذكر أيضًا العفاني في المصدر السابق (١/ ٦٣٤-٦٤٤) عنه أنه يقول: (العلمانية أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ). وذكر عنه أنه قال: (قال الله، وقال الرسول لا يعتبر حجة). وقال: (احتمينا بالنصوص، فجاء اللصوص). وذكر عنه أنه ينكر أصول الإسلام، فهو ملحد

علماني، وذكر من تهجمه على العربية قوله: (هي لغة عاجزة عن إيصال مضمونها في العصر الحاضر). وقال: (هي لغة تاريخية صورية مجردة).

وإذا أردت المزيد من معرفة كفرياته فارجع إلى المصدر المذكور.

الغارة على اللغة العربية من الحداثيين

ظهرت حركة الحداثة في بلاد الغرب الكافر في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي حركة شعرية إلحادية بحتة يعرِّفها أصحابها بأنها رؤية خاصة للكون والحياة والإنسان. انظر كتاب «الحداثة في ميزان الإسلام» (٦٧) ومن خلال تعريفهم هذا يعلم أن الحداثة لا صلة لها بالإسلام، وبما عليه المسلمون، وبما أن حداثة هؤلاء كثيرًا ما تكون شعرًا، فقد جعلوا شعرهم لتحطيم الألفاظ العربية، وإبطال معانيها، ناهيك عن سبهم لله، ولدينه، ولرسوله ﷺ بأبشع وأقذع أنواع السب.

قال صاحب كتاب «الحداثة في ميزان الإسلام» ص(٥٠-٥١): (يقول السريحي في صفحة (٨٧) من كتابه «الكتابة في خارج الأقواس»: [ولهذا فإن استخدام الشاعر للكلمة يبدأ بتحطيم الدلالة الوضعية لها ؛ لكي يتمكن من أن يطلق ما يكمن فيها من طاقات شعرية.... وذلك هو ما يجب أن يأخذه الناقد في عين الاعتبار عند تعامله مع لغة المتن الشعري؛ لأن عمله يبدأ بتحرير المعاني التي غرسها الشاعر في اللغة ؛ عندما استحالت على يديه إلى رموز].).

وقال أيضًا ص(٤٨): (قال عبد الله الغذامي في كتابه «الخطيئة والتكفير» ص(١٠): [وهذا كله فعالية لغوية تركز كل التركيز على اللغة وما فيها من طاقة لفظية، ولا شأن للمعنى هنا؛ لأن المعنى هو قطب الدلالة النفعية، وهذا شيء انحرفت عنه الرسالة، وعزفت عنه، ولذلك فإنه لا بد من عزل المعنى، وإبعاده عن تلقي النص الأدبي، أو مناقشة حركة الإبداع الأدبي].).

قلت: وهذا الذي قاله السريحي والغذامي أخذوه من ملاحدة المستشرقين ففي المصدر المذكور قول المؤلف:

(أيها القارئ الكريم، ما دام (ديرايد) يقرر و(ليتش) يقول: (إننا يجب أن نحاكم النص إلى ذاته ونفسه، وننظر في أدواته الفنية فقط، بعيدًا عن أي مؤثر خارجي).

وأما تصريحهم بشن الحرب على اللغة العربية فقد قال البياتي: (اللغة الصلعاء، كانت تصنع البيان والبديع فوق رأسها باروكة، وترتدي الجناس والطباق في أروقة الملوك، وشعراء الكدية الخصيان في عواصم الشرق على البطون في الأقفاص يزحفون؛ لينمو القمل والطحلب في أشعارهم). نقلًا من كتاب «الحداثة في ميزان الإسلام» ص(٩١).

فهذه إحدى طرق الحداثيين التي يلغون بها حقيقة الألفاظ الشرعية، ويحصرونها فيما اصطلحوا عليه أنهم يقتبسون منها الجهة الفنية فقط، والناظر في أشعارهم ونثرهم يرى أن إلحادهم قائم على الرموز والغموض و التناقض، وللفائدة من صناديد الحداثيين في الوطن العربي:

عبد العزيز المقالح، عبد الوهاب البياتي، خليل حاوي، عبد الوهاب البياتي، محمود درويش الفلسطيني، أدونيس هو: علي بن أحمد بن سعيد السوري، صلاح عبد الصبور، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي المغربي، أحمد حجازي، محمد العليّ، عبد الرحمن المنيف، محمد الثبيتي، عبد الله بن ربيع، عبد الكريم الرازحي، عبد الودود بن سيف، زيد بن مطيع، أحمد بن قاسم دماج، محمد الحربي، عبد الفتاح بن عبد الولي، عبد الله الصيخان، يوسف القعيد، جمال الغيطاني، سعيد البازعي، علي القرشي، عثمان الصيني، وغيرهم. انظر كتاب "الحداثة في ميزان الإسلام"

تورط بعض المجمعات والمؤتمرات اللغوية في محاربة العربية ووأدها

سبق أن ذكرنا أن المستشرقين تسللوا إلى بعض المجامع اللغوية الإسلامية؛ ليتمكنوا من إفسادها، ولينشروا من خلالها ما يحاربون به اللغة الفصحى، ومن هذه المجامع مجمع اللغة في القاهرة، قال صاحب كتاب «الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة» (١٥) ما نصه: (وقد تورط مجمع اللغة بالقاهرة في خضم هذا الجدل، ودعا إلى إصلاح الخط العربي).

قال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد»ص(١٤٧): (إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه مجمع اللغة العربية في القاهرة في أول نشأته، ثم انتهى زمانه إلى الكتاب والصحفيين الذين نبهوا المجمع إلى أهمية العامية، وإلى خطورة جمود اللغة ؛ بتخلفها عن مسايرة الزمن).

وقال صاحب كتاب "حصوننا مهددة من داخلها" ص(٢٠٠) وهو يتحدث عن المؤتمر الأول للمجاميع اللغوية العلمية في دمشق عام ١٩٥٦م قال: «اجتمع في هذا المؤتمر مندوبون من المجامع اللغوية العلمية في مختلف بلاد العرب فشهده، وفد من مجمع اللغة العربية في القاهرة، ووفد من المجمع العلمي العراقي، ووفد من المجمع العلمي العربي في دمشق، كما شهده مراقبون من الدول العربية التي لم تؤسس فيها مجامع وهي الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس» وذكر أسماء صناديد هذا المؤتمر، وهي:

١- أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة.

٢- علي حسن مندوب الأردن.

٣- أحمد بن عبد السلام مندوب تونس.

٤- منير العجلاني عضو مجمع دمشق.

٥- إبراهيم مصطفى.

٦- طه حسين.

ومن ثَمَّ ذكر صاحب المصدر المذكور ما دار في هذا المؤتمر من مطالب مريبة قال: لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ في الكتاب الذي جمع ما ألقي في هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة أو تفريق المجتمعين عليها من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها، ولكن واقع الأمر جاء مختلفا عما يتوقعه القارئ وما يرجوه فامتلأ الكتاب في مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية وإلى تبديل الخط العربي وقواعد النحو والصرف والبلاغة»

وأختم هذا بالمقال الآتي الذي من خلاله يتضح لماذا يحارب هؤلاء العربية، قال صاحب المصدر المذكور ص(٢٠٧-٢٠٨) ما نصه: «والذي يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوساوس في نفوسهم، وحقيقة الذي ألقى هذه الأوهام في رؤوسهم، وحرك بها ألسنتهم، ودفعهم إلى ترويجها هو: أنك تجد فريقا منهم يفكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية تجد ذلك في محاضرات أنيس فرحة... حين يفكر للغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثوابا لم تُقَدَّ على قدها ولم تجعل لها... وتجده كذلك في محاضرة منير العجلاني التي ألقاها في مؤتمرنا هذا... حين يصب تفكيره في قوالب فرنسية فلا يكاد يأخذ في تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة في وحدة الأمة، حتى يبني كلامه على رأي لهريو أو رينان أو ماتسيني أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموما والفرنسية بخاصة»

كليات الآداب في البلاد العربية وكر للدسائس الخفية ضد العربية

كليات الأدب يصلح أن تسمى كليات الخراب؛ لما فيها من إفساد لعقول الدارسين، ولما فيها من تمكين لأباطيل المنصرين والمهودين، قال صاحب كتاب "حصوننا مهددة من داخلها" ص(٢٦٦-٢٦٩) وهو يذكر الكتب التي أعدتها جهة مختصة لتدرس في كلية الآداب في شعبة الدراسات العربية: (وأكتفي في هذا الموضع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التي تريد أن تفصل حاضرنا ومستقبلنا عن ماضينا لأستأنف إكمال الصورة التي نحن في صددها بنقل ما جاء في المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة في هذه الشعبة بسنتيها في السنة الثالثة:

١- تاريخ النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر.

٢- الأدب العربي الحديث في مصر والبلاد العربية.

٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث، مع العناية بنواحي الاتصال بينه وبين النقد الأدبي الأوربي.

٤- التطور اللغوي العربي في العصر الحديث، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية.

٥- تيارات الفكر الإسلامي، وحركات التجدد في العصر الحديث.

٦- المذاهب الكبرى في الآداب الغربية، وتأثيرها في الفكر العربي.

وفي السنة الرابعة:

١- الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية، وصلتها بالأدب.

٢- مدارس الشعر العربية الحديث.

٣- مدارس القصة.

٤- فنون الأدب الشعبي.

٥- اللهجات العربية الحديثة.

٦- ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة مع العناية بالنحو المقارن والأصوات اللغوية. هذه هي مواد الدراسة في الشعبة الحديثة... تخلو خلوا تاما كما ترى من درس واحد في النحو أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربي السابق على الحملة الفرنسية ويترتب على هذه الظاهرة الخطيرة أمران خطيران:

أولهما: عدم صلاحية المتخرج في هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التي يجهل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها، ليس هذا فحسب، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعول هدم يعمل فيها...

أما الأخرى: فهي أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التي يريد المنهج أن يسميها (كلاسيكية)؛ لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب، الذي قد تستهويه هذه البدعة؛ فينصرف عن دراسته لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم، إلى هذه الدراسات التي تحاول أن تربط حاضرنا ومستقبلنا الأدبي بالغرب، في الوقت الذي تقرن فيه تراثنا الأدبي الحي العريق بالآداب السامية الميتة: آداب السريانية والعبرية.

وأما ما يتعلق بحصص الدراسة في الكليات فقد قال في المصدر المذكور ص(٢٢٦) ما نصه: ويكفي أن أقدم مثالا واحدا لذلك في درس الأدب العربي الذي لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها أو السريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب في كل من السنتين الثالثة والرابعة)

قلت: ولا تظن أن الذي ذكرناه آنفا مقصورٌ على كليات الآداب في مصر، بل كليات الآداب في كل مكان ملغمة بالفتن، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تصريح لجنة تيسير القواعد العربية، ومؤتمر مفتشي اللغة العربية في محاربة اللغة العربية

قال صاحب كتاب «خصائص العربية، وطرائق تدريسها» ص(١٧٨-١٧٩): (أما محاولات تيسير القواعد في العصر الحديث، فلا تعدو أن تكون صدى لآراء القدامى في هذا السبيل، فبدءًا من محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى الداعية إلى البعد عن الفلسفة وإلغاء نظرية العامل، والاحتكام في الإعراب إلى المعنى، وما قامت به لجنة تيسير قواعد اللغة العربية في مصر ١٩٣٨م/ ١٣٥٧هـ واقتراحها إلغاء الإعراب التقديري، والمحلي، والضمير المستتر جوازًا ووجوبًا، وجعل المبتدإ والفاعل، ونائب الفاعل في باب واحدٍ اسمه: [باب المسند إليه] ومرورًا بالمحاولة الجادة التي قام بها مؤتمر مفتشي اللغة العربية

في القاهرة ١٩٥٧م لتذليل صعوبات القواعد النحوية، والتي دعا فيها إلى تبني نهج جديد في تدريس النحو، يقوم على أساس أن الكلام العربي كله مكون من جمل ومكملات وأساليب، أما الجمل فإن لكل منها ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، والمكملات هي: كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسي معنى يكمله، والأساليب هي الأنماط اللغوية التي نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا، ونحن نحفظها ونقيس عليها، وقد رمت دعوتهم إلى تبويب النحو من جديد، فيجمع كل ما يتعلق بالمعنى الواحد في باب واحد يسمى [أسلوبًا]).

دعوة أذناب المستشرقين إلى تبديل قواعد النحو والصرف تحت اسم تيسير النحو

بلينا بأذناب المستشرقين أعظم من مصيبتنا بالمستشرقين ؛ لأن الأذناب يتجرءون على الدعوة إلى باطلهم ما لم يتجرأ أولئك، ومن جهة أنهم من أبناء المسلمين فينتظر منهم نصرة الحق ومحاربة أهل الباطل، فإذا بهم يفسدون الأمة من الداخل، فهم عدو داخلي، والعدو الداخلي أخطر مضرة، فيتوصل إلى إفساد القلوب، وتخريب العقول ومحق الفطرة ما لا يتوصل إلى ذلك العدو الخارجي.

ومن جرائم أذناب المستشرقين في حق الأمة دعوتهم إلى تبديل قواعد النحو والصرف تحت مسمى تيسير النحو.

قال العفاني في كتابه "أعلام وأقزام" (١/ ٤٦٨-٤٦٩): (إبراهيم مصطفى وكتابه إحياء النحو نسقه على ما تخيله طه حسين، وقدم له طه حسين، واقترح له اسما ضخمًا عريضًا فيه كثير من التبجح والادعاء فسماه: «إحياء النحو» والمقول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية من سلسلة تيسير النحو، وهو الصورة التنفيذية).

وذكر في نفس المصدر (١/ ٤٦٨): عن محمد بن محمد حسين إنه قال: (إن أصحاب النحو الجديد، أو ما يسمونه (تيسير النحو) شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا، وقطع كل صلة تربطنا به، فهم لا يهدمون، لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد ؛ كما يزعمون، ولكنهم يهدمون في حقيقة الأمر؛ لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم، وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض، ويسوونها لبناء جديد، ولكنه للأجنبي لا لنا ؛ يسيطر فيها الذين يسخرونهم لما يعملون من بعد ما يشاءون).

وقال أيضًا في المصدر المذكور (١/ ٤٦٨): (دعا طه حسين دعوة خبيثة إلى ما يسميه تيسير النحو، فقال: إن أبينا إلا أن نمضي كما كان النحو، وكما كانت الكتابة فلا بد أن ينشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة، كما نشأت الإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة، وهي دعوة إلى تبديل قواعد النحو والصرف).

وقد رد العفاني على هؤلاء قائلًا ص(٤٧٠): (إن الغرض الذي يرمي إليه طه حسين ومن على شاكلته كإبراهيم مصطفى يستهدف إلى إخراج اللغة العربية من أيدي حملتها إلى أيدي خصومها، وإن هذا نحو من أنحاء العمل الذي يقوم به الشعوبيون الذين يروجون اللهجات السوقية المحلية، ويسمونها العامية ؛ بمختلف الأساليب،

يرمي إلى انتزاع الدراسات العربية من حصانة الدين والقرآن، وقطع الصلات التي تربطها الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية).

فاتضح من هذا أن الدعوة إلى قواعد جديدة في النحو والصرف دعوة إلى إبطال النحو ؛ الذي هو أجل أركان اللغة العربية وخصيصتها الكبرى.

الاتحاد النسائي في مصر يطالب بحذف نون النسوة من اللغة العربية

ومن بوائق دعوة مساواة النساء بالرجال أن قامت نساء الاتحاد النسائي المصري بمطالبة حذف نون النسوة من اللغة العربية، يعني ليساوين الرجال في ألفاظ القرآن والسنة، قال محمد إسماعيل المقدم (١/ ١١٣-١١٤) وهو يتحدث عن مطالب الاتحاد النسائي المصري: (ثم في نهاية القرارات: اقتراح: تقديم طلب بواسطة رئيسة المؤتمر إلى المجمع اللغوي في القاهرة، والمجامع العلمية العربية بأن تحذف نون النسوة من اللغة العربية). اهـ.

قلت: وهذا الطلب دليل واضح على شؤم دعوة المساواة بين الرجال والنساء والعكس؛ حيث وصل بهن الجهل الذي لم يسبق له نظير إلى هذا الحد؛ لأن نون النسوة موجودة في اللغات الأخرى ولم يحصل هذا من نساء الكفار فما بال هؤلاء النسوة

يسبقن بالمطالبة إلى ما هو مستحيل؛ إذ إن كل أمة لن تسمح بالحذف المذكور؛ لأن هذا يعد في نظرها منكرًا للغتها، ولتفاهة هذا الطلب وسقاطة قائليه، رمي به في الأدراج.

من المحاربين للغة العربية أصحاب الشعر النبطي

الشعر النبطي عرّفه صاحب كتاب «الشعر النبطي» (١٢٠) بقوله: (ومن خلال هذه النتيجة نخلص إلى تعريف الشعر النبطي بأنه كلام ملحون ركيك عامي لا يتقيد بالإعراب والإملاء، وقواعد الشعر الفصيح، بل هو إلى العجمة أقرب منه إلى الفصحى).

والنبط في الإسلام قوم من الأعاجم والشعراء الذين ظهروا في جزيرة العرب وأخذوا يدعون إلى الشعر المذكور، ظهروا في القرن الرابع عشر، وكانوا على صلة بالهند إبان الحكم البريطاني، وقد تصدى لمواجهتهم آنذاك القائمون على مجمع اللغة العربية بدمشق كما في المصدر السابق (١٣٠) وذكر صاحب المصدر المذكور (١٤١) وهو محمد العمري أحد هؤلاء الشعراء، شعراء النبط وقال: (وقد حوت مكتبته أربعة عشر ومائة مخطوط من الدواوين الشعرية النبطية، قام بجمعها وكتبها بيده، ثم باع كتبه على جامعة الملك سعود) وانظر عددًا من دواوين الشعر النبطي في المصدر المذكور (١٤٣).

من تأليفات سماسرة العرب في إفساد لغة القرآن تحت مسميات إحياء النحو وتيسيره وغير ذلك

لقد تدفقت كتب على المكتبات الإسلامية من تأليف خصوم اللسان العربي.

ومؤلفوها من أبناء جلدتنا وهذه الكتب لها أسماء متنوعة، ولكن بعضها أشد جذبا؛ بسبب عناوينها، وهي تدل على استجابة مؤلفيها لما يريده الأعداء من الطعن في لسان العرب، ومنها الآتي:

١- إحياء النحو.

٢- النحو الجديد.

٣- تيسير النحو.

٤- تيسير قواعد النحو.

٥- تيسير قواعد الخط العربي

٦- تيسير الخط العربي

٧- النحو الميسر

٨- القراءة الجديدة. وغيرها.

ومصنفو هذه الكتب يدسون فيها السم الذي تلقوه من المستشرقين فعلى سبيل المثال ما قام به إبراهيم مصطفى المصري من مؤلف كتاب "إحياء النحو" فقد دعا في

هذا الكتاب إلى تبويب جديد للنحو والصرف، وهذه هي دعوة المستشرقين إلى تطوير اللغة العربية وهؤلاء استخدمهم أعداؤنا من أجل ذلك قال صاحب كتاب "حصوننا مهددة من داخلها" ص(٢٨١) وهو يتحدث عن هذا الصنف: وهم بذلك يسيرون في آثار الذي يستخدمهم الاستعمار في هدم اللغة العربية؛ كيدا للعرب وللمسلمين، حيث يشعرون أو لا يشعرون.

وقال أيضا ص(٢٤٦): وأصبح النحو الجديد أو ما يسمونه تيسير النحو شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به... وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض ويسوونها لبناء جديد، ولكنه للأجنبي لا لنا...

ومضمون النحو الجديد أو تيسيره: استبدال قواعد النحو وأصوله وضوابطه بغيرها باسم تطوير النحو وإصلاحه وتيسيره، ولا ينبغي أن يخفى على القراء أن هذا التأليف هو من جملة التنفيذ لما يريده أعداؤنا؛ فلم يقتصر أمر هؤلاء المنحرفين على مجرد الانحرافات، بل بلغ بهم الانحراف إلى هذه المواجهة القائمة على بث السموم وزرع الدسائس والتأصيل للباطل، ألا ساء ما يعملون.

فحذار حذار من الإقبال على هذه الكتب!!.

إدخال الأدب الشعبي في أقسام اللغة العربية

لقد أدخلت الحكومات الإسلامية ما يسمى بالأدب الشعبي ؛ إما في كليات الآداب ؛ وإما في كلية دار العلوم، وإما في غيرهما، وجعلت ذلك قسمًا من أقسام اللغة العربية، وجعلت مدرسين يدرسون ما يقال له الأدب الشعبي، والغرض من هذا دمج اللغة العامية بالعربية، وتحبيب اللغة الشعبية على اللغة العربية.

قال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(١٤٧): (وقد نجح أصحاب هذه الدعوات بوسائلهم المختلفة في إدخال دراسة ما يسمونه (الأدب الشعبي) في كل أقسام اللغة العربية بالأزهر ؛ بل نجحوا في إنشاء كرسي لأساتذة هذه المادة في قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، أصبحت دار العلوم مركز الثقل في هذه الدعوة بعد أن اجتمع فيها أكبر عدد من المختصين في هذه الدراسة، وانبرى عدد من الكتاب للكتابة بالعامية وبشكل خاص القصة، وبشكل تخص الحوار فيها، ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل في قصته المعروفة «زينب» وغيره من الكتاب).

الحكام العلمانيون في بلاد المسلمين يحاربون اللغة العربية

لقد اتجه الحكام العلمانيون في الشعوب الإسلامية اتجاهًا معاديًا للإسلام وأهله ؛ ومن ذلك محاربة اللغة العربية، حسب التمكن، وقوة اللادينية.

ومنهم: الطاغية الفرعوني العميل المخلص لأعداء الله مصطفى كمال أتاتورك، بالقضاء على الدولة العثمانية مع مساعدة الدول الغربية له في ذلك وسانده يهود الدونما، وتولى الرئاسة على الشعب التركي، وحول الدولة التركية إلى دولة علمانية بحتة؛ فقد قرأت عشرات الكتب التي تناولت جرائم مصطفى أتاتورك ؛ ومن تلك الجرائم مصادرته اللغة العربية ؛ كمًّا وكيفًا، قال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(١٣٩) ما نصه: (لقد عمد مصطفى كمال أتاتُورك إلى الحرف العربي بالذات، وعمل على القضاء عليه في تركيا، واستبداله بالحروف اللاتينية) فإن الحرف المكتوب من أقوى وسائل الارتباط الفكري، والحضاري بين الأجيال، وعندما يتم القضاء على الخط تنقطع أقوى الأواصر، وأكثرها متانة وفاعلية في ربط الحاضر بالماضي).

وفي كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ٣٨٥) في ترجمة أتاتورك وذكر حكومته ما نصه: (فقد ألغت بالعنف والإرهاب الكتابة التركية بالأحرف العربية، ثم تجرأت فحرمت الأذان بالعربية، وكتبت المصحف أو ترجمته بلغتها الهجين).

وقال صاحب كتاب «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» ص(٩٥) وهو يتحدث عن أتاتورك: (سعى إلى حذف الكلمات العربية من اللغة التركية ؛ إمعانًا في البعد عن العروبة والإسلام).

وقال صاحب كتاب «التدابير الواقية من التشبه بالكفار» (١/ ١٦٧) وهو يتحدث عن محاربة اللغة العربية: إن مصطفى كمال أمر بعد ذلك بتصفية اللغة التركية من الكلمات العربية وعقد لهذا الغرض عدة مؤتمرات انتهت بإخراج عدد (١٣٦٥٠) كلمة عربية وحلت محلها بدائل تركية أو أوربية.

قلت: لم تحصل هذه المحاربة عند ملاحدة أوروبا مع الإنجيل المحرف ؛ ولم يحصل هذا من الدول المستعبدة بلاد المسلمين، فهذا الفعل من الطاغية أتاتورك دليل على عظمة الجنون فيه، والاستهانة بكل ما له صلة بالإسلام، وعلى إهانته شعبه ودولته، ولمصطفى كمال أتاتورك كلمات تدل على إلحاده السافر كقوله: (نحن لا نريد شرعًا فيه قال، ولكن شرعًا فيه قلنا ونقول). "الأفعى اليهودي في معاقل الإسلام" (٣٨٤) ولما ذكر له القرآن قال: (لسنا مستعدين أن نكون وراء كتاب يبحث عن التين والزيتون).

وقد كانت جرائم مصطفى كمال أتاتورك مما تقر به أعين اليهود والنصارى ؛ تدل على ذلك أقوال زعماء الماسون، ففي «دائرة المعارف الماسونية» ص(١٦٢) ما نصه: (إن الانقلاب التركي عام ١٩١٨ الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة، فقد أبطل السلطنة، وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة

الإسلامية، وألغى وزارة الأوقاف... أليس هذا الإصلاح ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة؟!، فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقًا ولاحقًا....؟!).

ومن الحكام الذين سعوا في محاربة اللغة العربية اقتداءً بمصطفى كمال أتاتورك، ما قاله صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(١٢٤-١٢٥) قال: (نرى على المسرح السياسي حكامًا وأنظمة في العالم الإسلامي تتجه بشكل واضح باتجاه فصل العالم الإسلامي عن جذوره الحضارية، وربطه بالغرب والحضارة الغربية ؛ تحت شعار التجديد والحداثة والتطور والتقدم، ونذكر من هؤلاء الحكام: ١- رضا بهلوي تولى الحكم في إيران من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣١م أي أنه تولى الحكم بعد سقوط الدولة العثمانية بثلاث سنوات.

٢-أمان الله خان: تولى الحكم في أفغانستان من سنة ١٩١٩م إلى سنة ١٩٢٩م زار أوروبا، وتوجه باتجاه تغريب أفغانستان بعد سنة ١٩٢٧م أي بعد سقوط الدولة العثمانية بخمس سنوات... فقد بدأ هؤلاء الحكام بالقضاء على (الحرف العربي) أولًا. وعلى (اللغة العربية الفصحى) ثانيًا. وعلى (الحجاب) ثالثًا. وعلى (القضاء الشرعي) رابعًا. وعلى (حدود الله تعالى في الحلال والحرام خامسًا. وعلى (الأخلاق والأعراف) الإسلامية سادسًا. وعلى كثير غير ذلك؛ بحجة التطور والتجديد والحداثة).

وهؤلاء الحكام إذا بحثنا وفتشنا عن حقيقة أمرهم ؛ وجدناهم من صناعة غربية ؛ رباهم أعداؤنا في مدارسهم، وجامعاتهم، وخرجوهم على أساس المحاربة لكل خير، والدفاع عن كل باطل، وتبقى هذه الأعمال عارًا عليهم، وشنارًا، والله المستعان.

تفريط حكام المسلمين في المحافظة على اللغة العربية

إن تفريط حكام المسلمين المعاصرين في اللغة العربية كبير وخطير، يتلخص في الآتي:

١- عدم الاهتمام باللغة العربية في مجال التدريس، وهذا واضح جدًّا، فلا حرص على إيجاد مدرسين أقوياء إلا نادرًا، ولا تشجيع وتكريم لمن يتفوق في هذه المادة، ولا يعطون مرتبًا جيدًا ومتميزًا لمدرسيها يناسب هذا العلم، بل الذي يدرس مادة الإنجليزي في بعض الدول العربية يعطى مرتبًا ضخمًا، بخلاف الذي يدرس اللغة العربية، فهو من المنسيين إن لم يكن من المهانين.

٢- السماح للأعداء بتدريس لغتهم أبناء المسلمين، بل ويدرس أبناء المسلمين في مدارس الأعداء ؛ وهذه إحدى الكبر!!.

٣- الإتيان بمدرسين ودكاترة مستشرقين، وزنادقة وغيرهم، يدرسون أبناء المسلمين الإسلام ولغته، فماذا ينتظر من وراء تدريس هؤلاء؟! فلو تخرج أبناؤنا يهودًا أو نصارى أو مجوسًا في الفهم والعقل، لما كان ذلك إلا دليلًا على أن وظيفة هؤلاء المدرسين قد أثمرت الثمرة التي غرسوها، وكم تظهر ما بين الحين من هذه النوعيات!!.

٤- عدم تكلم ولاة الأمور باللغة العربية في خطاباتهم، ومجالسهم، وهذا سبب لموت اللغة العربية عند رجال الدولة وفي أجهزتها.

٥- عدم إصدار قانون يمنع الكتابة في الصحف والمجلات والرسائل، إلا باللغة العربية الفصحى.

٦- لم تظهر لهم مواقف ضد الزحف الدولي الغربي للقضاء على لغة الإسلام، بل مواقفهم إما مهزوزة وإما معدومة، وإننا ما زلنا ننتظر من ولاة الأمور أن يعودوا إلى المحافظة على دين الإسلام ولغته وشريعته، وإن لم فسيبدلنا الله خيرًا منهم.

معاداة الشعوبية للغة العربية

من المعادين للعرب ولغتهم ودينهم الشعوبيون، قال الفيروزأبادي في كتابه "لسان العرب" (٧/ ١٢٧): (والشعوب فرقة لا تفضل العرب على العجم، و الشعوبي الذي يصغر شأن العرب).

وقال أبو الربيع نجم الدين في كتابه "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية" ص(٢١٦): (وإني آنست في عصرنا ذي الأعاصر وزماننا ذي المغربات والنوادر، قومًا يدعون الفضل دعوى مجرده، ويجمعون العلم في دفاتر مجلده، ينتحلون حلية الفضل، وكل منها عاطل، ويسهرون بالبطولة فيها بالمخرفة والباطل؛ ينكرون فضل العربيه؛ وتأخذهم عليها عصبية الشعوبيه؛ حتى لقد اتخذوه سخريا، ونبذوه وراءهم ظهريا، وعدوه ظمًا لا ريا، وحكموا بأن الخُلو منه أحسن أثاثًا ورئيا، فضلالًا لهذه الأحلام ما أسخفها، وخطًا لهذه الأحكام وما أعداها عن الحق وأحنفها، أيظنون أن ضياء الشمس

تخفيه المكابره، أم يحسبون أن اليقين يستحيل شكًا بالمنابره؟! كلاً، بل هي عقول عن التمييز معقوله، وقرائح مقروحه، كرهت أوطان النباهة، فهي إلى بلاد البلادة منقوله).

وقال صاحب "شرح المفصل" (٦/ ٧): (ولعل الذين يغضون من العربية، ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خيرة رسله، وخير كتبه في عجم خلقه، ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج، وزيغًا عن سوء المنهج) نقلا من كتاب "البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية" ص(١٥١)

وقال صاحب كتاب "الإسلام والاستشراق (٧٤): (بعد هذا العرض نستطيع القول إن جميع المحاولات التي استهدفت -ولا تزال- اللغة العربية للنيل منها، والحط من قيمتها بهدف القضاء عليها، كلغة موحَّدة، وموحِّدة هي بحد ذاتها محاولات شعوبية بثوب جديد).

وقال صاحب كتاب "البلاغة المفترى عليها" ص(١٥١): (ليس من العجب في شيء أن توجه للعربية -وهي لغة القرآن- السهام التي تحمل سموم الحقد في القديم والحديث، فأما قديمًا فقد وجدنا الشعوبيين، وذوي النزعات الإلحادية والحاقدين على هذه اللغة، وكتابها يبذلون كل محاولة؛ لينقصوا من قدرها، وليطفئوا بدرها، ويكفئوا قدرها).

وليس هذا محل بسط الكلام على الشعوبيين، ولكن أردت أن ألفت القارئ إلى انحرافها هذا تجاه العرب والعربية.

سعي الزنادقة في أوساط المسلمين إلى توحيد اللغات منذ القدم

ومن بوائق الزنادقة من قرامطة باطنية وحلولية اتحادية وغيرهم: السعي في مزج وخلط اللغة العربية بغيرها

وممن عرف عنه هذا محيي الدين بن عربي الطائي الحاتمي الزنديق.

قال الرافعي في "تاريخ آداب العرب" (١/ ٧١): (ويقال إن أول من عانى هذا الضرب من الوضع الإمام: محيي الدين بن العربي الأندلسي، من أهل القرن السادس للهجرة، وكان من أعلام الحقيقة، وأئمة المتصوفة، فذكر بعض علماء المشرقيات من الفرنسيس أنه عثر على أن الشيخ وضع لغة خاصة باستعمال المتصوفة أخذ ألفاظها من العربية والفارسية والعبرانية، وسماها (بليبلان) قال: وهذا الاسم من أوضاع اللغة نفسها ومعناه: لغة المحيي).

من أسباب الإضرار باللغة العربية تقريب الخلافة العباسية للأعاجم

من أسباب إضعاف اللغة العربية منذ القدم قيام الدولة العباسية بتقليد أمور المسلمين الأعاجم من فرس، وترك، ونصارى، وغيرهم، وقيام الخليفة العباسي المأمون باستقدام كتب الفلاسفة وتعريبها

قال السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" ص(٣٢٦) في ذكر أبي جعفر المنصور: (أول خليفة قرب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، ككتاب كليلة ودمنة، وإقليدس، وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال، وقدمهم على العرب، وكثر ذلك بعده؛ حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها، وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي، وكان قبل ذلك أمرهم واحدًا).

وقال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١/ ٣٢٨-٣٢٩):

(والدولة لهارون الرشيد والبرامكة، ثم بعدهم اضطربت الأمور، وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين رحمه الله تعالى، فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع، وأبدى صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد، مرد مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين).

وقال مصطفى صادق الرافعي في "تاريخ آداب العرب" (١/ ٢٠٥): (ثم لما انقضت الدولة الأموية، وهي بقية العهد العربي، أقبل العباسيون على اتخاذ البطانة من الفرس والديلم وغيرهم، وهم الذين كانت لهم اليد في بث العلوم، واتخاذ المترجمين، ونقل الكتب عن الفارسية والهندية واليونانية، مما سنفصله في مكانه، وابتدأت من ثم صناعة التعريب، وداخلت اللغة كلمات كثيرة من مصطلحات العلوم كالطب والفلك والهندسة ونحوها).

وقال أيضًا (١/ ٢٥٧): (فلما جاءت الدولة العباسية، وكان قيامها بنصرة الفرس - وخصوصًا أهل خراسان- حتى لقبوها بالدولة الخراسانية الأعجمية ضعفت العصبة للعرب، بما سكن من سورتهم، وفتأ من حدتهم، فكان ذلك فتقًا في العربية، وأيضا ولم ينتصف القرن الثالث حتى اختلط العرب بالفرس، والترك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم الذين اتخذوا للدولة، وكان ذلك بدء شيوع الألسنة الحضرية التي هي لهجات العامة).

وأما أضرار صنيع المأمون المذكور فقد ذكر في كلام الذهبي السابق، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٢/ ٨٤) وهو يتحدث عما فعله المأمون: (ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون في بلاد الروم، فعربت ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر).

وقال مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" (١/ ٢٠٥-٢٠٧): (ولما أنشأ المأمون دار التعريب التي سماها: (دار الحكمة) وهي دار كتبه العظيمة أرصد

فيها علماء لتهذيب الكتب المترجمة وتوجيه الأسماء المعربة من الأعلام والأجناس على ما يناسب المنطق العربي، فكانوا ينحون في ذلك منحى العرب، يتصرفون في الأسماء بالتغيير والإبدال والحذف، وهذا هو وجه الصعوبة في التعريب؛ لأنه لا ضابط له، ولأن الألفاظ العربية محصورة الأوضاع، محدودة الصيغ، لا تقبل الزيادة عليها إلا منها، ولا يمكن أن تقحم فيها الألفاظ الأجنبية إلا بعد أن تجانسها وتؤاخيها،....، ولم يكد ينقضي عصر التعريب العلمي عند العباسيين بعد أن دالت الدولة، وتراخت الهمم، حتى استعجمت اللغة، وطم الدخيل على المنطق؛ لأن الذين تولوا أمر التعريب يومئذ إنما هم الصناع، والمحترفون، لا الكتاب والمؤلفون، وبذلك صار الدخيل لغة في التاريخ، بعد أن كان تاريخًا في اللغة).

هجر التخاطب باللغة العربية في الأماكن التي ملكها العجم

لقد كثر انتشار العامية في أوساط المسلمين؛ بسبب استيلاء الأعاجم على كثير من بلاد المسلمين، قال ابن خلدون في مقدمته: (وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب؛ لبقاء الدين طالبًا لها، فانحفظت ببعض الشيء، وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق لها أثر، ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسها في المجالس).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٦٨-٤٦٩): (ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية، عوَّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديمًا، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم).

وقال مصطفى صادق الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب (١/ ٢٥٨): (ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب منذ القرن الرابع، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين، وصار ذلك مرجحًا لبقاء العربية المضرية من الشعر والكلام إلا قليلًا بالأمصار، فلما ملك التتر والمغول بالمشرق في النصف الثاني من القرن السابع، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس، وأرض الهند والسند وما وراء النهر، وبلاد الشمال وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام إلا قليلًا يقع تعلمه صناعيًا بالقوانين المتدارسة من كلام العرب).

وللدكتور محمد شيخاني كلام فيه تفصيل حسن قال في كتابه "البعد الديني للغة العربية" (٢٩):

(وعندما ضعفت الخلافة العباسية، وتسلط السلاطين من العجم والترك وغيرهم، ظلت العربية هي السائدة في الدواوين والمراسلات، والدروس الدينية والعلمية، حتى إنها ظلت لغة التخاطب السياسي بين هؤلاء السلاطين وغيرهم من ملوك الأقطار غير الإسلامية المحيطين بالوطن العربي، كالبيزنطيين، وهذا ما يؤكد أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم أيًا كانت لغته الأصلية جزءًا لا ينفصل من حقيقة الإسلام، حتى إن الفرس الذين باشروا الحكم إذ ذاك لم يكونوا يستطيعون التفكير في رفع إحدى اللهجات الإيرانية؛ لتكون لغة الدولة، وحتى عندما بدأ انحلال الدولة العباسية إلى أكثر من عشر دويلات بقي مقام العربية الفصحى، من حيث هي لغة الأدب الوحيدة في العالم الإسلامي ثابتًا غير منازع، نظرًا لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة غير منقوصة، بل لقد ازداد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذي قبل؛ لأن جميع الأقاليم أخذت تسهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط أعظم في الأوقات التي كان أدب العراق يحتل فيها المقام الأول).

مخالطة الأعاجم والأخذ عنهم سبب من أسباب فساد اللغة العربية

قال ابن خلدون في مقدمته (٥٥٨-٥٥٩): (واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق. أما إفريقية والمغرب، فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم؛ لوفور عمرانها بهم، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل، فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد. وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم، وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولًا ودايات وأظآرًا ومراضع، ففسدت لغتهم بفساد الملكة، حتى انقلبت لغة أخرى. وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالقة والإفرنجة. وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم، تخالف لغة مضر ويخالف أيضًا بعضهم بعضًا).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٦٨-٤٦٩): (ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم،

وهكذا كانت خراسان قديمًا، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم).

وقال فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله تعالى في كتابه "معجم المناهي اللفظية" ص(٢٥٨-٢٥٩): (وما ابتليت الأمة بشيء مثل ابتلائها بإهدار لغتها، والزوال عن سننها، والحيدة عن معانيها، وفي مقدمتها مواضعاتها الشرعية، فاستبعدت أسماء الشريعة المطهرة الواردة في التنزيل وسنة النبي الكريم، وعلى لسان صدور الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أساطين العلماء، ونجوم الهدى، واستبدل بكل هذا لغة القانون المختلق المصنوع، وهي لغة إلى اللغو أقرب، بل يقصر عن وصف قصورها وعجمتها وسماجتها يَرَاعُ كل بليغ، فبالله! كيف تحولت تلك العقول من رفيع العزة والمكانة إلى حضيض الذلة والمهانة؟!).

وفي عصرنا كثرت مخالطة العرب للأعاجم بما لم يسبق له مثيل، ولذلك أسباب منها: استعباد كثير من البلدان الإسلامية عسكريا من قبل اليهود والنصارى

ومنها: كثرة ذهاب المسلمين إلى بلاد الكفار

ومنها كثرة الوسائل التي بأيدي الأعداء مرصودة لإفساد المسلمين

ومنها اعتماد اللغات الأخرى موادّ أساسية في مدارس أبناء المسلمين

ومنها: سبب فرض الدول الكافرة تدريس لغتها عن طريق إعطاء المساعدة والقروض لكثير من الدول الإسلامية، وزيادة على ما سبق وجود المنظمات التنصيرية،

فكم تفسد وتخرب، فهل من يقظة عند أهل القرآن؟ ألا يكفي التلاعب والإهمال إلى هنا؟ ألا تجدد العزم؟ ألا تصحح السير؟ ألا تغار على ضياع حاضرنا ومستقبلنا.

فرض الدولة العثمانية اللغة التركية على العرب

لقد حصل في آخر عهد الدولة العثمانية السعي إلى فرض اللغة التركية على العرب.

قال صاحب كتاب "الإسلام والاستشراق" ص(٥٨):

(ثم كانت موجة (التتريك) العثمانية والتي تلطمت بلباس إسلامي مع أن العرب (ولغتهم وحضارتهم) كانوا من كبار ضحاياها، وكانت اللغة التركية هي لغة التدريس في بلاد الشام، وكانت اللغة العربية نفسها تدرس باللغة التركية وكتب نحوها وصرفها تؤلف باللغة التركية).

وقال صاحب كتاب "المؤامرة على بلاد الشام" ص(٥٦-٥٧): (وكانت اللغة الرسمية في دواوين الدولة هي اللغة التركية، وكانت المدارس الحكومية تدرس باللغة التركية، وكان أكثر معلميها من الأتراك، ومن كان عربيًّا منهم ألقى دروسه بالتركية، وتجافى عن الكلام بالعربية، حتى خارج غرف الدروس منعوا أبناء العرب أن يتحاوروا في الشئون العادية بينهم بالعربية، وكان ذلك أيام جماعة الإتحاد والترقي بشكل خاص.

وقال الأمير مصطفى الشهابي: (أتذكر أنني درست سنة واحدة في مدرسة تجهيز الحكومة العثمانية بدمشق، فكانت جميع الدروس تلقى بالتركية، وكان اللسان العربي

يدرس أيضًا باللسان التركي، وكان معلم العربية رجلًا تركيًا يتكلم لغة الضاد بلهجة تركية، ولا يفرق بين المذكر والمؤنث، ولا يفقه شيئًا من أدوات اللغة إلا مبادئ من الصرف والنحو؛ مطبوعة في كتاب تركي).

قلت: والذي جعل الأتراك مؤخرًا يحاربون اللغة العربية ويفرضون لغتهم بديلًا عنها: إلقاء الشبه عليهم بخطورة اللغة العربية عليهم، ففي كتاب العلاقات التركية اليهودية (٢/ ٢٢) أن صحيفة مؤيدة للاتحاديين وهم يهود الدونما جاء فيها: لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك، فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال أن ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم، فإذا أهمل هذا الواجب كان كمن سعى إلى حتفه؛ لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلا أم آجلا على استرجاع مجدهم الضائع، وتشييد دولة عربية واحدة على أنقاض دولة الترك.

القومية العربية لا لغة ولا إسلام

القومية العربية نَعَرَةٌ جاهلية؛ على غرار القومية الأوروبية الإلحادية، وقد أنشئت القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري على أيدي المستشرقين والنصارى في الشام ومصر وغيرها، وكان ردة فعل على القومية الطورانية في تركيا، والقومية العربية تنادي أن العرب أمة واحدة تربطهم الوطنية العربية، واللغة العربية، والتاريخ العربي، وتجعل

الأقليات النصرانية في الوطن العربي من جملة الذين تربطهم بهم الأهداف المذكورة آنفًا.

والقومية تحارب الإسلام، بل وصل الحال ببعض دعاتها أن قال:

هبوني عيدًا يجعل العرب أمة وسيروا بجثماني على دين بَرْهمِ

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلًا وسهلًا بعده بجهنمِ

وقال آخر:

إن يسألوا عن مذهبي عن نسبي أنا بعثي اشتراكي عربي

وزاد بعضهم في التجاوز حتى قال: (إن القومية العربية هي نبوة هذا العصر) وصارت القومية مطمع التنافس على الملك، مما جعل التمزق يزيد، والضعف يتمكن منها حتى صارت لقمة سائغة بين يدي أعداء الله.

وبسبب هذه النَّعَرَةِ الإلحادية، لحقت بالأمة العربية هزائم كثيرة، وتسلط عليهم أعداؤهم بما لم يكن في الحسبان، ونادوا بالعروبة، ولات حين عروبة، وهكذا من اعتز بالباطل أذله الله فلو وفق العرب إلى التمسك بالإسلام، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، مع الحرص على ذلك لحصل لهم خير عظيم، ونصر كبير، وعز شامخ، ومجد أثيل، وقد باءت القومية العربية بالفشل، وصارت كأنها حلم، وبقي الإسلام، والحمد لله!.

ولم تنجح القومية العربية حتى في المحافظة على اللغة العربية التي ادعت أنها إحدى روابطها القومية، فضلًا عن القيام بالدفاع عنها، بل من جرائم هؤلاء القوميين السعي للفصل بين العربية والإسلام.

قال صاحب كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ١٧٨): (ولقد وقف ساطع الحصري في وضوح موقف الخصومة والحقد والتعصب على الإسلام ؛ كلما عرض له، وقد تجاهله طويلًا في أبحاثه ؛ كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل، وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية، والفكر الإسلامي من ناحية، وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة).

تصريح بعض المستشرقين بأن محاربة تلاميذهم للإسلام ولغته بضاعتهم ردت إليهم

عواقب الدراسة على أيدي المستشرقين وخيمة، وأحوال المتتلمذين على أيديهم ذميمة، وأعمالهم وأقوالهم لا تخلو من الجريمة، وعلى سبيل المثال: ما عليه التلميذ الكبير طه حسين، قال عمر بن إبراهيم رضوان:

(وقد عمل المستشرقون جهدهم في تربية فئة من أبناء المسلمين على هذه الأفكار، وصدروهم مراكز علمية أو أدبية ليسهل على الأمة تجرعها، وكان على رأس هؤلاء الدكتور/ طه حسين، الذي أطلقوا عليه ظلمًا: (عميد الأدب العربي) فهاجم الإسلام عامة، والقرآن والسنة واللغة العربية خاصة، وكان أساتذته في هذه الأباطيل (ودجويدي الإيطالي) و (ماسينون –اليهودي الفرنسي) و (مرجليوث الإنجليزي).

وقال المقدم في كتابه «عودة الحجاب» (١/ ١٧٨) وهو يبين جرائم طه حسين: (ولا أجد أصدق في التعبير عن ذلك من حكم أستاذه التلمودي المستشرق (ماسينيون) عليه فقد قال: [إنني حين أقرأ بحثًا لطه حسين أقول: هذه بضاعتنا رُدت إلينا]

قلت: بل ويصر المستشرقون على مدح تلاميذهم الأوفياء لهم:

قال صاحب كتاب «نظرات شرعية في فكر منحرف» (ج٢/ ١٠٥٥): (ويقول أحد المستشرقين عن محمد عبده: [يعد من أشهر الشخصيات المحترمة في تاريخ الإسلام الحديث... إن كتابات الشيخ محمد عبده تمتاز بشيء من الجدة في روحها...إلخ المديح).

ويقول الدكتور الإنجليزي (إدوارد براون) عنه: (ما رأيت في الشرق، ولا في العرب مثله).

قلت: محمد عبده المصري له صلة كبيرة بالإنجليز والعلمانيين فهذه الصلة جعلته كأنه واحد منهم.

خلاصة المفاسد والأضرار التي يرمي إليها خصوم اللغة العربية

ما كان لأعداء الإسلام أن يبذلوا تلك الجهود الجبارة، والأعمال المنظمة الدولية المتواصلة في محاربة اللغة العربية، إلا لما يرون من عواقب وخيمة تلحق بالمسلمين، وقد تحقق لهم من ذلك ما تحقق، بل قام بعض الأتباع لهم بأكثر مما أرادوا من الإضرار والإفساد، وقد لخص غير واحد من أفذاذ المسلمين هذه المفاسد والأضرار.

قال أنور الجندي: (إن الاستشراق في المحال عمل على هدم الأمة العربية، والحضارة والتاريخ) نقلًا من كتاب «من افتراءات المستشرقين» (٢٢).

وقال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(٢٧): (وفي النهاية فإن الهدف من تغريب اللغة ليس فقط تشويه لغتنا ؛ وإنما هي وسيلة لتشويه ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا).

وقال صاحب كتاب «لماذا اللغة العربية» (٥٧-٥٨):

(وغياب اللغة العربية، أو هوانها في حياة الفرد المسلم، أو الأمة المسلمة يفتح المجال لتسرب لغات أخرى مع ثقافتها ونهجها ودينها، فيتسرب الدين الجديد شيئًا فشيئًا على واقع الأمة، وتتسرب معه عادات وتقاليد وتصورات عن الحياة والموت، والدنيا والآخرة، مغايرة لحقائق الإسلام، وتتسرب فلسفات مضلة، وآداب ونثر وشعر، ويفتح هذا كله ثغرات بعد ثغرات في حصون الأمة وقلاعها، حتى تنهار الحصون حصنًا بعد حصن، وقلعة بعد قلعة، فتدخل الفتن والشهوات والمحرمات، تحوطها فلسفات الشياطين؛ لتزينها إلى النفوس، فيهبط الكثيرون في وحولها، ويبدأ التنازل عن الإسلام شيئًا فشيئًا).

وقال أيضًا في المصدر نفسه ص(١٧-١٨): (وقد أدرك الأعداء أهمية اللغة العربية، وخطورة منزلتها في الإسلام، وفي فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ؛ فكان من أهم محاولاتهم إضعاف صلة المسلم بلغته العربية، وإضعاف شعوره بضرورة التمسك بها، وطرح أفكار غريبة مريبة تصرف المسلم عن لغته ودينه ورسالته في الحياة.

واستمرت هذه المحاولات قرونًا، واستغرقت جهودًا كثيرة، ومتابعة متواصلة دون ملل، فطرحت أفكارًا لتغيير قواعد اللغة العربية، أو بعضها، وأفكارًا لتغيير أحرفها وكتابتها، وأفكارًا لتغيير الشعر العربي، وكانت هذه المحاولات والأفكار التي تطرح مرتبطة بسائر المناهج والتخطيط الذي يضعونه لغزو العالم الإسلامي، وتدمير طاقاته الإيمانية والفكرية والبشرية وغيرها).

ونختم هذا الموضوع بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢٠٦-٢٠٧) وهو يتحدث عن الالتزام باللغة العربية: (واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة ؛ من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق).اهـ

وعلى كل لقد أوجد المستشرقون من الدسائس والأباطيل والشبه ما لا يزول، ولا يكشف للمسلمين إلا بعد جهد جهيد، وعمر طويل، وبذل كبير، فإلى الله المشتكى!!.

الفصل الرابع
الدفاع عن اللغة العربية والمحافظة عليها

مميزات وخصائص اللغة العربية

سبق أن ذكرنا جملة من الأسباب التي دفعت أعداء الإسلام إلى محاربة لسان العرب، وهي تعد في حد ذاتها مناقب وخصائص للغة العربية، ونكمل ها هنا ما أردنا ذكره من خصائص اللغة العربية، وهي ما يأتي:

أ- هي أحكم اللغات للمعاني:

قال ابن فارس: (أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم: أن قريشًا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمدًا ﷺ، فجعل قريشًا قُطَّان حرمه، وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب ؛ تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب). نقلًا من كتاب "المزهر" (١/ ٢١٠).

قلت: هذه حقيقة كبرى، وهي: أن قريشًا أفصح العرب وأن القرآن نزل بلغتها فصار لسان العرب أفصح الألسن وأجمعها للمعاني الكثيرة، وكان هذا من ضمن ما حدا بالمستشرقين إلى زيادة المحاربة للسان العربي، بل بلغ الأمر ببعضهم أن أنكروا هذه الحقيقة، قال صاحب كتاب "لغة قريش" في مقدمته (٧): (مضى اللغويون الأولون لا يشكون في أمرين: أن قريشًا أفصح العرب، وأن القرآن نزل بلغتها، وظلَّ خالفوهم على ذلك، حتى اتصل بعض المستشرقين بالتراث العربي، ونشروا ما كتبوا عنه من بحوث انتهوا بها إلى ما يخالف ما كان مستقرًّا في الفكر اللغوي استقرار البديهة؛ فقد نفوا أن قريشًا أفصح العرب وأن لغتها لغة القرآن، وقرروا أنها لهجة محكية كسائر اللهجات القبلية).

ب- سعة الحروف العربية لجميع اللغات:

تقرير هذه الحقيقة يظهر بالآتي:

١ – بأقوال أهل الفن.

قال صاحب كتاب "حياة اللغة العربية" (١٥٤): (سعة الحروف العربية لجميع اللغات: بيَّنا فيما سبق أن الحروف التي نطقت بها العرب (٤٥) حرفًا، وأن الحروف التي كتبتها ٢٨ حرفًا فقط؛ لأنها لم تضع حروفًا كتابية للأربعة عشر حرفًا المتفرعة، واكتفت بثلاثة أحرف كتابية وهي (ا و ى) للدلالة على ستة أحرف من الحروف الأصلية، وبيَّنا أن الحركات التي نطقت بها العرب حركات، ولكن المكتوبة منها ٤ فقط، ونقول الآن إن هذه الحروف الثمانية والعشرين، والحركات الأربع كافية لتصوير

اللغة العربية، ولا يحتاج العربي إلى أكثر منها ما دام محافظًا على لغته؛ لأنه إذا عرضت له أعلام أعجمية مشتملة على أحرف وحركات خارجة عن أحرف العربية، وحركاتها ردها وجوبًا إلى أحرف وحركات عربية، تقرب منها، وهذا ما يسمى تعريبًا...وكذلك إذا أراد أن يكتب اللغات الأعجمية بحروف عربية، فإن الحروف العربية كافية لسعة تلك اللغات مع التعديل الخفيف المذكور).

وقال صاحب كتاب "البلاغة المفترى عليها" (٢١-٢٢): (وليست قضية السعة وحدها في الحقيقة هي التي منحت الحرف في العربية هذه الطمأنينة في النطق بعيدًا عن القلق والاضطراب والتشابه والتشابك مع غيره، أقول: ليست السعة وحدها، إنما هناك أمر آخر ينبثق عن هذه السعة، وهو توزع المخارج على أمكنة متعددة، فالحلق مثلًا فيه مخارج ثلاثة، وفي اللسان عشرة مخارج....إلخ).

وقال صاحب كتاب "فقه اللغة وخصائص العربية" (٣٥٠): (قد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفًا أكثر عددًا، ولكنها محصورة مخارجها في نطاق أضيق، وفي مدرج أقصر، قد تجدها مجتمعة متكاثرة في جانب الشفتين وما والاهما من الفم أو الخيشوم، في اللغات الكثيرة الغنة، أو تجدها متزاحمة في جهة الحلق، وفي كلا الحالين ضيق في الأفق الصوتي، واختلال في الميزان الصوتي، وفقدان لحسن الانسجام؛ بسبب سوء توزيع الحروف).

٢ - القرآن حفظ حروف اللغة العربية من الاضطراب، وعدم الاستقرار، فلم يلحقها ما لحق حروف اللغات الأخر ما بين الحين والآخر من تغير النطق بها.

٣ – وجود حروف فيها ليست في كثير من اللغات، قال صاحب كتاب "البلاغة المفترى عليها" ص(٢٥): (وعلى هذه الصور تمتاز اللغة العربية بحروف لا توجد في اللغات الأخرى، كالضاد، والظاء، والعين، والقاف، والحاء، والطاء، أو توجد أحيانًا ولكنها ملتبسة مترددة، ولا تضبط بعلامة واحدة).

جـ – اللغـة غنية بكثرة مفرداتها:

قال السيوطي في "المزهر" (١/ ٦٤): (قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي). ثم قال في المصدر المذكور (١/ ٦٥-٦٦): (وهذا الذي نقل عن بعض الفقهاء نص عليه الإمام الشافعي فقال في أوائل "الرسالة" (لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلم أن يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي....وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في العلماء هذا نص الشافعي بحروفه).

وقال ابن فارس عند ذكره كلام بعض الفقهاء كلام العرب: لا يحيط به إلا نبي وهذا كلام حري أن يكون صحيحًا، وما بلغنا أن أحدًا ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها، فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله: هذا آخر كلام العرب؛ فقد كان الخليل أورع وأتقى لله تعالى من أن يقول ذلك). المصدر السابق (١/ ٦٤).

وقال صاحب كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" (٢٢٢): (إن العربية الفصحى تحتل بحسب صفاتها الذاتية، واستنادًا إلى المقارنات الموضوعية بينها وبين سائر اللغات أرقى درجة من درجات الكمال، التي تحتلها اللغات المنتشرة في العالم، وتحتل المرتبة الأولى بلا منازع بين اللغات الاشتقاقية التي تمثل أرقى مجموعة لغوية في

عالم اليوم، إن العربية تتميز بسعتها وكثرة مفرداتها، فبينما نجد عدد كلمات اللغة الفرنسية حوالي ٢٥ ألف، وعدد كلمات الإنجليزية حوالي ١٠٠ ألف، نجد عدد مواد العربية الفصحى نحوًا من ٤٠٠ ألف مادة، ويضم لسان العرب ٨٠ ألف مادة كلمة، ويشير الخليل بن أحمد إلى أن عدد أبنية كلام العرب يبلغ ١٢ مليون و٣٠٥ ألف و٤١٢ كلمة، وفيها ثراء في الأسلوبين المضاعفة، فهناك ١٧٠ اسمًا للماء، و٧٠ اسمًا للمطر).

وقال الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" (١/ ٦٩-٧٠) وهو يتحدث عن بعض الباحثين عن علوم اللغات: (وكذلك أحصى بعضهم عدد الكلمات في بعض اللغات المعروفة، فذكروا أن كلمات اللغة الإنجليزية لا تقل في عهدها الحديث عن (٢٥٠) ألف كلمة، وتليها الألمانية ٨٠ ألفًا، فالإيطالية ٤٥ ألفًا، فالفرنساوية ٣٠ ألفًا، ثم الإسبانية ٢٠ ألفًا، أما اللغات الشرقية فأوسعها العربية، وهي تتألف من ٨٠ ألف كلمة، ثم الصينية، ويستعمل فيها عشرة آلاف علامة يتألف منها ٤٩ ألف كلمة مركبة، ثم التركية، وهي تحتوي نحو ٢٣ ألف كلمة) فما دندن به المستشرقون المحاربون للسان العربي من أنه (لا يفي بحاجة الناس) كلام مفضوح مردود بالبحوث التي قدمها باحثون مسلمون وغير مسلمين وأثبتوا حقائق عظيمة في اللغة العربية، منها ما ذكرناه آنفا فليربإِ المستشرقون بالفضيحة والخزي.

فما زعمه المستشرقون الحاقدون من أن اللغة لا تفي بحاجة الناس كلام ولده الحقد الدفين على أمة الإسلام.

د- اختصاص اللغة العربية بحركات الإعراب:

الخصيصة المذكورة خصيصة جليلة لأمة العرب، لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر، وليس الإعراب حركات لفظية لا تفيد معنى بل ارتباطها وثيق بالمعاني، كما أوضح ذلك المتخصصون في هذا الفن.

قال ابن فارس في "الصاحبي" ص(٤٣) وهو يتحدث عن اللغة العربية: (من العلوم الجليلة التي خُصت بها الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد... ثم قال: وزعم ناس يتوقف عن قبول أخبارهم ؛ أن الذي يسمون الفلاسفة قد كان لهم إعراب ومؤلفات نحوٍ، وهذا كلام لا يعرج على مثله، وإنما تشبه القوم آنفًا بأهل الإسلام، فأخذوا من كتب علمائنا وغيروا بعض ألفاظها ونسبوا ذلك إلى قوم ذوي أسماء منكرة، بتراجم بشعة لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها، وادعوا مع ذلك أن للقوم شعرًا، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء نزر الحلاوة، غير مستقيم الوزن، بلى الشعر شعر العرب ديوانهم وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم).

وقال الرافعي في "تاريخ آداب العرب" (١/ ٢١٨): (ومنها حركات الإعراب كقولهم: ما أحسن زيدًا إذا أرادوا التعجب من حسنه، وما أحسن زيدٍ؟ إذا أرادوا الاستفهام عن أحسن ما فيه، وما أحسن زيدٌ إذا أرادوا نفي الإحسان عنه، ولا يوجد ذلك في غير لغة العرب).

وقال صاحب كتاب "دراسات في فقه اللغة" ص(١١٨) «ولما أصابت العربية حظًّا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سر جمالها، وأمست قوانينه، وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة» نقلا من كتاب "البعد الديني للغة العربية" ص(١٢).

قلت: ومن محاربة اللغة العربية محاربة الإعراب، وسيأتي في الكتاب دعوة غير واحد من المستشرقين إلى إلغاء الإعراب؛ تجريدًا للغة عن هذه الخصيصة.

هـ- تأثيرها على الناس وشدة حبهم لها:

قال الندوي في كتابه "العرب والإسلام" (٧٠) وهو يتحدث عن اللغة العربية: (وأخفقت الحكومات الجبارة في اقتلاع هذا الحب من نفوس شعوبها المسلمة، وقطع صلتها عنه، وقد منعت الحكومة التركية الأذان باللغة العربية أكثر من ربع قرن، حتى إذا سمح لهم بذلك في العهد الأخير ؛ ودوى الأذان العربي أول مرة على منابر تركيا سجد الأتراك في الشوارع شكرًا وفرحًا وذبحت ألوف من النعاج والغنم، فهل للغةٍ من لغات العالم هذه المنزلة في النفوس ؛ وهذه المحبة في القلوب؟!).

قلت: لقد بلغ انتشار اللغة العربية حيث بلغ الإسلام، والحمد لله، وإقبال الناس عليها، طوعًا منهم لا إكراهًا، دليل على رغبة الناس فيها وشغفهم بها، وكيف لا وقد أصبحوا يؤثرونها على لغة آبائهم وأجدادهم وبلادهم، وإذا كان هذا التأثير على الأعاجم فكيف لا يكون تأثيرها على أهلها أعظم؟!

و- كثرة الاشتقاق منها:

الاشتقاق سبب عظيم من أسباب نمو اللغة، وطريق من طرق نشأتها، وقد عقد ابن جني بابًا له في "الخصائص" (٢/ ١٣٣-١٣٤) فقال: (وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلًا من الأصول فتتقرَّاه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى، والسلامة والسليم اللديغ أطلق عليه تفاؤلًا بالسلامة، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته وبقية الأصول غيره كتركيب (ض ر ب) و (ج ل س) و (ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك، فهذا هو الاشتقاق الأصغر، وقد قدم أبو بكر رحمه الله رسالته فيه بما أغنى عن إعادته؛ لأن أبا بكر لم يَأْلُ نصحًا وإحكامًا وصنعةً وتأنيسًا. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن نأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد).

وقد توسع السيوطي في كتابه "المزهر" (١/ ٣٤٥) وما بعدها في كلامه على الاشتقاق.

وقال الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" (١/ ١٧٨-١٧٩): (ولو أن أحدًا عكف على هذه اللغة فتتبع ألفاظها، وتدبر وجوه اشتقاقها، وتفقد مواقعها في كلام

العرب، ورتب صيغها وأوزانها على ما تقتضيه أغراضها، بحيث يستقر كل مثال منها في نصابه، ويرد إلى حيزه، لجاء من ذلك بعلم يكشف عن كثير من أسرار الوضع، ويهتك عن أستار الحكمة المستكنة في دقائق هذه اللغة العجيبة، التي يزيد في العجب منها: أنها لغة تلك العقول الفطرية.....وهذه اللغة يوشك أن يكون أمرها معجزًا على ما رأيت، بحيث لا يغلو في رأينا من يقول إنها بسبيل من الأوضاع الإلهية في التوفيق والإلهام؛ لأن أثر ذلك قد ظهر في القرآن).

للغة العربية مصادر عظيمة محفوظة إلى قيام الساعة

ومما اختصت به اللغة العربية على سائر اللغات أن مصادرها محفوظة باقية إلى قيام الساعة فهي باقية محفوظة ببقاء مصادرها، ومصادرها هي:

١- القرآن الكريم:

معلوم أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المحفوظ إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للغة العربية، وآدابها وحجتها القاطعة عند جماهير أهل اللغة. قال شيخ الإسلام ابن القيم في "الصواعق المرسلة" (٢/ ٧٤٧) وهو يتحدث عن خدمة القرآن للغة العربية وحكمه عليها (وقواعد

الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره، حتى إن فيه من قواعد الإعراب وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابط النحاة، وأهل علم المعاني إلى الآن).

٢- السنة النبوية:

والسنة النبوية محفوظة أيضا إلى قيام الساعة، والحافظ لها هو الله، فإن حفظه لها داخل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر:٩]، فهي ذكر منزل من عند الله فشملها الحفظ الإلهي.

ومنزلة السنة النبوية رفيعة جدًا، لا يعلوها إلا القرآن الكريم.

قال أسامة بن منقذ الأمير المتوفى سنة (٥٨٤هـ):

(كلام النبوة دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، فيه جوامع الكلام، ومعجزات البلاغة والفصاحة). نقلًا من كتاب "التصنيف في السنة النبوية" (٢/ ٥٠١).

وقال أبو عثمان الجاحظ: (لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنا، ولا أجل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ) انتهى. نقلًا من المصدر الأول (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

وقال القاضي عياض في "الشفاء" (١/ ٧٠) وهو يتحدث عما خص به الرسول ﷺ في البيان، قال: (أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب).

وقال في ص(٨٠) فجمع له بذلك قوة عارضة البادية، وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي، الذي مدده الوحي، الذي لا يحيط بعلمه بشر).

فبان بهذا أنه لا يرتفع فوق الحديث النبوي في بلاغته وفصاحته وقوته وجزالته، إلا القرآن الكريم.

٣- الشعر العربي قبل الإسلام وفي صدر الإسلام:

وقد قسم علماء العربية الشعراء إلى أربعة أقسام:

القسمان الأولان: شعراء الجاهلية قبل الإسلام، والمخضرمون وهم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، وهؤلاء يحتج بشعرهم بإجماع أهل اللغة، قال صاحب كتاب "الشواهد الشعرية" (١/ ٥٢) في هذين القسمين: (فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما في جميع علوم الأدب من لغة وصرف ونحو ومعانٍ وبيانٍ وبديع وغيرها، وذلك بإجماع العلماء). اهـ

واختلفوا في الاحتجاج بالنوع الثالث في الشعر، وهو: شعر من كانوا في صدر الإسلام والصحيح الاحتجاج به، والنوع الرابع، والصحيح أنه لا يحتج بشعرهم مطلقًا.

وقد اعتنى علماء النحو بأشعار العرب عناية كبيرة، فقاموا بجمعه ودراسته رواية ودراية، ودونوه في كتب فصار مجموعًا معلومًا منقحًا، وهذا من حفظ الله لأصل هذه المادة من مواد اللغة العربية.

٤- كلام العرب النثري في محادثاتهم ورسائلهم وخطبهم وغيرها:

وهذا النوع كثير جدًّا لم يحط به أحد، قال الشافعي في كتابه الرسالة ص (٤٢-٤٣): (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه.

والعلم به عند العرب،كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلًا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودًا عند غيره).

وقال أيضًا ص (٤٤) من المصدر نفسه: (وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها، لا يذهب منه شيء عليها، ولا يُطلب عند غيرها، ولا يعلمه إلا من قبله عنها، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها... وعِلمُ أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في العلماء).

وقال ابن فارس في كتابه "الصاحبي" (٢٤): (قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي.

وهذا كلام حري أن يكون صحيحًا، وما بلغنا أن أحدًا ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها، فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل، وما في خاتمته من قوله: «هذا آخر كلام العرب» فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك).

وقال البقاعي في "نظم الدرر" (١٠/ ٦) وهو يتكلم عن قوله تعالى: إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢): (وهذه الآية تدل على أن اللسان العربي أفصح الألسنة، وأوسعها وأقومها وأعدلها؛ لأن من المقرر أن القول وإن خص بخطابه قوم يكون عامًّا لمن سواهم).

وقال جمال الدين القاسمي في "محاسن التأويل" (٩/ ١٨٦-١٨٧): (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس).

ولا تنس أن كلام العرب النثري في الجاهلية وفي صدر الإسلام قد قام علماء اللسان العربي بجمعه وتدوينه وتنقيحه وشرحه، والله المستعان.

أصناف المدافعين عن اللغة العربية

لقد قيض الله مدافعين عن لغة الإسلام حديثًا ؛ كما قيض لها مدونين وجامعين لشتاتها، وشراحًا لخفاياها وأسرارها، ومصححين قديمًا.

وقد كان دفاعهم عنها من كل وجه؛ فقد وجهوا السهام إلى نحور الأعداء والخصوم، وفضحوهم جماعة وأفرادًا، فلله درهم، وعلى الله أجرهم!!.

بل لقد قيض الله نخبة من علماء الغرب للدفاع عن لغة القرآن، فكانوا شوكة في حلوق المستشرقين، وهاأنا أذكر أصناف المدافعين عن اللغة العربية، والساعين إلى المحافظة عليها.

الصنف الأول: علماء الإسلام.

دفاع علماء الإسلام عن لسان الشريعة يعد أعظم وأوسع دفاع، ومن الأمثلة على ذلك: قال صاحب كتاب «جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي» (٢/ ٦٥٢-٦٥٨):

(ففي علوم اللغة العربية برز عدد من العلماء الذين تميزوا بالثقافة العالية والمتنوعة ؛ حيث بلغت هذه العلوم درجة عالية من الازدهار والنضج، واجتمع في العراق -في ذلك العصر- طائفة كبيرة من اللغويين والنحاة والأدباء والشعراء ورجال البيان الذين خلفوا تراثًا علميًّا وأدبيًّا ضخمًا، وكان بعضهم قد درس الأدب واللغة في النظامية، منهم من صنف التصانيف الكثيرة، وبعضهم احتل مرتبة اجتماعية عالية ببغداد.

وقد اشتهر من علماء اللغة والنحو في العصر السلجوقي عدد كثير من العلماء، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أبا الحسن علي بن فضال المجاشعي (ت٤٧٩هـ) وأبا عبد الله سلمان بن عبد الله النهراواني (ت٤٩٣هـ)، وأبا الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب البغدادي (ت٥٠٠هـ)، وجعفر بن أحمد السراج (ت٥٠٠هـ) وأبا زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) وأبا الحسن علي بن نصر الإسفراييني (ت٥٠٥هـ)،

وعلي بن محمد الفصيحي (ت٥١٦هـ)، والحسين بن محمد البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي (ت٥٢٤هـ) وموهب بن أحمد الجواليقي (ت٥٣٩هـ)، وهبة الله بن علي المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، والوزير عون الدين يحيى بن هبيرة (٥٥٥هـ)، وأبا محمد عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ) وأبا محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان (ت٥٦٩هـ) وأبا البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، والمبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، وأبا المبارك بن سعيد بن الدهان الواسطي (ت٦١٢هـ) وعبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) وغيرهم من علماء اللغة والنحو الذين برزوا في العصر السلجوقي ؛ الذي كان عصر خير وبركة ونماء ونضج وازدهار للغة والنحو والأدب، حيث يعد العصر السلجوقي في العراق من عصور الازدهار والرقي العلمي في خدمة اللغة العربية وآدابها؛ لأن العلماء في ذلك العصر انطلقوا، وأخرجوا الموسوعات الضخمة، والمعاجم، والمصنفات اللغوية والأدبية،وتوسعت تلك الدراسات اللغوية، وزاد الاهتمام بها، وتميزت مصنفاتهم بالدقة والعمق).

ومن هؤلاء ما قاله أبو الحسن الندوي في رسالته "الإسلاميات" ص(٦٠-٦١) وهو يتحدث عن مؤلفين: (نخص بالذكر من هؤلاء العلماء والمؤلفين العلامة محمود حسن خان التونكي (١٣٦٢هـ) صاحب كتاب «معجم المصنفين في اللغة العربية» في نحو ستين مجلدًا يحتوي على عشرين ألفًا من الصفحات، وعلى تراجم أربعين ألفًا من المصنفين).

وهؤلاء العلماء يدافعون عن اللغة العربية من جهات متعددة:

١- تعلمها حتى يتمكنوا من اعتيادها في خطبهم، ومحاضراتهم، ومجالسهم وتأليفاتهم.

٢- تعليم أبناء المسلمين إياها ؛ وهذا من أعظم أسباب حفظها، وهذه الوظيفة من أشرف الوظائف، و أعمها نفعًا في المسلمين، ولو أمعنا النظر لرأينا أن هذا هو الأساس لتحصين أبناء المسلمين من تخطف عقولهم وغزوها، فالله الله! في تعليم العربية، والصبر على ذلك، والبذل في سبيل ذلك.

٣- تأليف الكتب المتنوعة في خدمة اللغة، وأهمها في هذا العصر: كتب الردود على المستشرقين وأذنابهم، ومنها كتب الردود والدفاع عن اللغة العربية، وفضح بوائق المستشرقين وأتباعهم، وكشف مؤامراتهم، ودحض شبهاتهم، وإبطال طرقهم، وقد كثرت المؤلفات المرصودة للرد على هؤلاء بحيث يصعب حصرها.

قال صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٧٤) وهو يوضح طعن طه حسين في البلاغة العربية: (أما الدكتور طه حسين نفسه فلقد رد عليه الكثيرون من الأئمة - جزاهم الله خيرًا- مما اضطره إلى أن يرجع عن بعض آرائه ؛ وبخاصة تلك التي تتصل بكتاب الله تبارك وتعالى، ومن الذين ردوا عليه ردودًا قوية -رحمهم الله جميعًا- الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه «تحت راية القرآن» والأستاذ الشيخ محمد عرفة، والأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين، والأستاذ العالم محمد أحمد الغمراوي، وغير أولئك).

وإذا كانت الردود كثيرة على طه حسين في باب اللغة، فكم ستكون على المستشرقين وأذنابهم؟!.

الصنف الثاني: العلماء المتصفون بالاعتدال مع دين الإسلام.

إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ؛ والفاجر يشمل المسلم المترف، والكافر الخاسر، ويدخل في هذا الصنف علماء الغرب الذين دافعوا عن اللغة العربية، وغيرها مما يخص المسلمين، ودفاعهم هذا كان في أوروبا مواجهة منهم لأرباب الدسائس في بلادهم من مستشرقين وغيرهم.

قال الدكتور إدريس الكتاني في كتابه «ثمانون عامًا من الحرب الفرانكفونية ضد الإسلام واللغة العربية» ص(١٢):

(وتزخر المكتبة الأوربية الخاصة بالدور الكبير الذي لعبته اللغة العربية في نشر العلم، وتركيز أسس الحضارة الإنسانية في العالم؛ بعشرات الدراسات العلمية والتاريخية، وبمختلف اللغات الغربية، نذكر من بينها على سبيل المثال:

- «شمس الله تسطع على الغرب» للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه.
- «أثر الحضارة العربية في أوروبا» للمستشرق الألماني جورج يعقوب.
- «المعجزة العربية» م فنجتو.
- «وجوه الإسلام» جورج ريغوار.
- «حضارة العرب» كوستاف لوبون.
- «حضارة العرب في إسبانيا» ليفي بروفنصال.

- «تاريخ مسلمي إسبانيا» دوزي.

- «تاريخ العرب في إسبانيا» فياردو.

- «حضارة الصحراء» فانسان مونتيل.

- «دراسات في حضارة الإسلام» هاملتون جب.

- «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» آدم متز.

- «حضارة الإسلام» غوستاف كرونيباوم.

- «أثر العلم عند العرب في تطور العلم العالمي» الدوميلي.

- «تراث الإسلام» شاخت وبوزورث.

وقد نقلنا من أقوال هؤلاء العلماء جملة مفيدة في أكثر من موضع في هذا الكتاب فيما يتعلق بدفاعهم عن اللغة العربية

الصنف الثالث: القيام بتأسيس المجامع اللغوية.

ومن جملة الدفاع عن اللغة العربية القيام بتأسيس المجامع العلمية اللغوية وغيرها، ومن هذه المجامع

-مجمع البكري- قال صاحب كتاب «القرارات النحوية والتصريفية» ص(١٩-٢٠): (اجتمع في دار السيد توفيق البكري (ت١٣٥١هـ) بعض العلماء المهتمين باللغة العربية عام ١٣٠٩هـ وتدارسوا مسألة إقامة مجمع يعنى باللغة العربية، وما تحتاج إليه من علوم، كما تعنى الأكاديمية الفرنسية باللغة الفرنسية، واتفقوا على إقامة هذا المجمع).

-مجمع القاهرة- قال صاحب كتاب «القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة» ص(٥): (إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة يعد أكبر هيئة علمية يصدر عنها قرارات متعلقة باللغة العربية، فأردت أن أعرف قراراته المتصلة بالنحو والتصريف، ومدى موافقتها ومخالفتها لما عند النحويين المتقدمين، ومحاولة الوصول إلى الأسباب التي أدت إلى أن يصدر المجمع قراراته بإجمال وربطها بالأصول العامة التي بنيت عليها، وطرق الإفادة منها).

-مجمع اللغة العربية بدمشق- قال صاحب كتاب «الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري» ص(٢٤) وهو يتحدث عن أعمال هذا المجمع: (النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد).

-المجمع العلمي العراقي- قال صاحب كتاب «الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري» ص(٤٢) عن هذا المجمع: (يقوم المجمع بالعناية بسلامة اللغة العربية، والعمل على جعلها وافية بمطاليب العلوم والفنون، وشئون الحياة الحاضرة).

-مجمع اللغة العربية الأردني- قال صاحب كتاب «الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري» ص(٥٢) عن هذا المجمع: (أصبح مجمع اللغة العربية الأردني عضوًا في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية منذ ١٩٧٧م، وأخذ يشارك في نشاطاتها، واجتماعاتها).

وهذه المجامع اللغوية فيها من الهنات ما فيها ؛ كما وضحنا شيئًا من ذلك في كلامنا على تسلل المستشرقين إلى المجامع اللغوية العربية، والجامعات وغيرها.

ومن الجهات المدافعة عن اللغة العربية

المؤسسات والمعاهد اللغوية:

فقد أُنشئت من ذلك الكثير. انظر كتاب «الجهود اللغوية» ص(٦٠-٦١).

إقامة المؤتمرات اللغوية:

لقد أقيمت مؤتمرات عدة في المغرب العربي، والجزائر، وسوريا، وليبيا، والعراق، انظر كتاب «جهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري» ص(٦١-٦٢) إلى جانب إعداد بحوث، ومنها الرسائل الجامعية، وهي كثيرة والحمد لله. انظر المرجع السابق من ص(٦٥-١١٢).

لا ينكر فضل العربية على غيرها إلا جاهل، أو مكابر معاند

فضل العربية على غيرها من اللغات أظهر من الشمس في رائعة النهار، كيف لا وهي لغة القرآن؟! والسنة النبوية؟!

قال صاحب كتاب "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية" ص (٢٣٦):

(فالعجب ممن ينكر فضل هذا العلم، كيف يعد من الناس، لكن لا جرم لم نر أحدًا أنكر فضله إلا جاهلًا به، وهو معذور).

وقال أيضًا (٢٦٧): (والحجة أن الذي ينكر فضل هذه الصناعة إما أن يكون عارفا بها أو لا، فإن كان عارفًا بها فقد طعن في نفسه وسفه نفسه، وسخف رأيه، حيث قطع نبذة من الزمان في صناعة لا فضل فيها.

وإن لم يكن عارفًا بها فلا التفات إلى إنكاره، ولا تعريج على قوله؛ لأنه جاهلٌ بما تعتبر معرفته في المصير إلى قوله على ما سيقتضي الكلام عليه قريبًا إن شاء الله تعالى)

صمود اللغة العربية في وجه الغزاة والمحاربين لها بشهادة الخصوم

خاب ظن أعداء الإسلام حين ظنوا أن مؤامرتهم على اللغة تحقق لهم القضاء عليها إلى غير رجعة، وجهلوا أنها باقية ما دامت الحياة الدنيا ؛ لأنها محفوظة بحفظ الله للقرآن والسنة.

قال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» (٧٤) وهو يتحدث عن اللغة العربية ومحاربتها:

(ورغم كل المحاولات أثبتت اللغة العربية مناعتها، ووجودها، ولولا ذلك لما اضطر المستشرقون في مؤتمر لهم عقد في اليونان مؤخرًا إلى إصدار قرار منصف، يحمل كثيرًا من الدلالات والأبعاد، جاء فيه: {إن اللغة العربية الفصحى هي التي تصلح

للبلاد الإسلامية والعربية ؛ للتخاطب والكتابة والتأليف، وإن من واجبات الحكومات في هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح لغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق}).

وقال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(٢٢١): (إن العربية قد صمدت في وجه الغزوات الموجهة إليها كافة، والسر في صمودها، هو القرآن الكريم الذي التحمت به التحامًا وثيقًا منذ نزل بها......وأشار الباحثون إلى ما تتميز به اللغة العربية من ثبات عجيب لا مثيل له، إلى درجة أن أحد المستشرقين الألمان دعا الغرب إلى استخدام اللغة العربية لتدوين الآثار الفكرية التي تبنى عليها الحضارة، وتستحق الخلود).

وقال صاحب كتاب «خصائص العربية وطرائق تدريسها» (٤٠):

(ومن علماء اللغة الإفرنج كان إرنست رينان قد لاحظ خصوصية العربية في نشأتها ويسرها وثباتها، فبالرغم من تعصبه المقيت رأى أن اللغة العربية بدت فجأة على غاية الكمال، وأن هذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر ؛ وصعب تفسيره، وقد انتشرت هذه اللغة سلسة أية سلاسة غنية أي غنى، كاملة، لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة، ولا شيخوخة، إذ ظهرت لأول مرة تامة مستحكمة).

وفي كتاب «بحوث في الاستشراق واللغة» (٣٨٠):

(قال المستشرق الإنجليزي وليام بدويل: إنها -أي اللغة العربية- لغة الدين الوحيدة، وأهم لغة للسياسة والعلم من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين).

وقال المستشرق الألماني يوهان فك: (عندما رتل محمد ﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة، ولا ينحصر هذا في الدور الذي لعبته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافة من حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق). نقلًا من كتاب «البعد الديني للغة العربية» ص(٢٦).

وقال صاحب كتاب «الشعر النبطي» (٦١): (وقد تحدث عدد كبير من العلماء الأجانب، والدارسون للغات عن معجزة اللغة العربية، وأبدوا في الوقت نفسه استغرابهم لاستمرار اللغة الفصحى في طريق الحياة حتى الآن، وخروجها منتصرة على كل الظروف والأحوال التي تمر بها، وقالوا: إن هذا لم يحدث لأية لغة من لغات الأمم، واستكثروا بقاءها وصمودها بالرغم من ضعف أهلها، وذهاب سلطانهم منذ أمدٍ بعيد).

عناية العرب بمعاني الألفاظ كعنايتها بالألفاظ

من الطعون الواهية دعوى أن العرب كانوا لا يعتنون بمعاني الألفاظ، وقد قام بالرد على هؤلاء إمام كبير من أئمة اللغة، ألا وهو أبو الفتح عثمان بن جني في "الخصائص" (١/ ٢١٥-٢١٧) قال: (اعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربية وأكرمها وأعلاها وأنزهها، وإذا تأملته عرفت منه وبه ما يؤنقك، ويذهب في الاستحسان له كل مذهب بك، وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها، فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها، وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها... فإذا رأيت أن العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها (أطرافها) وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها، وتشريف منها).

استمرارية عناية أهل السنة باللغة العربية

المراد بأهل السنة والجماعة الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، ومعلوم أن الصحابة لما نشروا الإسلام نشروه باللغة العربية؛ لأنهم عرب أقحاح، بل على السليقة يتكلمون بها

بداهة، وقد استمر أهل السنة في المحافظة على اللغة بالتعليم والتأليف، والاحتجاج والدفاع، وغير ذلك.

فهي عندهم أحد المصادر التي يرجع إليها في تفسير كتاب الله، ويستشهد بها لإيضاح سنة رسول الله ﷺ.

ولم يستجز علماء السنة لأنفسهم هجر العربية، والتعامل والتخاطب بالعامية، فضلًا عن أن يستجيزوا اعتياد لغات أخرى، وقد كان أهل السنة بهذا الحرص أعظم محافظة عليها من غيرهم من الفرق والأحزاب التي لها شيء من المشاركة في حفظ اللغة.

قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله كتابه "أباطيل وأسمار" (٢/ ٥٠٥): (....إن أقوى الفريقين المتصارعين من سلفيين ومبتدعة هو فريق السلفيين، لا من حيث كثرتهم وغلبتهم، بل من حيث القوة التي تشتمل عليها دعوتهم؛ لأنها تؤدي إلى إعادة بناء لغة الأمة، إذ لا معنى للانتساب إلى طريقة السلف، إلا بأن يتملك السلفي ناصية اللغة، وآدابها تملكًا يمكنه من الاستمداد المباشر من القرآن والسنة على نفس النهج الذي كان السلف يستمدون به من القرآن والسنة في آدابهم وأخلاقهم وثقافتهم وفقههم وعلمهم وتفكيرهم، وفي سائر ما يكون به الإنسان حيًّا رشيدًا قادرًا على بناء الحضارة).

وقال صاحب كتاب "الشعر النبطي (٤٥):

(إن السلفية لم تكن دعوة يتجاذبها الأدعياء، أو مظلة يستظل بها من يشاء، بل السلفية عقيدة ومنهج في جميع شئون الحياة، لا سيما في الانتماء إلى لغة الكتاب والسنة، واقتفاء آثار السلف).

من أسباب حفظ اللغة العربية تعلم أبناء المسلمين القرآن والسنة

لقد كان السلف يدركون أهمية تعليم الأطفال القرآن والعقيدة، فلقد ذكر غير واحد (أن رجلًا مر على الإمام المحدث سليمان بن مهران الأعمش، وهو يعلم أبناء المسلمين فقال له الرجل: يا إمام تضيع نفسك مع هؤلاء! فقال له الإمام: اسكت يا أحمق هؤلاء يحفظون عليك دينك). فهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يعتنى بها.

قال صاحب كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" (٦٢):

(وقديمًا كان التعليم يعتمد على حفظ القرآن في مرحلة مبكرة، ونلحظ تأثير ذلك على حفظة القرآن، فقد استقامت ألسنتهم، ومن ثم استطاعوا في المراحل التالية من تحصيل العلوم اللغوية بسهولة ويسر كالنحو والأدب والبلاغة كما أن معاناة طلاب الصفوف الأولى في المرحلة الابتدائية من ضعف القراءة ظهرت عندما استوردنا طرق التعليم من الخارج).

قلت: الملاحظ أن الذي لم يتعلم في الصغر يكون لسانه مع القرآن والسنة كالمعقود فيصعب عليه النطق بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية نطقًا سليمًا ويصعب عليه في الكبر تعديل اعوجاج لسانه، ويصعب عليه أيضًا الحفظ بخلاف من تعلم في الصغر القرآن وشيئًا من السنة، فإنه يكون عنده من الشجاعة والقدرة والسهولة على النطق السليم ما يبهر، فكيف لو تعلم اللغة العربية منذ الصغر فنور على نور، ولقد صار

المسلمون منذ فجر الإسلام إلى مطلع القرن الرابع عشر وهم في بدء الأمر يعلمون أبناءهم العلوم الشرعية البحتة، ومن مطلع القرن الرابع عشر الهجري اتجه التعليم لأبناء المسلمين في المدارس والجامعات وقل تعلم اللغة العربية فحصلت العجمة في كثير من طلاب المدارس والجامعات.

أهمية الدعوة إلى تعلم اللغة العربية وتعليمها ونشرها

إن الدعاة إلى منهاج النبوة بحاجة إلى الدعوة إلى تعلم لسان العرب، حسب ما تقتضيه الحاجة، فيدعى المسلمون الأعاجم إلى تعلم العربية، ولا يكتفون بتراجم معاني الآيات والأحاديث إلى لغتهم؛ فإن هناك فارقًا بين معاني الآيات والأحاديث في لسان العرب، وبين معانيها في لغة العجم.

وتعلم اللغة العربية وتعليمها تظهر أهميته الكبيرة بالآتي:

١- تعليم القرآن وفهمه، لا يقدر المسلم على فهم القرآن فهمًا سديدًا إلا بتعلم لغته.

٢- يصعب على المسلم أن يفهم سنة النبي ﷺ فهما جيدا بدون تعلم لغة السنة.

٣- الاقتداء بالسلف بإحسان يتحقق بتعلم لغتهم، فإذا لم تعلم لغتهم لم يتم الاقتداء بهم.

٤- عدم تعلم العربية وتعليمها ونشرها يؤدي إلى هجرها، وهجرها يؤدي إلى هجر القرآن، والسنة المطهرة إما هجر قراءته ومعانيه، وإما هجر معانيه ومفاهيمه كما هو حاصل عند كثير من المسلمين، وكذا السنة المطهرة تهجر وتهجر معانيها.

٥- إن لم نتعلم لغة الإسلام وندع أعداءنا إلى تعلمها، دعونا إلى تعلم لغتهم كما هو حاصل في عصرنا وربما فرضها أعداؤنا علينا جزاء وفاقا.

قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله: (إن الأمة التي نزل بلسانها الكتاب الكريم يجب عليها أن تعمل على نشر دينها، ونشر لسانها، ونشر عاداتها، وآدابها بين الأمم الأخرى، وهي تدعوها إلى ما جاء به نبيها من الهدى ودين الحق، لتجعل من هذه الأمم الإسلامية أمة واحدة، دينها واحد، وقبلتها واحدة، ولغتها واحدة، ومقومات شخصيتها واحدة، ولتكون أمة وسطًا ويكونوا شهداء على الناس، فمن أراد أن يدخل في هذه العصبة الإسلامية فعليه أن يعتقد دينها، ويتبع شريعتها، ويهتدي بهدايتها، ويكون في ذلك كله كما قال الشافعي رضي الله عنه تبعًا لا متبوعًا). نقلًا من كتاب "إتحاف الألف بذكر فوائد الألف والنيف من سورة يوسف عليه السلام" (١/ ١٦- ١٧) حاشية.

وقال الشيخ محمود شاكر في كتابه "القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية" ص (١١-١٢): (وهل يأمن أولئك الذين يشجعون انتشار الترجمة الإنجليزية بين الشعوب الإسلامية هنا وهناك، أن يصبحوا بأنفسهم من جملة العوامل في وضع الحدود الفاصلة بين الإسلام الغربي والإسلام الإنكليزي، لا في الأمم

والشعوب غير العربية وحدها، بل في الأمة العربية أنفسها بما حبب إلى الناس من النزوع إلى التقليد الأوروبي حبًا في التجديد والانتقال، وبغضًا لكل قديم، مهما كان له من الآثار الصالحة في تكوين تلك العصبية التي ينظر إليها المستعمرون كما ينظرون إلى ألد الأعداء في طرائق الاستعمار ومغالبة الشعوب الشرقية).

ثم قال: (فهل يريد أولئك الذين أصابتهم حمى التجديد والانتقال بثورتهم هذه على القرآن الكريم في ثوبه العربي أن يشهدوا آخر مصرع للجامعة الإسلامية إذ يجدون في الجمهورية التركية قرآنًا تركيًا، وفي المستعمرة الإنكليزية قرآنًا إنكليزيًا، وفي مستعمرات الدول الأخرى قرآنًا فرنسيًا، وآخر طليانيًا، أو إسبانيًا، أو هولنديًا). نقلًا من كتاب "إتحاف الألف بذكر فوائد الألف والنيف من سورة يوسف" (١/ ١٧) حاشية.

إجماع أهل العلم على تعلم اللغة العربية لتوقف فهم القرآن والسنة فهمًا سديدًا على ذلك

لا خلاف بين سلف الأمة في أن اللغة العربية من أصول تفسير القرآن والسنة، وقد صرح بعض العلماء بالإجماع على ذلك.

قال صاحب كتاب «الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية» ص(٢٣٦): (وفهم مضمون الكتاب متوقف على معرفة اللغة التي أنزل الكتاب بها، ومأخذ ذلك

من فن العربية بالإجماع). وقال أيضًا (٢٦٦): (فيرى المنكر لفضل هذا العلم على ما يعتمد بعد مخالفة الإجماع، وأي عيب يريد لنفسه أعظم من مخالفة إجماع العالم؟ فهل هو إلا في عداد البهائم؟!).

وقال أيضًا ص(٢٦٣) وهو يتحدث عن: (الحجة الثانية: إجماع العالم على استحسان هذا العلم، والحث عليه، والندب إليه سلفًا وخلفًا، مسلمًا وكافرًا، عربًا وعجمًا، من لدن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرنا هذا، على مرور الأعصار في جميع الأمصار).

وقال صاحب كتاب «أسباب الخطإِ في التفسير» (١/ ٢١٦): (ومما لا يختلف فيه اثنان أن للعلم بأصول اللغة العربية، وللمعرفة بفروعها، أهمية بالغة في فهم القرآن وتفسيره، والتسلح بهذا العلم يعد من أوجب شروط المفسر، وأكمل آدابه؛ فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ويتوقف فهمه على معرفة مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع، وقد أنكر السلف إنكارًا شديدًا على من تجرأ على التفسير دون أن يكون عالمًا باللغة العربية).

من يجب عليهم أن يتعلموا اللغة العربية

لا خلاف في وجوب تعلم العربية، ولكن الخلاف فيمن يجب عليهم أن يتعلموا اللغة العربية، ومن خلال نقل كلام أهل العلم في وجوب تعلم لسان العرب، والتأمل فيه يدرك القارئ ذلك.

قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الرسالة" ص (٤٨): (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك.

وقال الأزهري في "تهذيب اللغة" (١/ ٥): (وأن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار، وأقاويل المفسرين من الصحابة و التابعين من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية فإن جهل سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جهل جُمل علم الكتاب، ومن علمها ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوَّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع).

وقال الماوردي: (ومعرفة لسانه فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره) نقلًا من "البحر المحيط في أصول الفقه" (٦/ ٢٠٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان ص (١١١-١١٢): (لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله ﷺ من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك).

وقال في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٦٩-٤٧٠): (إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس، عن ثور، عن عمر بن زيد، قال: كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنه، أما بعد:

(فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي). وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم).

وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله؛ وفقه السنة هو فقه أعماله).

وقال الشاطبي في "الاعتصام" (٢/ ٣٠٤): (فقد ظهر بهذه الأمثلة كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ، وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والصحابة رضوان الله عليهم براء من ذلك؛ لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم، ثم من جاء بعدهم ممن ليس بعربي اللسان تكلف ذلك حتى علمه).

وقال أيضًا في كتاب "الموافقات" (٢/ ١٣١): (لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى كما في "مختصر الصواعق المرسلة" ص (١٤) وهو يتكلم عن التأويل الباطل: (الرابع: ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن ألف في الاصطلاح الحادث، وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس حيث تأولوا كثيرًا من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهودًا في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبه له، فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل، كما تأولت طائفة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ بالحركة، وقالوا: استدل بحركته على بطلان ربوبيته، ولا يعرف في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة في موضع واحد البتة، وكذلك تأويل الأحد بأنه الذي لا يتميز منه عن شيء البتة، ثم قالوا: لو كان فوق العرش لم يكن أحدًا، فإن

تأويل الأحد بهذا المعنى لا يعرفه أحد من العرب ولا أهل اللغة، إنما هو اصطلاح الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ومن وافقهم، وكتأويل قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بأن المعنى أقبل على خلق العرش، فإن هذا لا يعرف في لغة العرب ولا غيرها من الأمم، لا يقال لمن أقبل على الرحل استوى عليه، ولا لمن أقبل على عمل من الأعمال من قراءة أو دراسة أو كتابة أو صناعة قد استوى عليها!).

وخلاصة كلام أهل العلم في وجوب تعلم اللغة العربية: أنه يجب على كل مسلم بحسب الداعي إلى ذلك، فالأعاجم الداخلون في الإسلام يجب عليهم تعلم ما لا بد منه من لسان العرب من النطق بالشهادة والصلاة وغير ذلك، والخطباء والوعاظ والمدرسون يجب عليهم أن يتعلموا من لسان العرب ما يقومون به ألسنتهم، ووجوب تعلمها آكد في علماء الإسلام من مفسرين ومفتين ومحدثين؛ لأن هؤلاء مرجعية للمسلمين.

اشتراط الأصوليين أن يكون المجتهد عالمًا باللسان العربي

لقد اشترط عامة الأصوليين أن يكون المجتهد عالما باللسان العربي، قال الزركشي في «البحر المحيط» في أصول الفقه، وهو يتحدث عن شروط المجتهد (٦/ ٢٠٢-٢٠٣): (أن يكون عارفاً بلسان العرب، وموضوع خطابهم، لغة ونحوًا وتصريفًا) وذكر ذلك عن أبي إسحاق الشيرازي وابن دقيق وابن حزم، والماوردي إلى أن قال:

(والذي يلزم المجتهد أن يكون محيطًا بأكثره، ويرجع فيما عزب عنه إلى غيره، كالقول في السنة، وقد زل كثير بإغفالهم العربية، كرواية الإمامية (ما تركناه صدقةً) بالنصب والقدرية (فحج آدم موسى) بنصب آدم ونظائره، ويلتحق بالعربية التصريف لما يتوقف عليه من معرفة أبنية الكلم، والفرق بينها).

وقال أيضا في المصدر المذكور (٢/ ١٠٣١): (الشرط الثالث أن يكون عالمًا بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه).

وقال الشوكاني في «إرشاد الفحول» (٢/ ١٠٣١) وهو يتحدث عن اللغة العربية: (وإنما يتمكن من معرفة معانيها، وخواص تراكيبها، وما اشتملت عليه من لطائف المزايا، من كان عالمًا بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان). وانظر كتاب «الصعقة الغضبية» (٢٧١-٢٧٢).

ومرادنا بذكر اشتراط اللغة في المجتهد يعلم المسلم مدى تعدي المستشرقين على لغة القرآن؛ لأنهم أعداؤها غير متكلمين بها فضلا عن أن يضعوها وأن يكونوا من أهل الاجتهاد فيها، قال صاحب كتاب «العصرانيون» ص(١٢١): (.....إن المستشرقين لا يملكون آلة الاجتهاد من معرفة اللغة العربية، ومقاصد الشريعة، ولذلك لا يحق لهم الخوض في هذه القضايا).

بل لا يفهمون اللغة العربية، قال صاحب كتاب «الاستشراق –الذرائع – النشأة – المحتوى» (١١٨): (وليس المستشرقون من يفهمون العربية كما يفهما أبناؤها، ولا أقدر

على تذوقها والتآلف معها، ولكنهم مع جهلهم بأسرارها، يجعلون من أنفسهم الأقدر على فهمها، أكثر من أهلها).

يؤدب من قال لا يحتاج إلى العربية ويقبح قوله هذا

بسبب كثرة طعون المستشرقين في لسان العرب سهل على الشعوبيين وأمثالهم ممن رضعوا من ضلالات أعداء الإسلام قديما وحديثا الطعن في اللغة العربية، ومن طعن فيها فهو المطعون فيه كائنا من كان ويحتاج إلى تأديب.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه "معجم المناهي اللفظية" (٥٧٢): (سئل ابن رشد عمن قال لا يحتاج إلى لسان العرب، فقرر في جواب له أنه لا يقوله إلا جاهل، وعليه التوبة إلى الله تعالى، ويؤدب إن كان لخلل في دينه نحو كراهيته لغة العرب).

وقال الطوفي الحنبلي في كتابه "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية" ص(٢٧٨): (....الفقيه الطاعن على علم العربية يكون إما طاعنًا في شرط علمه، ومادة فقهه، وإما أن يكون غير عالم بنفسه أنه فقيه، والأول سفه، والثاني جهل، وأيًّا ما كان فهو غم الصديق وفرحة للحاسد).

وروي عن عبد الملك بن مروان أنه (كان جالسًا في خلوة واثنان يلعبان عنده بالشطرنج فاستأذن عليه رجل من الأشراف فقال لهما: غطيا السفرة بمنديل إكرامًا له وحياءً منه، فلما استنطقه وجده يلحن، فقال لهما: ارفعا المنديل، فإنه لا حرمة للحان).

وعن المأمون وكان عالمًا باللسان (أنه اعترض يومًا بعض خدامه وجنده وكتابه فمر به إنسان قبيح الصورة فاستنطقه فوجده غبيًا عييَّ اللسان، فقال: أسقطوا هذا من الديوان، فقيل له: إن من أمره وشأنه فقال: أسقطوه فإن روح الحياة إذا كان ظاهرًا كان جمالًا، وإذا كان باطنًا كان فصاحة ولسانًا، وهذا ما له ظاهر ولا باطن).

(ولحن الوليد بن عبد الملك بن مروان يومًا عند أبيه عبد الملك فقال: أفٍّ للحن أقبح من الجدري في الوجه، ومن النقش في الوشا!) نقلا من الصعقة الغضبية" ص(٣٢٠-٣٢١)

وقال أبو نعيم الأصبهاني في كتابه "رياضة المتعلمين" وهو يذكر مراتب أنواع العلوم: (ثم يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو؛ لأنه آلة لجميع العلوم لا يجد أحد منه بدًا؛ ليقيم به تلاوة كتاب الله، ورواية كلام رسول الله؛ لكي لا يخرجه جهل الإعراب إلى إسقاط المعاني). نقلًا من كتاب "الصعقة الغضبية" ص(٢٤١).

الشريعة الإسلامية تتصرف في اللغة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٢٧٦): (ومما ينبغي أن يعلم: أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم، ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ونحو ذلك)..

وقال صاحب كتاب " تاريخ آداب العرب" (١/ ٢٠٨): (كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونخست ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافًا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنًا، وكذلك الإسلام، والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا، وكان الأصل من نافقاء اليربوع).

ولما كانت اللغة العربية خادمة للشريعة لا متصرفة فيها كانت الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية، وعلى هذا فلا يحمل كلام الله ما لا يحتمله مسايرة اللغة في باب إعراب أو تركيب، قال العلامة ابن القيم كما في التفسير القيم ص(٢٦٨): (وينبغي أن يتفطن هاهنا لأمر لا بد منه ؛ وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر، وكلام آخر، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن)

من اعتاد اللحن من حملة الشريعة

إن حملة الشريعة بحاجة إلى أن يتسلحوا بعلم العربية حتى يسلموا من اللحن الفاحش، والعبث باللسان العربي، وقد تواتر ذم أهل العلم لمن كثر لحنه.

قال صاحب كتاب «الصعقة الغضبية» ص(٣١٨): (وروى بإسناده عن الأصمعي قال: [إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ: (من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) لأنه لم يلحن فمهما رويت عنه، ولحنت فقد كذبت عليه].).

وقال أيضًا ص(٢٤٧): (وقال الحسن البصري: [من لحن في القرآن فقد كذب على الله]).

ونقل صاحب كتاب «الصعقة الغضبية» شعرًا لعلي بن حمزة الكسائي يبدع فيه أصحاب اللحن ص(٢٥٤-٢٥٥) قال:

يقــــرأ القـــرآن لا يعـــرف مـــا ... صرف الإعـــراب فيـــه أو صـــنع

والـــــذي يعرفـــــه يقـــــرؤه ... فـــإذا مـــا شـــك في حـــرف رجـــع

نـــــاظرًا فيـــــه وفي إعرابـــــه ... فـــإذا مـــا عـــرف اللحـــن صـــدع

فهـــــما منـــــه ســـــواءٌ عنـــــدكم ... ليـــست الـــسنة فينـــا كالبـــــدع

كـــم وضـــيع رفـــع النحـــو وكـــم ... مـــن شريـــف قـــد رأينـــاه وضـــع

والمراد بالسنة هاهنا: الإعراب، وبالبدع: اللحن؛ لأن اللحن حدث في ألسنة العرب بعد أن لم يكن بسبب مخالطة الأعاجم والموالي).

وقال أيضًا ص(٢٣٧): (أما بيان كون اللحن باطلًا فبالإجماع).

وقال أيضًا (٢٦١): (لا خلاف أن اللحن في الكلام فساد له، وسقم فيه، وإعرابه صلاح له، وصحة فيه).

وقال صاحب كتاب «الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية» ص(٣١٥-٣١٦): (جاء رجل إلى الزهري فسأله أن يحدثه فقال: ممن أنت فقال: من عامله، فقال: لا أحدثك، قال: لم؟ قال: لأنه لا علم لكم بالعربية، أو قال بالكلام، قال: إني لأعرف منها. قال: فما معنى قول الشاعر:-

صريـــع مـــدام يرفـــع الـــشرب رأســـه ... فيحيـــى وقـــد ماتـــت عظـــام ومفـــصل

ما يعني بالمفصل؟ قال: اللسان. قال: اغد علي أحدثك).

ولولا خشية الإطالة لنقلنا أكثر وأكثر.

قبول لغة غير العربية احتلال لعقول الشعوب الإسلامية

من المعلوم أن أي لغة تنمي فطرة الإنسان وعقله منذ الطفولة، فاللغة القرآنية هي أعظم اللغات تنمية وتأثيرًا على أهلها، فإذا تُركت حل محلها لغة أخرى، وهذا يؤدي إلى مفاسد عظيمة.

قال ابن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام" (١/ ٣١): (اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دولة أهلها،ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمونٌ منهم موت الخواطر).

وقال الرافعي في "وحي القلم" (٣/ ٣٤): (فاللغات تتنازع القومية، ولهي والله احتلال عقلي في الشعوب، التي ضعفت عصبيتها، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل إليه وأقام فيه).

قلت: ها هو طه حسين يقول: (إنني أفكر بالفرنسية، وأكتب بالعربية). نقلًا من كتاب "عودة الحجاب" (١/ ١٨٤) فانظر ماذا عملت اللغة الفرنسية.

وقال صاحب كتاب "لماذا العربية" ص(٥٦): (فعندما تغيب اللغة العربية أو تضعف، فإن صلة الإنسان بمنهاج الله تتوقف أو تضعف، أو تضطرب، وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله، وإذا ضعف هذا التلقي ضعف الإيمان والتوحيد واضطربا).

وقال الدكتور عبد الكريم اليافي: (وإن اللغة وطن الأمة الروحي وخزانة تراثها الفكري، ووعاء ثقافتها، وآدابها وعلومها، وحاملة هويتها وشعائرها في الماضي والحاضر والمستقبل، ولهذا تحرص الأمة على سلامة لغتها، حرصها على ذاتها، وتتمسك بها تمسكها بحقيقتها، وتدافع عنها دفاعها عن حماها، وهذه ليست عبارات رومنسية أو حماسية، هذه حقائق واقعية توليها كل الأمم العناية الفائقة؛ لأهميتها في استمرار حضارتها، وتنامي هويتها). نقلًا من كتاب "العربية بين التغريب والتهويد" ص(٢٥٨).

ضعف العرب والمسلمين لا يعني ضعف ذات اللغة

اعلم أن الله قد هيأ جهابذة علماء اللغة فقاموا بتدوينها وخدمتها من جميع جوانبها قديمًا وحديثًا، فصارت اللغة مدونة محفوظة في كتب لا تعد ولا تحصى، وهذا يعد من

حفظ الله لها، ثم نجمت المحاربة للغة من بعد القرن الرابع الهجري فكانت المحاربة تؤثر على بعض المتكلمين بالعربية، لا على اللغة نفسها.

قال أبو الحسن الندوي في كتابه "العرب والإسلام" ص(٧٠): (وظلت تسيطر على أكبر رقعة من العالم الإسلامي، وعلى أعظم مجموعة من العقول البشرية، رغم ضعف العرب، فكانت لغة التألف، ولغة الحكمة والفلسفة، ولغة البحث العلمي، ولغة الفقه والكلام، ولغة التاريخ والأدب، ولغة التفسير في الهند وباكستان وتركستان، ولا تزال لها مراكز ثقافية كبيرة، ويبلغ عدد من يحسنها قراءة وفهمًا في هذه البلاد الأعجمية مئات الألوف، ولا يزال يتعصب لها، وإذا خير بين لغته الوطنية التي نشأ عليها وبين اللغة العربية التي نزل بها القرآن آثر اللغة العربية على لغة بلاده، وحرص على تعليمها لأولاده، ولا سبب في ذلك إلا أنها لغة العقيدة والشريعة، ولغة الإسلام الرسمية). نقلا من كتاب "البعد الديني للغة العربية" ص(٤٤)

وقال أيضًا (٤٥): (وحتى عندما ضعفت الدولة العربية في القرن الخامس الهجري، وعندما حاول السلاجقة إبعاد العربية عن الإدارة، ووضع الفارسية محلها لم يستطيعوا أن يتخلوا عنها، بل وجدوا أنفسهم مضطرين للحفاظ عليها، ففي القرن الخامس نفسه ظهرت المدرسة النظامية المنسوبة إلى نظام الملك، وقد أسست عام ٤٥٩هـ وبتأسيس هذه المدرسة نلاحظ تحولًا، فقد اهتم السلجوقيون بالعربية الفصحى في عصورها المبكرة؛ لأن هذا يعين على فهم الدين، ولكنهم اعتبروا الفارسية لغة حياة، وممن درس في المدرسة النظامية التبريزي، نسبة إلى تبريز، ويعتبر التبريزي

دراسة العربية وسيلة لفهم القرآن الكريم والسنة، ونلاحظ عند المشتغلين بالعربية في ذلك الوقت تدينًا شديدًا جعلهم يذكرون أن أشرف العلوم علم الكتاب والسنة، وأن مفتاح هذه الدراسة اللغة العربية).

قواميس اللغات الغربية مليئة بالألفاظ العربية

لقد قام بعض الباحثين بالبحث والاستقصاء لما استخدمته الأمم من اللغة العربية، وسطرته في كتبها، وقد وجد من ذلك الشيء الكثير.

قال صاحب كتاب «لماذا اللغة العربية؟» ص(٩٨): (وتقول الباحثة المصرية الدكتورة/ تحية عبد العزيز إسماعيل في كتابها: « العربية الفصحى أم اللغات الهندية والأوروبية وأصل الكلام» الذي نشرته باللغة الإنجليزية تقول: (إن بحثها هذا هو خلاصة جهد استغرق عشر سنوات، وتقول إن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية عربية الأصل، وإن ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية عربية الأصل أيضًا، ولكن لم ترد دراسات أوسع تؤكد مثل هذه التصورات). اهـ.

وقال صاحب كتاب «ثمانون عامًا من الحرب الفرانكفونية ضد الإسلام واللغة العربية» ص(١١-١٢).

وقد اهتم عدد من الباحثين بوضع معاجم خاصة بالكلمات العربية في اللغات الغربية كالإيطالية، والإسبانية، والفرنسية، والبرتغالية وتعد بالآلاف، وفي سنة

١٩٧٣م قام أستاذان لبنانيان مقيمان بكندا بدراسة معمقة أبجدية لقاموس اللغة الإنجليزية بحثًا عن الكلمات العربية بها، ووضعا معجمًا اشتمل على نحو ٣٠٠٠ كلمة أكثرها في مختلف العلوم، ووضعا رسمًا بيانيًا للغات الغربية والشرقية، التي كانت معبرًا لانتقال المصطلحات العلمية العربية إلى اللغة الإنجليزية ؛ دون أن يكشف الناطقون بها من العرب أنفسهم أصلها العربي). اهـ.

وقال صاحب رسالة «الكتابة العربية وصلاحها لتعليم اللغة» ص(٢): (ففي اللغة الإنجليزية مثلًا آلاف الكلمات العربية، ولكن رغم ذلك لم نسمع أن الإنجليز قد أضافوا حروفًا مثل الحاء، والقاف والصاد...إلخ الحروف العربية التي لا توجد في اللغة الإنجليزية إلى لغتهم؛ لكي ينطقوا كلمات ذات أصول عربية).

وذكرنا في كلامنا على مصطفى أتاتورك وجرائمه أنه أمر بإخراج الكلمات العربية من اللغة التركية، وهي ألفاظ بالآلاف.

فإذا كانت كل لغة من هذه اللغات المذكورة قد أخذت من اللغة العربية آلاف الكلمات دل هذا على أن لسان العرب واسع، وأن اللغة غنية بكثرة ألفاظها، فليعلم هذا وليبؤ الشانئين للغة العربية بالفضيحة.

أقوال عدد من علماء المستشرقين في الإشادة باللغة العربية

لقد ذكرنا موقف كثير من علماء الاستشراق من اللغة العربية وأوضحنا عداءهم لها فوق ما يتصور، وهناك من علماء الاستشراق من سلكوا مسلك البحث النزيه؛ لغرض معرفة الحقيقة، فوجدوا ما يثلج صدروهم، ويبهر عقولهم من خصائص اللغة العربية وفضائلها، وكثرة الانتفاع بها، فدونوا ذلك في كتبهم، بل وتصدوا للدفاع عنها، وحرصوا على الإشادة بها.

قال صاحب كتاب «الإسلام والاستشراق» (٧٤) ورغم كل المحاولات أثبتت اللغة العربية مناعتها ووجودها، ولولا ذلك لما اضطر المستشرقون في مؤتمرهم الذي عُقد في بلاد اليونان مؤخرًا إلى إصدار قرار منصف يحمل كثيرًا من الدلالات والأبعاد جاء فيه:

إن اللغة العربية الفصحى هي التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربية ؛ للتخاطب والكتابة والتأليف، وإن من واجبات الحكومات في هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية؛ لتقضي على اللهجات العامية، التي لا تصلح لغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق).

وقال المستشرق الأب لويس (فإن من يتتبع آثار لغتنا العربية يراها في كل آن مزدانة بخواص اللغات الكاملة ؛ من حيث مفرداتها وتراكيبها وعباراتها وأساليبها، كأنها ظهرت بادئ ذي بدء تامة العدد، كاملة الأهبة، وإذا قابلنا بين اللغة الشائعة في يوم مع

لغة أقدام الشعر كامرئ القيس، والنابغة لا نكاد نرى بين اللغتين اختلافًا يذكر ؛ اللهم إلا في استعمال في بعض ألفاظ لغوية شعرية أو في اتخاذ بعض التعابير الجديدة دلالة على المعاني المستحدثة كما هو دأب اللغة الحية).

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: (وكان من الواجب على كل من يعتنق الإسلام عن اختيار ورغبة أن يقرأ كتاب الله ويتلوه، وأن يكتب ويتكلم بلغة القرآن التي هي لغة السادة الفاتحين، ولغة شعراء العرب الأقدمين). نقلًا من كتاب «البعد الديني للغة العربية » (٢٥).

وقال صاحب كتاب «بحوث في الاستشراق» (٣٢١): (وأثر التفكير العربي على الكتب اللغوية الألمانية التي تناولت قواعد اللغة العربية، فقد أعادت المستشرقة (اني ماري شمل) طبع كتاب «هاردر» للمرة الحادية عشرة سنة ١٩٦٨م وقبل ذلك كان (بروكلمان) أعاد طبع كتاب «سوتزين» للمرة الثانية عشرة سنة ١٩٤٨م.

ومن رجع إلى كتاب «قالوا عن الإسلام» وجد أقوالًا كثيرة لهذا الصنف في اللغة العربية ثناء ودفاعًا

بل لقد ألفوا الكتب الكثيرة والمشيدة باللغة العربية كما ذكر ذلك في باب «أصناف المدافعين عن اللغة العربية»

ونحن نورد أقوال هؤلاء من باب (وشهد شاهد من أهلها)، وأيضًا لتقوى همم المسلمين في الإقبال على أشرف اللغات، وأيضًا يحاجج الطاعنون في اللغة بأقوال أصحابهم، فهؤلاء بحثوا ووصلوا إلى حقائق جيدة، وأولئك المستأجرون من قبل

الدول المستعبدة بحثوا وجاءوا بطوام الافتراءات، وعظيم التزويرات، فكم الفارق بين من يتجرد عن التعصب المقيت، وبين من يرتديه!!.

من ردود المستشرقين المعتدلين على المستشرقين للإسلام ولغته

قال صاحب كتاب «المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي» (١٤٩): (ويقول المستشرق الألماني المعاصر (استيفان فيلد) بصدد الإشارة لبعض المستشرقين المتحالفين مع الاستعمار، والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة).

وقال صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» ص(١٧٤) وهو يتحدث عن ردود المستشرقين على المستشرق (مرجليوث) الذي طعن في الشعر العربي: (على أن مرجليوث رد عليه أكثر من مستشرق من أمثاله فمنهم (ليال) في مقدمة تحقيقه لشرح ابن الأنباري لـ (المفضليات) كما تحدث عن قضية صحة الشعر الجاهلي مرة أخرى في مقدمة تحقيقه لـ (ديوان عبيد بن الأبرص)، وقد رد عليه كذلك (آربري) فهو يقول في خاتمة كتابه «المعلقات السبع»: (إن السفسطة وأخشى أن أقول: الغش في بعض الأدلة

التي ساقها (مرجليوث) أمر بيّن جدًّا، ولا تليق البتة برجل كان –ولا ريب– من أعظم أئمة العلم في عصره).

وقال صاحب كتاب «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص(١٠٥):

(يقول بوكاي: (كنت أتعلم عندما كنت شابًّا أن محمدًا هو الذي ألف القرآن، ولقد قيل لي مرارًا وتكرارًا إن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة قصصًا من التوراة والإنجيل بشكل مختلف شيئًا قليلًا)

ويقول بوكاي: إنه ظل فترة على هذا الاعتقاد حتى درس الإسلام بنفسه، فاكتشف زيف وتضليل هؤلاء المستشرقين).

تقرير بعض علماء الغرب أن كتابة المستشرقين عن الإسلام محاكمة له وتشويه به وبلغته

لقد كثر المستشرقون الطاعنون في الإسلام من دعواهم أنهم باحثون عن الحق ؛ وهم كاذبون في ذلك ؛ لأن بحوثهم هذه شاهدة عليهم بأنهم محاربون له، وقد نصبوا أنفسهم حاكمين عليه، قاتلهم الله، وليس الحكم عليهم بهذا من قبل علماء الإسلام فقط، وكفى بهم حاكمين بذلك عليهم، بل قد حكم عليهم بهذا غير واحد من علماء الغرب.

قال صاحب كتاب «رؤية إسلامية للاستشراق» (١٧٢): (وقد أثبت كثير من العلماء الغربيين أنفسهم ولا سيما من المهتدين إلى الإسلام، تعصب المستشرقين وعداوتهم الشديدة للإسلام، مما ينفي عنهم صفة الموضوعية والأمانة العلمية، ويجردهم من أهلية البحث العلمي النزيه في مجال الدراسات الإسلامية.

وقد أشرنا فيما سبق إلى العالم الغربي المهتدي محمد أسد وإلى كتابه القيم«الإسلام على مفترق الطرق» الذي أكد فيه أن المستشرقين في الحقيقة لا يقومون بدراسة الإسلام بل بمحاكمته، وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصرًا على بلد دون آخر، إنك تجده في إنكلترا وألمانيا، في روسيا وفرنسا، وفي إيطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام).

وقال صاحب كتاب «الاستشراق –الذرائع – النشأة– المحتوى» (٦٢-٦٣): (يقول المستشرق الألماني رودي بارت: (نحن معشر المستشرقين عندما نقوم بدراسات في العلوم العربية، والعلوم الإسلامية فنحن نقوم بها؛ لكي نبرهن على تقديرها الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن).

إقبال الغربيين على تعلم اللغة العربية

لقد انتشر الإسلام خارج الوطن العربي، وانتشرت معه اللغة العربية، وصارت هي اللغة المعتمدة في تلك الشعوب قرونًا عديدة، وعظم الإقبال عليها، فكان هذا مما حدا بالأساتذة والطلاب الأوروبيين إلى الإقبال على تعلمها، بل لقد كانت اللغة الرئيسية للدبلوماسية.

قال صاحب كتاب "الاستشراق –الذرائع-النشأة- المحتوى-" ص(١٠١): (ولقد كتب وليام بدويل (١٥٦١-١٦٣٢م) عن اللغة العربية قائلًا: (إنها كانت حينذاك اللغة الوحيدة للدين، واللغة الرئيسية للدبلوماسية من الجزر السعيدة إلى بحار الصين).

ومما يدل على اهتمام الغربيين باللغة العربية وإقبالهم عليها ما قاله صاحب المصدر نفسه أيضًا ص(٩٧): (إن معرفة الأوربيين باللغة العربية قد بدأت قبل ذلك بقرون عدة في القرن التاسع الميلادي، وكانت معرفتهم بها في الأندلس، ثم صقلية، وكانت في الأندلس من الشيوع للدرجة التي أرقت أحد رهبانهم البار القطبي إذ قال: إن نصارى إسبانيا لم يعودوا يهتمون بدراسة اللاتينية لغة الكتاب المقدس، ولكنهم يتقنون الكلام بالعربية، والكتابة بها، بل إن من بينهم كثيرين يجيدون نظم الشعر العربي.

ويؤكد هذه الرواية المستشرق (رينو) فقد أكد أن رئيس دير سانت جال واسمه (هارتموت) درس اللغة العربية حوالي سنة (٨٨٠م).

وقد ذكر صاحب كتاب "المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي" ص(٢٨-٢٩) وهو يتحدث عن بداية الاستشراق قال: (وتأكيدًا للرأي السابق يرجع أحمد الإسكندري وزملاؤه بداية الاستشراق إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية التي شادها المسلمون، فاندفعوا إليها ليتعلموها، ويتسلحوا بها، ويستفيدوا منها، فأخذوا يدرسون لغتها، وآدابها، ويترجمون كتبها، وينقلون علومها إلى بلادهم، وكان أول من بدأ بذلك رجال الدين، ثم تلاهم غيرهم من أبناء جلدتهم).

وفي المصدر نفسه ص(١٢٣) ما نصه: (لقد اهتم الغربيون بدراسة اللغة العربية منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يوم كان الشرق العربي مثوى للثقافة، ومنائر للمعرفة، ومنتدى الآداب، ونشطت هجرة الغربيين إلى الأندلس حيث كانت الأندلس وحواضرها الكبرى مركزًا للعلم والمعرفة، لما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس العالية، يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا، وألمانيا، وإنجلترا للدرس والتحصيل.

وقد أسس العرب في الأندلس وصقلية مدنية زاهرة أرقى كثيرًا من أي مدنية معاصرة لها في ذلك الوقت في البلاد المسيحية وهي المدنية التي خلفت آثارًا في المدنيات المسيحية المعاصرة لها، حتى إنه بعد أن فرض المسيحيون سيادتهم على تلك البلاد ظلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن، وكان من الملوك المسيحيين من يتكلم العربية).

قلت: وكان هذا الإقبال سببًا من أسباب ازدياد العداء للإسلام ولغته.

استمرار الأوروبيين على تعلم الإسلام ولغته عدة قرون

لقد كان النصارى في الغرب يتلقون الإسلام عن طريق الكتب التي ألفها علماء الإسلام والتي ترجمت إلى اللغة اللاتينية، واستمروا على ذلك قرونًا عديدة.

قال محمد بن إبراهيم الشيباني في كتابه "مبادئ لفهم التراث" (٩٣-٩٤) وهو يتحدث عمن عاد من قرطبة إلى بلاده،وقد تعلم الإسلام ولغته: (وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أُسست المعاهد للدراسات العربية، أمثال مدرسة بادوي العربي، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون).اهـ.

الفصل الخامس
الإجابة عن الشبه

لقد أورد المستشرقون شبها، تعينهم في نظرهم على محاربة اللغة العربية، وأرادوا بذلك حصول الوهن عند المسلمين تجاه لغتهم ودينهم، وهذه الشبه ولدها الحقد الدفين، والمكر المهين، ولا شك أنه قد تأثر بها بعض المخدوعين، والمغرر بهم من المسلمين، ولكن إذا أزهقت بشهب الحق صارت هباء كالسراب قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

وليس بين المسلم وبين إدراك التلبيس على المسلمين من قبل المستشرقين في هذه الشبه إلا أن يتأمل في الرد على الشبهة ؛ بل إن بعض الشبه بطلانها ظاهر لأول وهلة، وإذا ظهر البطلان في بعض الشبه لأول وهلة دل هذا على أن بقية الشبه كهذه ؛ لأنه إذا علم أنهم قد لبسوا فيما ظهر للناس فيه البطلان فمن باب أولى أن يفعلوا ذلك فيما فيه غموض، فمن شبههم في محاربة اللغة العربية.

الشبهة الأولى: قولهم: إن اللغة العربية لا تساير حاجات العصر ولا تفي بذلك.

قال صاحب كتاب «آراء المستشرقين» (١/ ٤١): (صاحب المستشرقون وعملاؤهم أشنع الاتهامات على اللغة العربية، فزعموا أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة المعاصرة، وموكب العلم الحديث).

قلت: ومن كلام هؤلاء الحاقدين ما ذكره صاحب العربية بين التغريب والتهويد ص(٢٤٤).

قال اللورد جراي حين سئل في مجلس العموم البريطاني عن تعليم اللغة العربية بمصر: (لا تصلح اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم ؛ إذ تفتقر إلى الاصطلاحات العلمية والفنية).

وأيضا أقيم مؤتمر في تونس وأعلن فيه أن سبب انحطاط المسلمين اللغة العربية. انظر كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٥٦).

الرد على هذه الشبهة:

قلت هذه الشبهة من أشهر شبههم المتداولة فيما بينهم، والرد عليهم أنه من المعلوم قطعا أن اللغة العربية انتشرت انتشار الإسلام، فقد انتشرت في بلاد الفرس، وصارت بديلًا عن لغتهم، وفي بلاد الشام وصارت بديلًا عن لغتهم، وانتشرت في بقية بلاد الأعاجم التي انتشر فيها الإسلام، ففي هذه البلدان صارت فيها اللغة العربية هي لغة

الدين والعلم والدولة، فعلام يدل هذا؟ أعلى تلبيتها لحاجة الأمم أم على عجزها عن ذلك؟ فلو أنصف الخصوم لقالوا كفى اللغة العربية فخرًا أنها لبت حاجة أمم وليس أمة فقط، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنه في عهد الخليفة العباسي المأمون استقدمت كتب فلاسفة الهند واليونان والروم المتعلقة بعلم الأفلاك، وبعلم الأديان والسياسة والأخلاق، وعربت إلى العربية ولم تعجز العربية عن استيعاب ذلك.

فعلام يدل هذا؟! أعلى سعة لغة العرب أم على عجزها وضعفها؟!

الوجه الثاني: لما استولى التتار على حاضرة الخلافة العباسية عربت كثير من مصطلحاتهم باللغة العربية، ولم تعجز اللغة عن شيء من ذلك، وأيضا وفدت علينا مصطلحات كثيرة من قبل الشرق والغرب وعربت باللغة العربية ولم تضق اللغة العربية بذلك، فظهر بهذا أن اللسان العربي أوسع الألسن؛ لأنه استوعب جميع اللغات على مر التاريخ.

الوجه الثالث: أخذت الأمم من لسان العرب كثيرًا وعربت ذلك، فقد بلغت الكلمات المأخوذة من اللغة العربية آلافًا مؤلفة كما أوضحنا هذا سابقًا، فعلام يدل هذا؟!

الوجه الرابع: سبق أن ذكرنا بحوثًا أعدت للوقوف على الكلمات العربية، وأنها بلغت خمسة وثمانين ألفًا، فزيادة ألفاظها على اللغة الإنجليزية والفرنسية والتركية

بعشرات الآلاف ناهيك أنها استوعبت القرآن ؛ أفبعد هذا كله يبقى قبول لهذه الشبهة الساقطة.

الشبهة الثانية: دعوى المستشرقين أن تعلم اللغة العربية عسير، وبناء على ذلك اتجهوا إلى الدعوة إلى تعلم اللغة العامية، وأكثروا التأليف في ذلك.

قال صاحب كتاب «آراء المستشرقين» (١/ ٤١-٤٢): (ومن ذلك زعمهم أن اللغة العربية عسيرة التعلم ؛ لذا تبنوا الدعوة إلى اللغة العامية ؛ ليجمدوا تقدم العربية، وتمكنها من نفوس المسلمين ؛ فيضعف فهمهم للقرآن الكريم.

وكان على رأس الداعين لهذه الدعوة من المستشرقين (د. نللينو الإيطالي) و (سيافكو فسكي الروسي)، ولكل منهما كتاب بعنوان «دراسة عامية مصر» والمستشرق (فيليب وولف الألماني) وله كتاب بعنوان «دراسة عامية مصر والشام وفلسطين» ومجموعة من علماء فرنسا برئاسة (ماشويل) ولهم كتاب بعنوان «دراسة عامية المغرب وتونس» والمستشرق (إلياس برازين الروسي) وله كتاب بعنوان: «دراسة عامية الجزيرة العربية وبين النهرين» والمستشرق (يوريال الفرنسي) وله كتاب «عامية حلب».

والرد على هؤلاء بما يأتي:

١- اختيار الله لسان العرب لكلامه سبحانه ؛ يدل على ماذا؟ أعلى عسرها؟ أم على يسرها؟ لا شك أن الجواب الصحيح هو الثاني ؛ لأن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ

يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ في أكثر من آية، فلا يتحقق يسر ذكر الله إلا بتحقق يسر اللغة.

٢- أوضح الله في كتابه أن العسر في الإسلام لو كان بلغة الأعاجم قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت:٤٤] فأفادت الآية أن الله جعل القرآن عربيًّا تسهيلًا على الناس، فما لهؤلاء القوم يعكسون الأمور؟!.

٣- لو كانت لغة القرآن عسرة على الناس في تعلمها ما انتشرت مع الإسلام، ولا تحولت أمم الأعاجم إلى ناطقين باللغة العربية ؛ كما أوضحنا في غير موضع من هذا الكتاب.

٤- ذكرنا في الفصل الأول شغف أبناء النصارى في أوروبا بتعلم لغة العرب، حتى أسست لهم جامعات، وأقبلوا عليها، وعزفوا عن لغتهم، فهذا دليل على سهولة تعلمها حتى على الأعاجم، فهؤلاء المستشرقون محجوجون بالحجج الظاهرة قديما وحديثا ولو أنصفوا لقالوا: تعلم اللغة العربية سهل؛ بدليل تعلم أممهم لها وإقبالها عليها.

الشبهة الثالثة: قولهم: إن اللغة العربية مأخوذة من لغة اليونان والفرس والروم والهند.

ففي «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٧٠٥) ما نصه: (إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية).

وقال صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٦٨) وهو يتحدث عن ديدنة المستشرقين: (وهكذا نجد أن هذا الفريق من الناس لا يرى فضيلة في هذه اللغة، ولا مكرمة لأبنائها، إلا ويحاول جادًّا أن يسلبها من اللغة وأبنائها؛ ليضيفها إلى اليونان، أو الرومان، أو الهند أو فارس، وذلك ديدنهم).

والجواب عن هذه الشبهة:

هذه الفرية مثل تلك الفرية التي استنتجها بعض المستشرقين من خلال دراستهم القرآن أن الرسول ﷺ أخذه من اليهود، واستنتاج آخرين من المستشرقين أيضا أن السنة النبوية من وضع المسلمين وافترائهم واستنتاج آخرين منهم أن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، فهذا الكذب لا يعجز عنه فاقدو الأمانة العلمية، وكيف لا يكون قولهم هذا في لسان العرب كذبا وقد كذبهم الله في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:١-٣]، وقال تعالى في القرآن: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء:١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[فصلت:٣]، فهذه الآيات وغيرها من الآيات في هذا الباب ناطقة بأن القرآن نزل بلغة العرب، فلو كانت لغة العرب متلقاة ممن ذكروا في هذه الشبهة لما شهد الله لها بالعربية .

فهذه حجة كافية شافية مستقلة، لا تحتاج إلى عاضد يعضدها، ولا استدلال آخر يقويها، وإذا أردت المزيد فاعلم أن مضر التي نزل القرآن بلغتها خصت بخصائص:

الأولى: أنها لم تستعبد من قبل الفرس أو الروم حتى يفرض العدو عليها لغته.

الثانية: أنها لم تشتغل بعلوم الفلسفة الرومانية أو الفرسية أو اليونانية.

الثالثة: أنها لم تكن مجاورة للفرس أو الروم، حتى يقال قد تأثرت بلغة القوم.

الرابعة: كانت مضر تعتز بفصاحتها على بقية العرب فضلًا عن الفرس والروم.

الشبهة الخامسة: قولهم في اللغة العربية: إنها جوفاء، لا تحمل أي معنى من المعاني السامية.

قال صاحب كتاب «العربية بين التغريب والتهويد» ص(٢٠٩): (وفي عام ١٩٢٥ ترجم (ولكوكس) الإنجيل إلى العامية، ثم نشر بالإنجليزية رسالة بعنوان «سوريا ومصر وشمال أفريقيا ومالطا تتكلم البونية لا العربية» زعم فيها أن اللغات العامية في الشام ومصر وبلدان المغرب العربي ومالطا هي نفسها اللغة الكنعانية، أو الفينيقية، أو البونية، التي سبقت الفتح الإسلامي، ولما تمت بصلة إلى العربية الفصحى، وتحامل كثيرًا على الفصحى واعتبرها لغة جوفاء لا تحمل أي معنى من المعاني السامية).

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: لو لم تكن اللغة العربية ذات معان عالية، لما اختارها الله لغة كتابه، ولو لم تكن لغة العرب مستوفية لمعاني ما جاء به الرسول ﷺ، لما جعلها الله لغة سنة رسوله.

الثاني: قام الإجماع على أن اللغة العربية هي الفصحى، والفصاحة تتضمن البلاغة -البيان- الإعراب- فأما الإعراب فمن خصائص اللغة العربية، وأما البلاغة والبيان في اللغة فهما أعظم فيها من غيرها من اللغات بالإجماع.

الثالث: صنف الاعتدال من علماء اليهود والنصارى شهدوا للغة القرآن بشهادات عظيمة، كقولهم: إنها مقدسة، وإنها معجزة، وإنها اللغة العالمية، وغير ذلك كما سبق إيضاحه.

الرابع: المستشرقون الطاعنون في لغة العرب قد أدلوا بكلام دال على أن لسان العرب قد بهر عقولهم كما سبق ذكره، فعلام يدل هذا؟!!.

الخامس: لو كانت لغة القرآن جوفاء كما قال هؤلاء، لما تحرك هؤلاء المستشرقون والمنصرون وحركوا دول الغرب لتحارب اللسان العربي، إذ لا تبذل هذه الجهود الجبارة ولا تحشد هذا الحشود الجرارة إلا لأمر عظيم مزعج لهم أقلق الأفئدة وأَقَضَّ مضاجع المتحركين فبوءوا بتناقضكم هذا.

الشبهة السادسة: قولهم: إنها لغة بدوية.

قال صاحب كتاب «في اللهجات العربية» (١٨٧): (حيث عرض لي هذا التساؤل للمرة الأولى، تذكرت كلمة رئيس المجمع الدكتور/ طه حسين في افتتاح أحد المؤتمرات إذ يقول مداعبًا وزير التعليم العالي: {ومن الحق أن لغتنا العربية قد بدأت لغة بدوية، ولكن من الغريب أن يظل مجمع اللغة العربية في القرن العشرين بدويًا أيضًا}).

وقال سلامة موسى: (ورثناها من بدو الجاهلية في عصر الناقة، ويراد لنا أن نتعامل بها في عصر الطائرة). نقلًا من «العربية بين التغريب والتهويد» ص(٢١٣).

والرد على هذه الشبهة:

دعوى أن اللغة العربية لغة البدو مكابرة واضحة ؛ لأنه معلوم أن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هي ذات الحاضرة والسيادة، فهي حامية حرم الله، وكانت تلقب بأهل الله، قال ابن فارس في «الصاحبي» ص(٢٨-٢٩): (وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أن لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل: (تِعلَمون) و (نِعلَم) ومثل (شِعير) و (بِعير).

الشبهة السابعة: قولهم: إن البقاء على اللغة الفصحى يقضي على قوة العرب الاختراعية.

قال بهذا (أحمد سما بلوفتش) نقلًا من «احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص(١١٧).

وقال المستشرق سبيتا: (إن هذه اللغة لا يمكن أن ينمو معها أدب حقيقي وتطور).

والرد على هذه الشبهة:

المستشرقون ومن سار على سيرهم جعلوا كل ما له صلة بدين الإسلام مانعًا من التقدم، والحقيقة العكس، وهم قالوا قولهم هذا لكي لا نتقدم تقدما حقيقيا وأظهروا

لنا بل دعونا إلى تقدم فيه استعبادنا من قبلهم فليعلم هذا، وهاهم هنا يزعمون أن لغة الإسلام مانعة من التقدم، ولو أنصفوا لقالوا: إن من أعظم أسباب التقدم اعتماد اللغة العربية ؛ كما هو قول المنصفين من علماء الغرب ؛ لأن اللغة العربية لغة الدين والعلم والدولة، فكيف لا تكون لغة تقدم؟! وقد ذكرنا في الإجابة عن الشبهة الأولى أن لغة القرآن لم تعجز على مر التاريخ عن تعريب علوم الكفار إلى ساعتنا هذه، فهل هذا إلا التقدم المحمود؟! فما لهؤلاء القوم لا يفقهون؟! وأيضًا أثبت بعض الباحثين أن أفراد اللغة العربية مضاعفة على اللغات الأخرى بعشرات الآلاف، كما أوضحنا هذا سابقًا.

الشبهة الثامنة: قول المستشرقين: إن اللغة ستظل لغة الدين.

ومن شبه المستشرقين التي يلعبون بها على ضعاف العقول ؛ دعواهم أن إبعاد اللغة العربية عن مكانتها لا يعني ذهابها، بل ستبقى لغة الدين، قال وهلم سبيتا: (فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة إلى ما هو أحسن؟ ببساطة لأن هناك خوفًا من تهمة التعدي على حرمة الدين إذا تركنا لغة القرآن تركًا كليًّا! إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان). نقلًا من كتاب «أجنحة المكر الثلاثة» ص(٣٥٥).

قلت: المغزى في هذه الشبهة هو قبول الطعن في لغة الإسلام، وقبول تنحيتها عن أماكنها العالية من لغة عالمية ودولية ورسمية ولغة تعليم وتأليف وتحقيق ولغة الخطب والمحاضرات والمؤتمرات والمراسلات وغير ذلك، إلى أن تكون محصورة في الصلاة والصيام فقط، وهذه الشبهة من جنس دعوة العلمانية ؛ أن الدين علاقة بين العبد وربه،

ولا دخل له في شئون الحياة، وأيضًا الاستجابة لهم في تنفيذ مطلبهم هذا يجعل اللسان العربي مثل اللغة اللاتينية التي حوربت من قبل العلمانيين في أوروبا ثم ألغيت وصارت محصورة في الكنائس، فانظر إلى ما يدعونا إليه القوم؛ لتعلم أنهم يدعوننا إلى ما هو عندهم مرفوض.

الشبهة التاسعة: ادعاء المستشرقين أن الفاتحين قهروا الشعوب على تعلم اللغة العربية.

قال المستشرق الفرنسي (كانتينو): (إنه لا داعي للاستغراب إذا أوضحنا الواقع ؛ وهو أن اللغة القرآنية... والعربية الكلاسيكية المزعومة فرضت على منطقتنا).

وقال المستشرق الألماني صاحب كتاب «اللغة المصرية العامية»: (إن التقارب بين الأمم هو ضالة الحضارة المعاصرة، ولكنه لن يحصل ما دامت اللغة المفروضة على الشعوب تحول بينها وبين هواة الخدمة الاجتماعية).

وأمثال هذين من المستشرقين كثر. انظر كتاب «مجلة كلية الشريعة» ص(١٤٣) وما بعدها.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: اللغة العربية انتشرت مع الفتوحات الإسلامية؛ لأن حملة الإسلام كانوا يتكلمون بها، فليس لها نشر خاص حتى يقال: قهروا الناس على تعلمها.

الثاني: لقد انتشر الإسلام في شعوب كثيرة بدون قتال ؛ كما هو معلوم، وانتشرت فيهم اللغة مع انتشاره، فأين القهر لهم؟.

الثالث: لماذا يصير تعلم اللسان العربي جريمة عند المستشرقين وأذنابهم مع العلم أن تعلم اللغات الأخرى أمر مسلم به، بل ها هي دول الكفر تفرض تعلم لغتها، وهي لغات عادية ليست في العير ولا في النفير، فلولا الحقد على اللسان العربي واختصاص العرب بذلك ما حصل هذا.

الشبهة العاشرة: دعوى المستشرقين أن اللغة العربية مصطنعة.

قال صاحب كتاب «البلاغة المفترى عليها» (١٥٥): (وفي رسالة نشرها (وليم ولكوكس) سنة (١٩٢٦) بعنوان (سوريا ومصر وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية» يدعي أن اللغة العربية لغة مصطنعة يتكلمها المصري كلغة أجنبية ثقيلة في كل شيء إن وصلت إلى الرأس، فهي لا تصل أبدًا إلى القلب...).

والجواب عن هذه الشبهة:

إن أراد هؤلاء بالاصطناع أن العرب اقتبسوها من غيرهم فلا يستطيعون أن يبرهنوا على صحة كلامهم هذا، حتى يلج الجمل في سم الخياط؛ وأيضًا لا يقدرون على أن يردوا الحجج الدامغة القاطعة في أن لغة العرب ليست مقتبسة من اللغات الأخرى، وإنما هي لغة تكلم بها العرب من قرون كثيرة قبل بعثة الرسول ﷺ، وإن أرادوا أن العرب تواطئو على التخاطب بها فهذا يحتاج إلى دليل، ولا دليل؛ فاللغة العربية تكلم بها العرب فطرة سليقة لا ينازعهم في ذلك أحد.

الشبهة الحادية عشرة: قول بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم؛ إن العامية كانت لغة بعض العرب.

والجواب: من المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش؛ لأنها الفصحى، ولم ينزل بلغة أي قبيلة أخرى، وهذا كاف في أن لغة قريش هي أصل اللسان العربي، ومرجعه إليها، وصدوره عنها، نعم، نزلت بعض الآيات بلغة بعض القبائل المجاورة لقريش ولغة هذه القبائل لغة قوية، فمن الخطإِ أن يقال في لغة هذه القبائل: (إنها عامية)؛ لأنهم عرب أقحاح، وأيضًا لغة العرب لغة متميزة بقواعدها وأصولها وضوابطها، فكيف يصح أن يقال إنها عامية، والعامية لا ضوابط لها؟ فضلًا عن أن يكون لها قواعد وأصول!.

وأيضًا لا يوجد عربية عامية قديمة عند أهل اللغة العربية، والقول قولهم ؛ لأنهم متخصصون في هذا الفن، أما ما طرأ على ألسنة كثير من المسلمين من تكلمهم باللهجة العامية ؛ فهذا لا ذنب للسان العرب فيه، بل الذنب ذنب المسلمين المتكلمين بذلك.

قال الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب (١/ ٢٥٢): (لا يمكن أن يقال: إنه كان للعرب فصيح وعامي، إلا إذا أجرينا عليهم أحكامنا، وألزمناهم ما لزمنا من ضعف النظر، وسوء التأول، واعتبرنا ما بيننا وبينهم من تقادم التاريخ، كأنه سواد ليل ختم به الأمس).

فخلاصة الكلام أن هذه الشبهة من باب الاصطياد في الماء العكر.

الشبهة الثانية عشرة: قول المستشرقين: إن العرب كانت لهم أكثر من لغة.

والجواب: الاختلاف الحاصل في لغة العرب، كقولهم: لغة قريش لغة أهل الحجاز لغة تميم... إلى آخر ما يقال هنا ليس هذا الاختلاف اختلافا مذمومًا.

قال ابن فارس في «الصاحبي» ص(٢٥، ٢٧) اختلاف لغات العرب من وجوه، ثم ذكر أنواعا من الاختلاف في التقديم والتأخير والتذكير والتأنيث والحذف والإثبات، ثم قال: (وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها... وهي وإن كانت لقوم دون قوم، فإنها لما انتشرت تعاورها كل).

وفي خصائص ابن جني: (اللغات على اختلافها كلها حجة، ألا ترى أن لغة الحجاز في إعمال ما، ولغة تميم في تركها، كل منهما يقبله القياس، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها ؛ لأنها ليست بأحق بذلك من الأخرى، لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها).

فهذان إمامان من أئمة العربية يقرران أن نسبة شيء من اللغة العربية إلى بعض العرب دون بعض لا يعني ذلك اختلاف اللغة اختلافا مذموما، وإنما هذا من سعة لسان العرب فيما يجوز فيه الخلاف، ولو كان هذا اختلافًا مذموما لبينه علماء العربية وجهابذتها.

فجعل المستشرقين اختلاف العربية اختلافًا مذمومًا، تجاوزٌ واضحٌ وذريعة لهم للتخلص من اللغة، وكم لهم من هذه الهنات التي تنافي الأمانة العلمية، فما لهم وللتكلم فيما لا يحسنون؟!

الشبهة الثالثة عشرة: قولهم: إن اللغة العربية قد دخلها الدخيل من اللغات الأخرى من قبل الإسلام وبعده، فكيف تكون القرآن لغة خالصة؟

والجواب عن هذه الشبهة بما يأتي:

١- القرآن نزل بلسان عربي كما هو معلوم، فلو كان في اللغة العربية دخيل عليها، لبين الله ذلك.

٢- الكلمات التي أخذت من الأعاجم قد عربتها العرب فصارت من اللغة العربية ولا تعد دخيلا على اللغة، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى، وهو يتكلم عن الألفاظ العجمية (إن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق). انتهى.

وقال الجوهري في «الصحاح»: (تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها).

وذكر الجواليقي في «المعرب» مثلما سبق وزاد قوله في المعرب: (هي عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال). انظر هذه الأقوال في «المزهر» (١/ ٢٦٨-٢٦٩) وفي كتاب «خصائص العربية وطرائق تدريسها » ص(٨١) ما نصه: (وإذا كان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد اتخذ قرارًا بجوازه، وقال: (يجيز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ العجمية عند الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم).

١- أطلق بعض العلماء على ألفاظ المولدين، وما عرب بعد عصر السلف اسم الدخيل، ولم يطلقوا ذلك على ما كان قبله.

قال صاحب كتاب «خصائص العربية» (٧٨-٧٩): (ثم إن المعرب هو: ما استعمله العرب الذين يحتج بكلامهم، وأن الدخيل ما جاء عقب ذلك).

وقال السيوطي في المزهر (١/ ٣٠٤): معرفة المولد وهو ما أحدثه المولدون الذي لا يحتج بألفاظهم...

وقال الرافعي في "تاريخ آداب العرب" (١/ ٢٠٤-٢٠٥): ولما فتحت الأمصار على المسلمين ودان غير العرب للإسلام فشت في منطق المتحضرين ألفاظ كثيرة من الدخيل؛ بحكم الاختلاط والمعاملة، إلا أن أكثرها لم يلتحق باللغة؛ لأن الرواة أهملوه وكان هذا الدخيل أول أمره بدء انحراف الألسنة عن العربية الفطرية.

وعلى هذا فالمعرب قسمان: قسم صار من اللغة العربية، وهو المعرب في الجاهلية والإسلام، إلى ظهور المولدين.

وقسم ليس من العربية، وإن عربه العرب وصار من جملة ما يتخاطبون به، وهو المولد، وهذا القسم لم يدخل في اللغة العربية؛ لأن التعريب له لم يكن على ميزان العربية وأصولها وقواعدها لاختلاط لغة هؤلاء بالعامية أو باللغات الأخرى أو بهما معا.

وفرق بعضهم بين التعريب والترجمة، والصحيح أنه لا فرق ؛ كما هو قول أصحاب اللغة، فإنهم عرفوا الترجمة بأنها نقل لغة إلى لغة أخرى.

وخلاصة الكلام أن ما أدخل في اللغة العربية وعُرِّب من قبل من يحتج بلغتهم ؛ فلا ريب أن هذا قد صار من اللغة العربية، وما عرب بعد أن فشا المولدون فقد نص علماء اللغة أنه مولد، ولا أثر له بالضرر على اللغة العربية؛ لأنها قد دونت وحفظت وميز الصحيح من السقيم والدخيل من الأصيل والمقبول من المردود، وهذه الخدمة والعناية قام بها جهابذة العلماء، ولا توجد هذه العناية لأي لغة أخرى فإطلاق المستشرقين قولهم: (قد دخل في اللغة الدخيل) غير مقبول؛ لأنهم لم يفصلوا والتفصيل هو الذي سار عليه أهل العلم، بل استغلوا الدخيل؛ للطعن في لغة القرآن والسنة فتنبه!!، فالمستشرقون كالغرقى يتشبثون بطحلب.

وفي نهاية الجواب على هذه الشبه، أختم كتابي هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول ٨

تعريف المؤامرة ٨

بداية التوجه الأوروبي إلى محاربة اللغة العربية ٨

في القرن السابع عشر وما بعده قويت إرادة الدول الأوروبية في محاربة اللغة العربية وغيرها. ١١

أسباب مؤامرة الدول الكافرة على اللغة العربية........ ١٢

تأسيس دول الغرب الجامعات والمعاهد لإعداد الدعاة لمحاربة اللغة العربية........ ١٧

ذكر ما قامت به فرنسا من القضاء على اللغة العربية في الجزائر وتونس والمغرب وغيرها ١٨

فرنسا تفرض تعلم لغتها على دولة المغرب بعد استقلالها........ ٢٢

فرض اللغة الفرنسية تحت مظلة الفرنكفونية ٢٥

ما قامت به بريطانيا من القضاء على اللغة العربية ٢٧

ما قامت به أمريكا دمرها الله من إقصاء اللغة العربية ٢٩

رفض الكونغرس الأمريكي لإصلاح بعض الكلمات الأمريكية........ ٣٣

خطة دولة اليهود -إسرائيل- في محو اللغة العربية في الشام ٣٤

ما قام به قواد الحملات العسكرية الغربية من محاربة اللغة العربية........ ٣٦

محاولة الدول الغربية فرض اللغة اللاتينية بديلا عن العربية عن طريق عملائها ٣٧

الدعوة إلى أن تكون اللغات البائدة بديلًا عن اللغة العربية ٣٨

الدعوة إلى إلغاء الإعراب في الكلام العربي........ ٣٩

اتخاذ الدول الكافرة للغة العامية بديلًا عن اللغة العربية ٤٢

سعي الدول الغربية إلى فرض لغتها على المسلمين، وضرر ذلك عليهم ٤٦

محاولة جعل اللغة الإنجليزية عالمية ٤٧

أضرار مدارس الكفار في بلاد المسلمين على أبناء المسلمين لغة وعقيدة ٤٩
وأما أضرار هذه المدارس فكثيرة وخطيرة أذكر منها ما يلي:- ٥١
نصارى الشام ومصر وغيرهما يقومون بثورة ضد اللغة العربية ٥٣
بعض الشركات النصرانية في الجزيرة العربية يحاربن اللغة العربية ٥٥
قف على طريقة أخرى يتعامل بها المنصرون مع اللغة العربية ٥٨
قرار الأمم المتحدة الظالم في اللغة العربية ٦١
تدفق المصطلحات الكفرية على المصطلحات الشرعية ٦٢
الفصل الثاني ٦٥
تعريف الاستشراق والمستشرقين.. ٦٥
ظهور المستشرقين وانتشارهم في بلاد المسلمين ٦٦
المستشرقون الأوائل كانوا من تلاميذ أرباب الكنائس.................................. ٦٧
محاربة اللغة العربية الهدف الأول للمستشرقين والمستعبدين ٦٩
كثرة المستشرقين الذين اتجهوا إلى محاربة الإسلام، ولغته، وتواجدهم بين المسلمين.......... ٧١
من أقوال المستشرقين الدالة على أن اللغة العربية بهرتهم فحاربوها ٧٢
من أقوال المستشرقين الدالة على سعيهم في إقصاء اللسان العربي وإماتته ٧٤
أقسام دعوة المستشرقين إلى إقصاء اللغة العربية عن مكانتها ٧٦
مراحل أعمال المستشرقين في محاربة اللغة العربية ٧٧
المرحلة الثالثة وهي ما بعد الحرب العالمية الثانية: ٨١
طعون المستشرقين في لغة قريش التي نزل بها القرآن.................................. ٨٢
كثرة الطعون في اللغة العربية من قبل أفراد المستشرقين ٨٤
اعتماد المستشرقين في طعنهم في اللغة العربية على مصادر غير موثوق بها عند أهل الإسلام .. ٨٦
عدد ما ألف المستشرقون من كتب، وأقاموا من مؤتمرات وجمعيات في محاربة الإسلام، ومن ذلك اللغة العربية ٩١
تهافت المستشرقين في تقسيمهم اللغة الفصحى ٩٤

وثيقة خطيرة تدل على سبب تحول دول أوربا لاستخدام المستشرقين والمنصرين في محاربة دين المسلمين ولغتهم ٩٦
الدول الغربية اتخذت المستشرقين ساعدها الأقوى في محاربة الإسلام ولغته ٩٧
جلب المستشرقين إلى بلادهم الكتب والمخطوطات العربية في القرن التاسع عشر ١٠٠
إقبال المستشرقين على تحقيق كتب اللغة العربية للدس فيها والتحريف ١٠٢
المستشرقون يحملون الدعوة إلى تطوير اللغة العربية ١٠٤
المستشرقون وأتباعهم يدعون إلى تبديل الخط العربي باسم إصلاحه ١٠٥
بعض المستشرقين يترجمون القرآن باللغة العامية محاربة للغة العربية الفصحى ١٠٨
المستشرقون يتسللون إلى المجامع العلمية وغيرها في بلاد المسلمين ١٠٩
دسائس المستشرقين والمنصرين في دائرة المعارف الإسلامية ١١٣
اهتمام المستشرقين بدراسة البلدان العربية والإسلامية التي لدول الغرب إرادة نفوذ فيها .. ١١٦
تواجد المستشرقين والمنصرين في بلدة من بلاد المسلمين يتوقع احتلاله من قبل دولهم ١١٨
تواجد المستشرقين بين المسلمين للتجسس عليهم ١١٩
بعض المستشرقين يكون مستشارًا لحكومته المستعبدة، فيشيرون عليها ببوائق جسام، وجرائم عظام ١٢٠
عناية المستشرقين بنشر كتب الضلال والزندقة بين المسلمين ١٢٢
مستشرقون يهود في ساحة المستشرقين المنصرين ١٢٥
الفصل الثالث ١٣٠
مجمل أعداء اللسان العربي قديمًا وحديثًا ١٣٠
ذكر بعض الجامعات والمراكز الغربية الاستشراقية التي تخرج منها كثير من أبناء المسلمين المحاربين للسان العربي ١٣١
الجامعات الغربية في البلاد العربية تحرك الدعوة إلى تأسيس أقسام دراسية لمحاربة اللغة العربية ١٣٣
محاربة اللغة العربية على يد كثير ممن درسها على أيدي المستشرقين ١٣٤

ذكر عدد من تلاميذ المستشرقين ومقلديهم الطاعنين في اللسان العربي المبين ١٣٦
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تشارك في محاربة اللغة العربية وغيرها ١٤١
الغارة على اللغة العربية من الحداثيين ١٤٣
تورط بعض المجمعات والمؤتمرات اللغوية في محاربة العربية ووأدها.................. ١٤٥
كليات الآداب في البلاد العربية وكر للدسائس الخفية ضد العربية ١٤٨
تصريح لجنة تيسير القواعد العربية، ومؤتمر مفتشي اللغة العربية في محاربة اللغة العربية ... ١٥٠
دعوة أذناب المستشرقين إلى تبديل قواعد النحو والصرف تحت إسم تيسير النحو......... ١٥١
الاتحاد النسائي في مصر يطالب بحذف نون النسوة من اللغة العربية.................... ١٥٣
من المحاربين للغة العربية أصحاب الشعر النبطي ١٥٤
من تأليفات سماسرة العرب في إفساد لغة القرآن تحت مسميات إحياء النحو وتيسيره وغير ذلك
.... ١٥٥
إدخال الأدب الشعبي في أقسام اللغة العربية ١٥٧
الحكام العلمانيون في بلاد المسلمين يحاربون اللغة العربية........................ ١٥٨
تفريط حكام المسلمين في المحافظة على اللغة العربية ١٦١
معاداة الشعوبية للغة العربية.. ١٦٢
سعي الزنادقة في أوساط المسلمين إلى توحيد اللغات منذ القدم ١٦٤
من أسباب الإضرار باللغة العربية تقريب الخلافة العباسية للأعاجم ١٦٥
هجر التخاطب باللغة العربية في الأماكن التي ملكها العجم........................ ١٦٧
مخالطة الأعاجم والأخذ عنهم سبب من أسباب فساد اللغة العربية.................... ١٧٠
فرض الدولة العثمانية اللغة التركية على العرب ١٧٢
القومية العربية لا لغة ولا إسلام ١٧٣
تصريح بعض المستشرقين بأن محاربة تلاميذهم للإسلام ولغته بضاعتهم ردت إليهم ١٧٥
خلاصة المفاسد والأضرار التي يرمي إليها خصوم اللغة العربية ١٧٦

الفصل الرابع الدفاع عن اللغة العربية والمحافظة عليها ١٧٩
مميزات وخصائص اللغة العربية ١٧٩
للغة العربية مصادر عظيمة محفوظة إلى قيام الساعة ١٨٧
١- القرآن الكريم: ١٨٧
٢- السنة النبوية:- ١٨٨
٣- الشعر العربي قبل الإسلام وفي صدر الإسلام: ١٨٩
٤- كلام العرب النثري في محادثتهم ورسائلهم وخطبهم وغيرها: ١٩٠
أصناف المدافعين عن اللغة العربية ١٩١
الصنف الأول: علماء الإسلام. ١٩٢
الصنف الثاني: العلماء المتصفون بالاعتدال مع دين الإسلام. ١٩٥
الصنف الثالث: القيام بتأسيس المجامع اللغوية. ١٩٦
لا ينكر فضل العربية على غيرها إلا جاهل، أو مكابر معاند ١٩٨
صمود اللغة العربية في وجه الغزاة والمحاربين لها بشهادة الخصوم ١٩٩
عناية العرب بمعاني الألفاظ كعنايتها بالألفاظ ٢٠٢
استمرارية عناية أهل السنة باللغة العربية ٢٠٢
من أسباب حفظ اللغة العربية تعلم أبناء المسلمين القرآن والسنة ٢٠٥
أهمية الدعوة إلى تعلم اللغة العربية وتعليمها ونشرها ٢٠٦
إجماع أهل العلم على تعلم اللغة العربية لتوقف فهم القرآن والسنة فهمًا سديدًا على ذلك .. ٢٠٨
من يجب عليهم أن يتعلموا اللغة العربية ٢١٠
اشتراط الأصوليين أن يكون المجتهد عالمًا باللسان العربي ٢١٣
يؤدب من قال لا يحتاج إلى العربية ويقبح قوله هذا ٢١٥
الشريعة الإسلامية تتصرف في اللغة ٢١٧
من اعتاد اللحن من حملة الشريعة ٢١٨
قبول لغة غير العربية احتلال لعقول الشعوب الإسلامية ٢٢٠

ضعف العرب والمسلمين لا يعني ضعف ذات اللغة........ ٢٢١
قواميس اللغات الغربية مليئة بالألفاظ العربية ٢٢٣
أقوال عدد من علماء المستشرقين في الإشادة باللغة العربية........ ٢٢٥
من ردود المستشرقين المعتدلين على المستشرقين للإسلام ولغته ٢٢٧
تقرير بعض علماء الغرب أن كتابة المستشرقين عن الإسلام محاكمة له وتشويه به وبلغته ... ٢٢٨
إقبال الغربيين على تعلم اللغة العربية ٢٣٠
استمرار الأوروبيين على تعلم الإسلام ولغته عدة قرون ٢٣٢
الفصل الخامس........ ٢٣٣
الإجابة عن الشبـــه ٢٣٣
الشبهة الأولى: قولهم: إن اللغة العربية لا تساير حاجات العصر ولا تفي بذلك. ٢٣٤
الرد على هذه الشبهة: - ٢٣٤
الشبهة الثانية: دعوى المستشرقين أن تعلم اللغة العربية عسير، وبناء على ذلك اتجهوا إلى الدعوة إلى تعلم اللغة العامية، وأكثروا التأليف في ذلك........ ٢٣٦
والرد على هؤلاء كالآتي:-........ ٢٣٦
الشبهة الثالثة: قولهم: إن اللغة العربية مأخوذة من لغة اليونان والفرس والروم والهند. .. ٢٣٧
والجواب عن هذه الشبهة:........ ٢٣٨
الشبهة الخامسة: قولهم في اللغة العربية: إنها جوفاء، لا تحمل أي معنى من المعاني السامية. ٢٣٩
والرد على هذه الشبهة من وجوه:-........ ٢٣٩
الشبهة السادسة: قولهم: إنها لغة بدوية. ٢٤٠
والرد على هذه الشبهة:-........ ٢٤١
الشبهة السابعة: قولهم: إن البقاء على اللغة الفصحى يقضي على قوة العرب الاختراعية. ٢٤١
والرد على هذه الشبهة:- ٢٤١
الشبهة الثامنة: قول المستشرقين: إن اللغة ستظل لغة الدين........ ٢٤٢

الشبهة التاسعة: ادعاء المستشرقين أن الفاتحين قهروا الشعوب على تعلم اللغة العربية. ... ٢٤٣
الشبهة العاشرة: دعوى المستشرقين أن اللغة العربية مصطنعة. ٢٤٤
والجواب عن هذه الشبهة: - ٢٤٤
الشبهة الحادية عشرة: قول بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم إن العامية كانت لغة بعض العرب. ٢٤٥
الشبهة الثانية عشرة: قول المستشرقين إن العرب كانت لهم أكثر من لغة. ٢٤٦
الشبهة الثالثة عشرة: قولهم: إن اللغة العربية قد دخلها الدخيل من اللغات الأخرى من قبل الإسلام وبعده، فكيف تكون القرآن لغة خالصة؟ ٢٤٧
والجواب عن هذه الشبهة كالآتي: - ٢٤٧
فهرس المحتويات ٢٥٠

